



# عبقرية النثر العربي

دراسة لغوية تحليلية في كتاب  
"الإشارات الإلهية"  
لأبي حيان التوحيدي  
في ضوء علم اللغة الحديث

تأليف

أيمن علي عبد اللطيف أبو زيد

تقديم

الأستاذ . الدكتور

مصطفى رجب

العلم والإيمان للنشر والتوزيع

البيانات		
عقيدة النثر العربي دراسة لغوية تحليلية في كتاب "الإشارات الإلهية" لأبي حيان التوحيدي في ضوء علم اللغة الحديث		
المؤلف - Author		
أيمن على عبد اللطيف أبو زيد		
الطبعة - Edition		
الأولى .		
الناشر - Publisher		
العلم والإيمان للنشر والتوزيع .		
كفر الشيخ - دسوق - شارع الشركات ميدان المحطة		
تليفون : ٠٠٢٠٤٧٢٥٥٠٣٤١		
فاكس : ٠٠٢٠٤٧٢٥٦٠٢٨١		
بيانات الوصف المادي	عدد الصفحات	Pag.
	٢٨٠	
الطبعة - Printer	مقاس الصفحة	Size
	٢٤,٥ x ١٧,٥	
الطبعة - Printer	الجلد	مجلد
	الجلال .	
عنوان المطبعة - Address		
العامة إسكندرية.		
اللغة الأصل		
اللغة العربية .		
رقم الإيداع		
٢٠٠٧ / ٢٢٦٢ -		
الترقيم الدولي I.S.B.N.		
977- 308 -121 - 4		
تاريخ النشر - Date		
2008		

#### حقوق الطبع والتوزيع محفوظة

تحذير:

يحظر النشر أو النسخ أو التصوير أو الاقتباس بأي شكل من الأشكال إلا بإذن وموافقة خطية من الناشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

«وَعِنْدَهُ مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ  
وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلْمَةٍ  
أَلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٥٩﴾»<sup>(١)</sup>

صدق الله العظيم

---

(١) سورة الأنعام : الآية ٥٩ .



"اللهم إنِّي أسألك الحمد . والرضا عنك . والسكون إليك  
والثقة بك . والقرار معك : فإن في الحمد لك زيادة . وفي الرضا  
عنك قرية . وفي السكون إليك توكلاً . وفي الثقة بك إخلاصاً  
وفي القرار معك مصافاة "

أبو حيان التوحيدي  
الإشارات ص ١٤٤



## إهداء

إلى المشكاة التي أنارت لي دروب العلم :

أستاذي الجليل الأستاذ الدكتور : عاطف جودة نصر

إلى المنهل العذب الذي طالما ارتويت منه :

روح أستاذي الدكتور : محمد الدسوقي الزعبي

إلى منبع الخير، والحب ، والصفاء:

والدتي الفضلى العزيرة

إلى رمز العزة ، والأصالة ، والإباء:

والدي الفاضل الأعز

إلى إخوتي الأحباء الأوفياء

إلى كل غواص في بحور العلم





المحتويات

الصفحة	الموضوع
١١	تقديم أ. د. مصطفى رجب .....
١٧	التمهيد: الشخصية الأسلوبية مفهومها وتجلياتها .....
٢٣	المبحث الأول: ترجمة موجزة لأبي حيان التوحيدي .....
٤١	المبحث الثاني: كتاب الإشارات الإلهية .....
	(المحتوى - البناء - الأسلوب)
	الفصل الأول:
٤٥	دراسة المستوى التركيبي في كتاب "الإشارات الإلهية" لأبي حيان التوحيدي
٤٧	المبحث الأول: تمهيد لدراسة المستوى التركيبي .....
٥٢	المبحث الثاني: الجملة الاسمية والجملة الفعلية .....
٦١	المبحث الثالث: دراسة جمل النداء .....
٦٨	- الصور التركيبية لجمل النداء .....
٧٢	- دلالات النداء .....
٧٨	المبحث الرابع: الاستفهام .....
٨٣	- الصور التركيبية لجمل الاستفهام .....
٨٧	- دلالات الاستفهام .....
٩٢	المبحث الخامس: جمل الأمر .....
٩٣	- الصور التركيبية لجمل الأمر .....
١٠١	- دلالات الأمر .....

تأريخ المحتويات

الصفحة	الموضوع
	<b>الفصل الثاني:</b>
١٠٥	وسائل الربط في كتاب الإشارات الإلهية لأبي حيان التوحيدي
١٠٧	المبحث الأول: وظيفة الربط في بنية اللغة العربية
١١٥	المبحث الثاني: الربط بالإحالة
١٢٣	- الربط بإعادة الذكر
١٢٣	- الربط بالضمير
١٢٦	- الربط باسم الإشارة
١٣٢	المبحث الثالث: الربط بالأداة
١٣٤	- الربط بحروف الجر
١٤٣	- الربط بحروف العطف
١٤٨	- الربط بأدوات الشرط
١٥٠	إذا الشرطية
١٥٥	إن الشرطية
١٦٠	من الشرطية
	<b>الفصل الثالث:</b>
١٦٥	دراسة المستوى الدلالي في كتاب "الإشارات الإلهية"
١٦٧	المبحث الأول: علم الدلالة مفهومه ونظرياته
١٦٧	- مفهوم علم الدلالة

المحتويات

الصفحة	الموضوع
١٦٩	- العلاقة بين الرمز ومعناه أو بين الدال ومدلوله.....
١٧٠	- أنواع الدلالات اللغوية.....
١٧٩	- التغير الدلالي.....
١٧٩	- أسباب التغير الدلالي.....
١٨٠	- سمات التغير الدلالي.....
١٨١	- أشكال التغير الدلالي.....
١٨٣	- نظريات دراسة المعنى.....
١٨٤	- النظرية السياقية للمعنى.....
١٨٦	- نظرية الحقول الدلالية.....
١٨٩	- نظرية التحليل التكويني.....
١٩٣	المبحث الثاني: ألفاظ الحياة الصوفية في كتاب "الإشارات الإلهية" في ضوء نظرية الحقول الدلالية.....
	المجال الدلالي الفرعي الأول:
١٩٥	الألفاظ الدالة على مقامات الصوفية.....
	المجال الدلالي الفرعي الثاني:
٢١١	الألفاظ الدالة على مصطلحات الصوفية.....

## المحتويات

الصفحة	الموضوع
	المجال الدلالي الفرعي الثالث:
٢٢٦	الألفاظ الدالة على قوى الإنسان وعبوبها وفضائلها.....
	المبحث الثالث:
٢٢٦	العلاقات الدلالية بين ألفاظ الحياة الصوفية
٢٢٦	١ - علاقة الترادف وتقارب المعنى.....
٢٣٨	٢ - علاقة التضاد أو التقابل.....
٢٤٠	٣ - علاقة الجزء بالكل.....
٢٤٢	- تحليل الرسالة الحادية والثلاثين.....
٢٥٣	الرسالة الحادية والثلاثون من كتاب الاشارات الالهية.....
٢٦١	- الخاتمة.....
٢٦٥	- ثبت الآيات القرآنية.....
٢٦٧	- ثبت المصادر والمراجع.....

بسم الله الرحمن الرحيم

## تقديم

أ.د. مصطفى جبر

تتناول هذه الدراسة كتاب "الإشارات الإلهية" تناولاً لغوياً على مستويين هما النحو والدلالة ، وقد كان من أسباب اختيار هذا الموضوع أن هذا الكتاب يُعدُّ علامة بارزة في الأدب الصوفيّ ، كما يُعدُّ واحداً من أعمق وأدق كتب أبي حنّان التوحيدي على المستوى الفكري ، والتميز الأسلوبي ، والتمكن في الأداء ، والتوحيدي - كما قد يعلم القارئ الكريم واحداً من أكثر الشخصيات التراثية إشكالاً ومجلية للحيرة ، فقد أثارت شخصيته ، وأفكاره وأعماله جدلاً كبيراً بين القدماء وبين المحدثين .

ومن أسباب اختيار هذا الموضوع أيضاً أن التوحيدي صاحب هذا الكتاب يُعدُّ واحداً من أبرع كتّاب العربية في فترة نضجها الثقافي ، وتبهرها الحضاري .

وتهدف هذه الدراسة إلى إبراز جماليات النثر العربي ، وكيف كان للصوفية قصب السبق في تجلية آفاق العطاء الثري للغة الضاد وتراكيبها المتنوعة من خلال تحليل كتاب "الإشارات الإلهية" تحليلاً لغوياً على مستويي النحو والدلالة ، بهدف إدراك السمات اللغوية على المستوى النحوي التركيبي ، والسمات اللغوية على المستوى الدلالي ، وما تتميز به هذه السمات من خصوصية في الأداء عند التوحيدي ، كما تهدف الدراسة أيضاً إلى إدراك صور التماسك النصي في "الإشارات الإلهية" .

وقد التزم ابننا الباحث الجاد أمين عبد اللطيف في هذه الدراسة المنهج الوصفي منهجاً لها وهو منهج مناسب لهذه النوعية من الدراسات اللغوية ؛ فهو يمتاز بأنه ينقطع للنص دون التشتت وراء أغراض أخرى ، فهدفه بنية النص ، وقد حقق هذا المنهج تطوراً كبيراً في القرن

العشرين الذي شهد مدارس لغوية وصفية متعددة . وقد نشأت هذه المدارس جميعها تحت فكرة أساسية هي البنيوية ، واستطاعت هذه الدراسات على اختلاف اتجاهاتها أن تطور من أدائها ، وأن تولي جانبًا من همومها النظرية والتطبيقية لدراسة العمل الأدبي باعتباره شطآنًا متميزًا من أشاطع التعبير، والاستعمال اللغوي.

وقد واجهت ابننا أيمن عبد اللطيف في هذه الدراسة صعوبات عديدة منها أن هذه الدراسة تطبيقية تحليلية، وهذا أدى لنُدرة المصادر، والمراجع التي تقوم عليها الدراسة . كما كان لتمييز بنية اللغة في كتاب "الإشارات الإلهية" بالتنوع التركيبي . والقراء الدلالي أثره الكبير في الحاجة إلى المزيد من الجهد في البحث والدراسة والاستقصاء .

وقد اعتمد ابننا الباحث أيمن عبد اللطيف في هذه الدراسة في إيراد نصوص "الإشارات الإلهية" على تحقيق الدكتور وداد القاضي للكتاب لتمييزه بزيادة في الشرح والضبط على تحقيق الدكتور عبد الرحمن بدوي للكتاب نفسه.

وقد عُني ابننا أيمن عبد اللطيف بدراسة المستوى التركيبي في كتاب "الإشارات الإلهية"، واشتمل على خمسة مباحث.

الأول: كان شهيّدًا لأهمية الدراسات اللغوية في فهم النصوص وكشفها.

والمبحث الثاني: تناول الجملة الاسمية والجملة الفعلية في الكتاب، وانتهى هذا المبحث إلى غلبة الجملة الفعلية عند التوحيدي على الجملة الاسمية، وانتهى المبحث أيضًا لغلبة الفعل الماضي على المضارع والأمر، وتم تحليل هذه النتائج.

وتناول المبحث الثالث "النداء" في الكتاب من حيث البنية التركيبية التي تنوعت وتعددت أشكالها، ومن حيث دلالات النداء التي تعددت وخرجت عن معناها الحقيقي إلى معانٍ جديدة تُستفاد من السياق والقرائن.

وتناول المبحث الرابع: الاستفهام وميزاته التركيبية والدلالية.  
أما المبحث الخامس والأخير: فقد تناول الأمر وميزاته التركيبية والدلالية أيضًا.  
اختص الفصل الثاني من البحث بدراسة طرق ووسائل الربط في الكتاب. واشتمل هذا الفصل على ثلاثة مباحث.  
المبحث الأول: عني ببيان أهمية الربط في بنية اللغة، فالنص بنية مركبة متماسكة، حيث يؤدي الربط إلى تحقيق التماسك والترابط بين الكلمات كما يؤدي لحصول الخفة والإيجاز وأمن اللبس.  
والمبحث الثاني: اختص بدراسة الربط بالإحالة، وتعريف العنصر الإحالي بأنه مكون يعوض مكونًا آخر، وهو نوع من الربط يكون عن طريق إعادة الذكر، أو عن طريق الضمير أو عن طريق اسم الإشارة، وتنقسم الإحالة إلى قسمين، إحالة معجمية وإحالة نصية.  
المبحث الثالث: اختص بدراسة الربط بالأداة، مثل: حروف العطف، وحروف الجر، وأدوات الشرط، وغيرها، والفرق بين الربط بالإحالة والربط بالأداة أن وظيفة الربط بالأداة تلخيص معنى تحوي كالعطف، والشرط، والاستثناء، أما الربط بالإحالة فهو عملية تعليق واكتلاف.  
اختص الفصل الثالث: بدراسة المستوى الدلالي في الكتاب، وانقسم إلى ثلاثة مباحث.  
المبحث الأول: عني بالتعريف بعلم الدلالة وبعض القضايا المرتبطة به كعلاقة الدال بمدلوله وأنواع الدلالات، وقضية التغير الدلالي وأشكاله وميزاته، ثم تناول نظريات دراسة المعنى، "النظرية السياقية"، "نظرية الحقول الدلالية"، "نظرية التحليل



التكويني". وقد اعتمد هذا المبحث نظرية الحقول الدلالية لتكون هي النظرية التي يقوم عليها التحليل الدلالي للكتاب لما لها من ميزات خاصة تفيد الدراسة. المبحث الثاني من هذا الفصل: عُني بدراسة ألفاظ الحياة الصوفية في الكتاب من خلال نظرية الحقول الدلالية. وتم تقسيم ألفاظ الحياة الصوفية في الكتاب إلى ثلاثة مجالات دلالية فرعية.

- تناول المجال الدلالي الفرعي الأول: الألفاظ الخاصة بمقامات الصوفية: كالصبر، والشكر، والخوف، والتوكل، والتوحيد.
  - وتناول المجال الدلالي الفرعي الثاني: الألفاظ الدالة على المصطلحات الصوفية. كالعرفة، الإرادة، الإشارة، القبض والبسط.
  - وتناول المجال الدلالي الفرعي الثالث: الألفاظ الدالة على قوى الإنسان وعبوبها وفضائلها، كالنفس، والروح، والقلب، والسر، والعقل.
- المبحث الثالث: عُني بدراسة العلاقات الدلالية بين ألفاظ الحياة الصوفية، كالترادف، والتقابل، والمجاز... الخ، وهذه العلاقات الدلالية تجمع بين ألفاظ المجالات الدلالية الفرعية الثلاثة لتكون في النهاية المجال الدلالي الرئيسي الخاص بألفاظ الحياة الصوفية.
- وفي نهاية الدراسة، واحتراراً لوصف الدراسة بالنزعة الجزئية في التناول، فقد توفر ابننا أيمن عبد اللطيف على تحليل الرسالة الحادية والثلاثين من رسائل "الإشارات الإلهية" تحليلاً لغوياً على المستوى التركيبي، والمستوى الدلالي، وأشكال الربط في الرسالة.

---

← عبقريّة النثر العربي →

وقد استطاع أيمن عبد اللطيف التوصل إلى نتائج طيبة من خلال الجهد العلمي المتميز الذي بذله مما يجعلنا على ثقة بأن هذا الكتاب سيبسّد ثغرة حقيقية في مكتبة الدراسات اللغوية العربية .

نسأل الله تعالى أن يتقبل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم وأن يجعل منه علماً ينتفع به كاتبه وقارئه . إنه - سبحانه - سميع مجيب

أ.د. مصطفى رجب

سوهاج في ذي القعدة الحرام ١٤٢٨ هـ - نوفمبر ٢٠٠٧ م



### الشخصية الأسلوبية: مفهوماً وتجلياتهما

إن هناك تقارباً يحدث بين دارسي النصوص، ونقادها من جانب، وبعض اللغويين الذين يجعلون من الأدب مجالاً لدراستهم من جانب آخر من خلال ما يعرف بالدراسة الأسلوبية "فالأسلوب من أهم المقولات التي توحد بين علمي اللغة والأدب"<sup>(١)</sup> ودراسة الأسلوب ينبغي أن تتم في المنطقة المشتركة بينهما.

لقد تناولت الدراسات الحديثة مفهوم الأسلوب من زوايا متعددة في محاولة للوصول إلى مفهوم محدد "يمكن على أساسه أن تقوم دراسة موسعة تستوعب أنواع الأداء في مستوياتها المختلفة"<sup>(٢)</sup> إلا أننا لا نجد تعريفاً واحداً للأسلوب يتمتع بالقدرة الكاملة على الإقناع، ولا نظرية يجمع عليها الدارسون في تناوله. فمن الدارسين من اهتم بالعلاقة بين المنشئ والنص "وراح يلتمس مفاتيح الأسلوب في شخصية المنشئ وانعكاس ذلك في أسلوب اختياراته حال ممارسة الإبداع الفني"<sup>(٣)</sup>. ومن الدارسين من اهتم بالعلاقة بين النص والمتلقي فراح يلتمس مفاتيح الأسلوب في ردود الأفعال، والاستجابة التي يبديها القارئ أو السامع حيال المدييات الأسلوبية الكامنة في النص. ومن ثم رأى الأسلوب قوى ضاغطة على حساسية المتلقي<sup>(٤)</sup> أما أنصار الموضوعية في البحث فقد أصرّوا على عزل طرفي عملية الاتصال وهما المنشئ والمتلقي ورأوا وجوب التماس مفاتيح الأسلوب في وصف النص وصفاً لغوياً<sup>(٥)</sup> وحجّتهم في ذلك أن العمل الأدبي عبارة عن مادة لغوية، فكل عمل

١- علم الأسلوب، د/ صلاح فضل، القاهرة، مؤسسة مختار للنشر، ١٩٩٢، ص ٨٢.  
٢- بين البلاغة والأسلوبية، د/ محمد عبد المطلب، القاهرة، الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٨٤، ص ١٥.  
٣- الأسلوب دراسة لغوية إحصائية، د/ سعد مصلوح، القاهرة، دار الفكر العربي، ص ٢٩.  
٤- المرجع السابق، ص ٢٩.  
٥- المرجع السابق، ص ٢٩.

أدبي هو مجرد انتقاء من لغة معينة، ومن ثمّ يمكن تعريف الأسلوب بأنه "اختيار choice أو انتقاء selection يقوم به المنشئ لسمات لغوية معينة بفرض التعبير عن موقف معين ويدل هذا الاختيار أو الانتقاء على إتيان المنشئ وتفضيله لهذه السمات على سمات أخرى بديلة. ومجموعة الاختيارات الخاصة بمنشئ معين هي التي تشكل أسلوبه الذي يمتاز به عن غيره من المنشئين" (١).

والقول بأن الأسلوب اختيار أو انتقاء يوافق الطبيعة الإبداعية وما تشتمل عليه من سلسلة من الاختيارات، ولكن لا بد من التفريق بين نوعين من الاختيار، فليس كل اختيار يقوم به المنشئ أسلوبياً.

#### النوع الأول،

اختيار يقتضيه الموقف وهو اختيار نفعي\* ويكون بين سمات مختلفة تعني دلالات مختلفة (٢).

والثاني، اختيار نحوي أسلوبى تتحكم فيه مقتضيات التعبير الخالصة\* ويكون بين سمات مختلفة تعني دلالة واحدة (٣).

والحقيقة أن معالجة الأسلوب على أنه اختيار ليست بالأمر السهل، وذلك لأن التمييز بين السمات الصياغية التي تعني دلالة واحدة، وبين السمات الصياغية التي تعني دلالات مختلفة أمرٌ يبدو في كثير من الأحوال صعباً.

ويركز الاتجاه التوليدي في دراسة الأسلوب على الطابع الشخصي للأساليب باعتبارها شذيلاً للملامح المميزة للكاتب، وتتصل بذلك أيضاً مجموعة التعريفات التي

١- الأسلوب دراسة لغوية إحصائية، ص ٢٣.

٢- المرجع السابق، ص ٢٥.

٣- المرجع السابق، ص ٢٥.

تنظر إلى الأسلوب باعتباره اختياراً لغوياً بين بدائل متعددة إذ إن الاختيار سرعان ما يحمل طابع صاحبه ويشي بشخصيته ويشير إلى خواصه<sup>(١)</sup> فالأسلوب عند أصحاب هذا الاتجاه متعلق بصاحبه "بماضي صاحبه وطفولته، وطقوسه الخاصة، وبيولوجيته، إنه أي الأسلوب - الكلام المكتفي بنفسه، المعزول الذي يغرق في مقولوجية الأديب الشخصية الخفية"<sup>(٢)</sup>.

لقد تعددت الخلافات بين الباحثين لتحديد مفهوم الأسلوب نتيجة "لتعدد الوجهات النظرية حول مفهوم الأسلوب وطرائق توصيفه"<sup>(٣)</sup> والنتيجة التي نخلص إليها من كل ذلك هي أن مفهوم الأسلوب ليس بسيطاً ولا سهلاً يمكننا أن نقبضه بدون عناء بل يحتاج إلى جهد كبير في مقارنة النصوص، ومحاولة الوصول إلى ميزات الخاصة كما نلاحظ أن "هذا المفهوم ذاته - أي مفهوم الأسلوب يختلف في طبيعة تكوينه من جنس أدبي إلى آخر لارتباطه بنظريات الشعرية وتقنيات التعبير الخاصة بكل جنس أدبي"<sup>(٤)</sup>.

وعلى الرغم من تعدد الآراء والتعريفات الخاصة بالأسلوب إلا أن هناك قاسماً مشتركاً بين هذه الآراء كلها\*، وهو اعتبار الأسلوب استعمالاً خاصاً للغة يقوم على استخدام عدد من الإمكانيات والاحتمالات المتاحة والتأكيد عليها في مقابل إمكانيات واحتمالات أخرى<sup>(٥)</sup>.

وهذا ما دعا بعض الدارسين إلى القول بأن اللغة ثوب الفكرة، أما الأسلوب فهو فصال الثوب وطرازه الخاص.

١- مناهج النقد المعاصر، د/ صلاح فضل، أفريقيا للنشر، الدار البيضاء، ٢٠٠٢ م، ص ٨٩.  
٢- مجلة فصول، مقال بعنوان الأسلوبية الثانية أو الثبوتية، عبد الله حوله، المجلد الخامس - العدد الأول، ١٩٨٤.  
الكتاب.

٣- مناهج النقد المعاصر، ص ٨٩.

٤- المرجع السابق، ص ٨٩.

٥- الأسلوب دراسة لغوية إحصائية، ص ٣٣.

والقارئ المتمرس يستطيع أن يميز بين مختلف الأساليب، وربما يستطيع أن ينسب نصا من النصوص إلى كاتب بعينه على غير سابق عهد بقراءة النص دون أن يخطئ بل دون أن يتردد أحيانا وهذا التمييز سلاحه الحدس والذوق، وكلها حاصل خبرات سابقة متراكمة مع أنواع مختلفة من أنماط الأساليب.

وقد كان أبو حيان التوحيدي صاحب شخصية أسلوبية واضحة، حيث امتاز بثقافة واسعة يسرت له أن يغذي أدبه بالوان من العلوم، فلم يكن أدبه مثل أدب معاصريه من الكتاب تعبيراً صرفاً عن عاطفته الفردية، وإنما كان غنبا بثقافات شتى.

لقد كان التوحيدي بصيراً بما يتطلب التعبير الفني من دقة وجهد فهو صاحب حس لغوي دقيق في وضع الكلمات المواضع الملائمة لها<sup>(١)</sup> مع ملاحظة قرانها بما بعدها، وما قبلها وانتهاءً بأدائها للمعنى المراد الذي يصبو إليه<sup>(٢)</sup>.

ومثلما اهتم التوحيدي بالكلمة التي هي الأساس الأول لبناء العبارة، اهتم كذلك بانتخاب الجملة لأدبه من حيث صياغتها وتركيبها، ويغلب على أبي حيان التوحيدي "إثارة الإطناب سواء أكان بالكلمات المترادفة التي تؤدي معنى واحداً، أو معاني جد متقاربة، أم يكرر المعنى بعبارة مغايرة"<sup>(٣)</sup>.

وقد حرص التوحيدي على هندسة الجمل، فبرع في التنعيم الموسيقي لها وذلك "بتقسيمها إلى فقرات قصار متناسبة الملول يكثر فيها الازدواج، ليكون أثرها على السمع وفي النفس أشبه بالشعر"<sup>(٤)</sup>، كما طوع التوحيدي النثر للتعبير عن المعاني العاطفية التي

١- أبو حيان التوحيدي وجهوده الأدبية والفنية، عبد الواحد حسن الشيوخ، ط ١، القاهرة: الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٨٠، ص ٢٢١.

٢- أبو حيان التوحيدي، أحمد الموقفي، القاهرة: نهضة مصر، د.ت، الجزء الثاني، ص ١٤.

٣- المرجع السابق، ص ١١٧.

كانت مجالاً للشعر وحده "كالندح والهجاء والوصف وكانت وسيلته إلى ذلك تقسيم الجمل والازدواج، والسجع، والخيال، والمحسنات" (١).

كما عمد التوحيدى إلى استخدام التضاد بكثرة بغرض زيادة الأفكار وضوحا وقوة لا ليتلاعب باللفظ.

\* فما أشبهه بالصور الحاذق الذي يستطيع أن يوزع الألوان على لوحه فتزيدها بهجة، وتظهر الأبعاد الفنية والارتباطات الهندسية، والعلائق الجمالية للوحة<sup>(٢)</sup>.

١- المرجع السابق، ص ٢٢.

٢- أبو حنبل التوحيدي وجهوده الأدبية والفنية، ص ٣٦٦.





## المبحث الأول

## ترجمة موجزة لأبي حيان التوحيدي

وردت ترجمات عديدة عن أبي حيان التوحيدي في كتب التراث<sup>(١)</sup> وكان لياقوت الحموي (ت ٦٢٦ هـ) قصب السبق في تقديم ترجمة وافية عن أبي حيان التوحيدي. حيث قال:

هو علي بن محمد بن العباس أبو حيان التوحيدي شيرازي الأصل. وقيل نيسابوري ووجدت بعض الفضلاء يقول له الواسطي<sup>(٢)</sup> وذكر ابن خلكان. ت (٦٨١ هـ) في لقب التوحيدي: "يفتح الثناء المثناة من فوقها. وسكون الواو وكسر الحاء المهملة. وسكون الباء المثناة من تحتها ومن بعدها دال مهملة. ولم أر أحدا فيمن وضع كتب الأنساب تعرض إلى هذه النسبة لا السمعاني ولا غيره، ولكن يقال أن أباه كان يبيع التوحيد ببغداد وهو نوع من التمر<sup>(٣)</sup>."

<sup>١</sup> - ترجمة أبي حيان التوحيدي في:

- \* معجم الأدياء لياقوت الحموي، ت ٦٢٦ هـ، تحقيق: إحسان عباس، ط ١، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٣ م، ج ٥ ص ١٩٢٣.
- \* وفیات الأعيان لابن خلكان، ت ٦٨١ هـ، بيروت، دار صادر، د.ت، المجلد الخامس، ص ١١٢، ١١٣.
- \* تهذيب الأسماء واللغات، لأبي زكريا محيي الدين بن شرف التوحي، ت ٦٨١ هـ، بيروت، دار الكتب العلمية، د.ت، الجزء ٢، قسم ١، ص ٢٢٣.
- \* سير أعلام النبلاء للإمام شمس الدين محمد بن عثمان الذهبي، ت ٧٤٨ هـ، شعيب الأرناؤوط - محمد نعيم العرقسوس، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤١٧ هـ، ١٩٩٦ م، ص ١١٩.
- \* طبقات الشافعية الكبرى، لتاج الدين نصر بن عبد الوهاب السبكي، ت ٧٧١ هـ، تحقيق: محمود محمد الطنحلي، عبد الفتاح محمد الحلوة، ط ١، عيسى الحلبي وشركاه، ص ٢٥٦.
- \* لسان الميزان، لابن حجر العسقلاني، ت ٨٥٢ هـ، ط ٣، بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ١٤٠٦ هـ، ١٩٨٦ م، ج ٤، ص ٢٥٨.
- \* بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، للحافظ جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت، المكتبة العصرية، المجلد الثاني، ص ١٩٠.

<sup>٢</sup> - معجم الأدياء لياقوت الحموي، ص ١٩٢٣.

<sup>٣</sup> - وفیات الأعيان لابن خلكان، ص ١١٢، ١١٣.

وقد ذكر السيوطي ذلك فقال: "أبو حيان التوحيدي نسبة إلى التوحيد نوع من التمر قال شيخ الإسلام بن حجر: "يحتمل أن يكون إلى التوحيد الذي هو الدين فإن المعتزلة يسمون أنفسهم أهل العدل والتوحيد".<sup>(١)</sup>

وقد ذكر الأستاذ أحمد أمين في كتابه ظهور الإسلام أن كلمة "التوحيدي" مشتقة من معنى التوحيد، والتزويه لله - سبحانه وتعالى - حين قال: "أعتقد بعد هذه النصوص كلها من واقع كتبه، وفي ثنايا كتابته أن التسمية بالتوحيدي مؤسسة على هذه اللفظة التي شاع استعمالها عنده لفظاً، وحققها فعلاً في تصرفاته فانتطبق القول على الفعل عسي بها".<sup>(٢)</sup>

وقد سار في الاتجاه نفسه أستاذنا الدكتور مصطفى الشكعة حيث قال: "استهلالاته يعني أبا حيان التوحيدي - لكتبه التي تفيض إيماناً، وتمتلي توحيداً بحيث يمكن أن يكون ذلك هو السبب في تلقيبه بالتوحيدي".<sup>(٣)</sup>

وقد لاحظت أن كل من قام ببيان سبب تلقيب أبي حيان بالتوحيدي استخدم ألفاظ الاحتمال والترجيح، حيث قال ابن خلكان: "يقال إن أباه كان يبيع التوحيد"، وقال السيوطي ناقلاً عن ابن حجر العسقلاني: "يحتمل أن يكون إلى التوحيد الذي هو الدين" وهو قول لا أمل إليه ولا أرجحه، لأن أبا حيان لم يكن ذلك العلم البارز في أهل الاعتزال حتى يلقب بالتوحيدي، ولو كان هذا اللقب نسبة إلى التوحيد الذي هو الدين لكان هناك من هو أولى من أبي حيان بهذا اللقب.

١- بغية الوعاة للسيوطي، المجلد الثاني، ص ١٩٠.  
٢- ظهور الإسلام، أحمد أمين، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٥٢، ج ٢، ص ٤٣.  
٣- معالم الحضارة الإسلامية، د/ مصطفى الشكعة، ط ٥، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٧م، ص ١٨٢.

وأما رأي الأستاذ أحمد أمين والدكتور مصطفى الشكعة وإن كان رأيا له وجهته فإني لا أرجحه، وذلك لأن وجود الفاظ التوحيد والإيمان والتنزيه لله: - سبحانه وتعالى هو من سمات الأدب الصوفي بصفة عامة عبر العصور فوجود هذه الألفاظ والعبارات عند التوحيدي لا تعد ميزة انفرد بها.

والذي يرجحه الباحث أن التوحيدي نسبة إلى النوحيد - نوع من التمر - والتوحيد الذي هو ضرب من التمر شديد الحلاوة هو الذي عناه المتنبي في قوله في داليته: يترشفن من فمي رشقات... هن فيه أحلى من التوحيد<sup>(١)</sup>

وذلك لأن صاحب هذا الرأي هو ابن خلكان وهو من المصادر القريبة من أبي حبيب التوحيدي وعصره وحياته بالمقارنة بغيره من المصادر التي تحدثت عنه، وليس هناك ما يمنع أن يكون والده قد باع "التوحيد" واشتهر به ومن ثم اشتهر به ابنه من بعده.

كما اختلف دارسو التوحيدي في تحديد سنة ميلاده فذكر حسن السندوبي أنه ولد في سنة ٣١٢ هـ معتمدا على الرسالة التي كتبها للقاضي أبي سهل معتذرا له فيها عن إحراقه لكتبه وأرخها سنة ٤٠٠ هـ وذكر فيها "إني في عشر التسعين"<sup>(٢)</sup>

يقول الدكتور إبراهيم الكيلاني<sup>(٣)</sup> إن كتاب المقاييس الذي ألفه سنة ٣٦٠ هـ وكان عمره يومذاك خمسين عاما بدليل قوله: وما يرجو المرء بعد الالتفات إلى الخمسين حجة وقد أضع أكثرها وقصر في باقيها دليل على أنه ولد سنة ٣١٠ هـ

١- ديوان المتنبي، ت دا/ عبد الملمع خفاجي - سعيد جودة السحار - عبد العزيز شرف، القاهرة، مكتبة مصر، بدون عام نشر، ص ١١١.  
٢- المقاييس، للتوحيدي، ت حسن السندوبي، ط ٢، الكويت، دار سعد الصباح، ١٩٩٢، ص ٨.  
٣- أبو حيان التوحيدي، إبراهيم الكيلاني، ط ٢، القاهرة، دار المعارف، د.ت، ص ١٢.

أما الدكتور ذكي مبارك فقد أعفى نفسه من مشقة البحث وراء عام ولد فيه التوحيدي فقال: "لا تسأل متى ولد ولا أين فذلك رجل نشأ في بيئة خاملة"<sup>(١)</sup> وأعتقد أن تحديد زمن دقيق لميلاد التوحيدي أمر من الصعوبة بمكان حتى تلك التواريخ التي ذكرت في كتب أبي حيان التوحيدي لا تكفي لتحديد زمن ميلاده؛ وذلك لأن مؤلفي تلك العصر ومنهم التوحيدي كانوا يؤلفون كتبهم على فترات طويلة من الزمن، وما يذكر من تواريخ داخل هذه المؤلفات لا يمكن اعتباره سنداً تاريخياً؛ لأنها لا تتفق تماماً مع الواقع وقد اعتمد كل من السندوبي وإبراهيم الكيلاني على هذه التواريخ في تحديد العام الذي ولد فيه التوحيدي.

كما اختلف الدارسون أيضاً في تحديد السنة التي توفي فيها التوحيدي، وذلك اعتماداً على آراء المترجمين، فقد ذكر السيوطي أنه "مات في حدود الثمانين والثلاثمائة"<sup>(٢)</sup> وهو أمر لا أرجحه وذلك لأن أبا حيان كتب رسالة إلى القاضي أبي سهل يعتذر له فيها عن إحراقه لكتبه عام ٤٠٠ هـ وقال الذهبي: "قد سمع منه أبو سعد عبد الرحمن بن مجة الأصبهاني، وذلك سنة أربعمائة وهو آخر العهد به"<sup>(٣)</sup> أما القزويني فذهب إلى أنه توفي سنة ٤١٤ هـ حيث وجد ذلك مكتوباً على قبره في شيراز، وهو ما يرجحه الباحث وفقاً للرواية التي رواها أبو العباس أحمد زركوب عن أبيه<sup>(٤)</sup>.

وامتد الخلاف إلى أصل أبي حيان التوحيدي، فعبارات المترجمين بداية من ياقوت الحموي الذي قال عنه: "شيرازي الأصل، وقيل نيسابوري ووجدت بعض الفضلاء يقول له الواسطي" تدل على أنه فارسي الأصل، وقد تناقل القدماء والمحدثون هذا الكلام، فذهب

١- النثر الفني في القرن الرابع الهجري، د/ ذكي مبارك، بيروت، دار الجيل، د.ت، ص ٣٥١.

٢- بغية الوعاة، ص ١٩١.

٣- سير أعلام النبلاء، ص ١١٩.

٤- أبو حيان التوحيدي أحمد الموفى ص ٢٥.

السيوطي إلى أنه فارسي، وذهب الدكتور ذكي مبارك إلى أنه "فارسي الأصل"<sup>(١)</sup> وكذلك حسن السندوي في مقدمته لكتاب "المقاسبات" الذي قام بتحقيقه ولكن الأستاذ محمد كرد علي<sup>(٢)</sup> يخالف هذا الرأي فقد ذهب إلى أن أبا حيان التوحيدي عربي الأصل، واستند في ذلك إلى مجموعة من الأدلة منها اسم أبي حيان التوحيدي، واسم والده وجده ليس فيها أسماء فارسية، كما أن أبا حيان التوحيدي لم يكن يعرف اللغة الفارسية ولا يوجد في كتبه ما يدل على أنه فارسي، كما لم يذكر عنه تعصبه للفارسية في فترة انتشر فيها الافتخار بالفارسية، وكانت حركة الشعوبية في أوج نشاطها بل على العكس من ذلك عرف عنه حبه للعربية، وتعصبه لها ضد الفارسية.

وأميل إلى موافقة الأستاذ محمد كرد علي فيما ذهب إليه من عروية أبي حيان التوحيدي وأرى أن السبب فيم ذكره ياقوت، عن أبي حيان التوحيدي من أنه فارسي وتناقل الجميع بعد ذلك عنه هذا القول هو أن أبا حيان التوحيدي عاش فترة كبيرة من حياته متنقلاً في هذه البلاد وليس في ذلك ما يمنع أن يكون عربياً خالصاً مع انعدام وجود أي دليل على أنه فارسي، وقد ورد في تلقيبه بالتوحيدي على لسان ياقوت نفسه أن والده كان يبيع "التوحيد" بالعراق وهو ما يدل على أنه نشأ بالعراق.

وإذا تخطينا مرحلة الحديث عن سنة ميلاد التوحيدي وأصله، وعن وفاته إلى مكانته نعرف أن التوحيدي أحد علمائنا الموسوعيين.

يقول الدكتور مصطفى الشكعة: "واحد من ألمع ثمرات الفكر الإسلامي، وأكثرها نضوجاً فهو صاحب عقلية من أكثر العقليات الإسلامية خصوبة، وعطاء، وتفجراً

١- النثر الثاني، ص ٣٥١.  
٢- أبو حيان التوحيدي، أحمد الحوفي، ص ٢٦-٢٨.

بالنفس من القول والسديد من الرأي والوفير من الإنتاج والسخي من العطاء<sup>(١)</sup> كما يعد التوحيدي مرآة ناصعة لثقافة عصره التي قطف ثمارها الفلسفية والصوفية، والبلاغية والإسلامية.

لقد حصل أبو حيان ثقافته من تلك الكتب التي قراها في مكتبات بغداد، ومن الكتب التي كان ينسخها وتنوعت مصادر ثقافته "فأخذ الحديث عن أبي بكر الشافعي، وأبي سعيد السيرافي، وجعفر الخَلدي ولعله أخذ عنه التصوف<sup>(٢)</sup> وأخذ الفقه عن أبي حامد الرويني<sup>(٣)</sup> وأخذ اللغة والبلاغة عن الرُّماني. قال الذهبي: "وكان من تلامذة علي بن أبي عيسى الرماني<sup>(٤)</sup>، وكذلك عن أبي سعيد السيرافي وهو شديد الإعجاب به" كما درس الفلسفة على يد أبي ذكريا يحيى بن عدي المنطقي ٣٦١ هـ، وقرأ في بغداد على أبي سليمان المنطقي كتاب النفس لأرسطو سنة ٣٧١ هـ<sup>(٥)</sup>.

ولم يكن غريبا بعد ذلك كله أن تتعدد مؤلفات أبي حيان التوحيدي لتشمل أغلب فنون المعرفة الإسلامية، وقد ذكر لنا ياقوت الحموي طائفة من تلك المؤلفات القيمة مثل "كتاب رسالة الصديق والصدّاق - كتاب الرد على ابن جني في شعر المتنبي - كتاب الإمتاع والمؤانسة جزءان - كتاب الإشارات الإلهية جزءان - كتاب الزلّة جزء - كتاب المقابلة - كتاب رياض العارفين - كتاب تقريظ الجاحظ - كتاب ذم الوزيرين - كتاب الحج العقلي إذا ضاق القضاء عن الحج الشرعي - كتاب الرسالة في صلات الفقهاء في المناظرة - كتاب الرسالة البغدادية - كتاب الرسالة في أخبار الصوفية - كتاب الرسالة

١- معالم الحضارة الإسلامية، ص ١٨٣.

٢- طبقات الشافعية، ص ٢٥٦.

٣- المرجع السابق، ص ٢٥٦.

٤- سير أعلام النبلاء، ص ١١٧.

٥- أبو حيان التوحيدي، أحمد الحوفي، ص ٣٠.

الصوفية - أيضا كتاب الرسالة في الحنين إلى الأوطان - كتاب البصائر، وهو عشر مجلدات وكل مجلد له فاتحة وخاتمة. كتاب المحاضرات والمناظرات<sup>(١)</sup> ولم يذكر ياقوت الحموي كتاب الهوامل والشوامل وهو شركة بينه وبين مسكويه.

ويحدثنا ياقوت الحموي عن صفات أبي حيان فيقول: "صوفي السميت والهيئة وكان يتأله" ثم يقول: "كان متفنتا في جميع العلوم من النحو واللغة، والشعر والأدب، والفقه والكلام على رأى المعتزلة، وكان جاحظيا يسلك مسلكه، ويتمنى أن ينتظم في سلكه: وهو شيخ في الصوفية، وفيلسوف الأدباء، ومحقق الكلام ومتكلم المحققين، وإمام البلغاء"<sup>(٢)</sup> لقد كان ياقوت الحموي أمينا في عرض صفات أبي حيان فلم يكتف بعرض محاسنه بل ذكر مثاليه فقال: "سخيف اللسان قليل الرضى عند الإساءة إليه والإحسان الذم شأنه، والثلب دكانه، وهو مع ذلك فرد الدنيا الذي لا مثيل له ذكاء وقطنة، وقصاحة ومكنة، كثير التحصيل للعلوم"<sup>(٣)</sup> ثم قال: "وكان مع ذلك محدودا محارفا يتشكى صرف زمانه، ويبكى في تصانيفه على حرمانه، ولم أر أحدا من أهل العلم ذكره في كتاب، ولا دمجته ضمن خطاب وهذا من العجب العجائب"<sup>(٤)</sup>

إذا لم يكن التوحيدى مزودا بتلك الأخلاق الفاضلة التي تعدل علمه وأدبه "ولو أنه كان كذلك لصار نادرة في دهره، ومثلا عاليا في عصره، ويعد عصره لكن الرجل كان في أخلاقه بشرا عاديا"<sup>(٥)</sup>

١- معجم الأدباء، ياقوت الحموي، ص ١٩٢٥.  
٢- المرجع السابق، ص ١٩٢٤.  
٣- المرجع السابق، ص ١٩٢٤.  
٤- المرجع السابق، ص ١٩٢٤.  
٥- أبو حنيفة التوحيدى، أحمد الحوفي، ص ٢٤.



ويتفق الدكتور الشكعة مع ما قاله ياقوت الحموي عن أبي حيان وما ذكره من محاسن ومن مثالب، ويفسر ذلك فيقول: "على الرغم من وفرة علمه، وحدة ذكائه كان محروما من أن ينال قدرا من الاحترام يليق بمن كان له مثل حظه من العلم والمعرفة"<sup>(١)</sup> والباحث يبيل إلى الاطمئنان إلى هذه الأحكام خاصة أن مطالعة أعماله التي بين أيدينا تظهر لنا مدى الثقافة التي كان يتمتع بها التوحيدي وصفاته التي كان معروفا بها لكن الباحث يلتبس لأبي حيان التوحيدي العذر كله، فهو رجل نشأ في هجير الفاقة والبؤس، وسط مجتمع نعم بالثراء والغنى، وتقدير الأدياء والعلماء، اضطرتته الحياة إلى أن يأكل حشيش الأرض، فلا عجب في أن يتشكى صرف زمانه، وأن يحقد على الآخرين، وأن الإنسان ليرثى لشكواه وهو ذلك الرجل الموسوعي الذي حظى من كل العلوم بطرف إلا أن "أحداث دهره قهرته على المشي فوق تلك الأشواك: أشواك الملق والمداهنة والرياء، فمشى مجروح القلب، مقتول النفس، مطعون الوجدان، وكان اقترافه لخزبات الضعة والهوان مما يضرر في نفسه ثورة الحقد على الرؤساء المسعورين الذين لا ينال فيض ما لديهم بغير أسباب الخسة والدناءة والإسفاف"<sup>(٢)</sup>.

وعلى الرغم من هذا كله فإن من الدارسين من يرى أن نبوغ أبي حيان التوحيدي يرجع إلى حقه وثورته على الحياة والأحياء فيقول الدكتور زكي مبارك: "ولا تراه يجيد إلا حيث يتحدث عن نكد دنياه وسواد لياليه"<sup>(٣)</sup>. وأظن أنها عبارة على سبيل المبالغة في الإعجاب بكتابة أبي حيان وإجادته في هذه الظروف، ولا ينفي هذا إجادته بصفة عامة.

١- معالم الحضارة الإسلامية، ص ١٨٢.  
٢- النثر الفني في القرن الرابع الهجري، د/ زكي مبارك ص ١٦٤.  
٣- المرجع السابق، ص ١٦٤.

إنه مما لا شك فيه أن أبا حيان قدم لنا الكثير من الإيجابيات، فهو الذي سجل لنا الثقافة العربية في شتى فروعها وفي أزهر عصورها بحيث اعتبرتنا مرة ناصعة للثقافة عصره، وهو في هذا ليس بالعايد إنما هو أديب مفكر له هئاته وله مميزات، وهو مع هذا أيضا كان بارعا مجيدا فهو "أبرع كتاب العربية وأملكهم لزمامها"<sup>(١)</sup>.

وعلى الرغم من أنه كان جاحظي المنهج والمسلك كما يذكر ياقوت فإنه تفوق على الجاحظ فيذكر الأستاذ أحمد أمين أنه فضل على الجاحظ في ناحيتين: جزالة اللفظ وسعة العلم وفضل الجاحظ على أبي حيان في طرافة التصوير وجمال العرض "فالجاحظ كان مسجل القرن الثاني وفي القرن الثاني نشأت العلوم وأبو حيان مسجل القرن الرابع وقد نضجت العلوم وشتان بين علم ناشئ وعلم ناضج"<sup>(٢)</sup>. فقد نهل أبو حيان من معارف العالم الإسلامي وأفاد من جهود الحضارة الإسلامية ما لم يتح للجاحظ وأمثاله البارعين. وعن عقيدة التوحيدى وفكره دار خلاف كبير بين القدماء فمنهم من اتهمه في عقيدته فرماه بالزنيخ والإلحاد والفسق والإفساد، ومنهم من براه وانتصف له من هذه التهمة الخطيرة التي تأتي على مكانته الأدبية والعلمية وتلقى على إنتاجه طلالا من الشك. إن آراء المفكرين وعقائدهم تؤخذ من خلال أعمالهم وكتاباتهم الشخصية لا من خلال ما يكتب عنهم في ظل جهل بالأبعاد المذهبية والعقائدية لأصحاب هذه الكتابات فلا يكفى أن يطلق أحد المؤثرين إشاعة ما، وتتردد بعض الوقت إلى أن يقدم أحدهم على تدوينها فتبدو كأنها حقيقة.

١- أبو حيان التوحيدى، اللغة والعجز عن التعبير، د/ واد القانسي، مجلة فصول، القاهرة، الهيئة العامة للتصور  
الثقافة، شتاء ١٩٩٦، مجلد ١٤، عدد ٤ ص ٥٧.  
٢- أبو حيان التوحيدى، أحمد الموفى، ص ٢٤.

بدأ الحديث عن عقيدة التوحيدى باتهام ابن فارس المتوفى فى القرن الرابع الهجرى له فى عقيدته فقال فى كتاب "الفريدة والخريدة": كان أبو حيان كاذبا قليل الدين والورع عن القذف والمجاهرة بالبهتان، وتعرض لأمور جسام من القذف فى الشريعة والقول بالتعطيل<sup>(١)</sup>، وتبعه ابن الجوزي ت ٥٩٧ هـ حيث قال: "زنادقة الإسلام ثلاثة: ابن الراوندي، والتوحيدى، وأبو العلاء، وشرهم على الإسلام التوحيدى لأنهما صرحا وهو مجمع ولم يصرح"<sup>(٢)</sup>، وفى نفس هذا الاتجاه سار الحافظ الذهبي ت ٧٤٨ هـ: "الضال الملحد أبو حيان على بن محمد بن العباس"<sup>(٣)</sup>.

وعلى النقيض من هذه الفئة من العلماء نجد من أنصف أبا حيان ودفع عنه تلك التهمة فى مقدمتهم ابن النجار الذي كان معاصرا لابن الجوزي لكنه خالفه الرأي فقال عن التوحيدى: "كان فقيرا صابرا متدينا، قال وكان صحيح العقيدة"<sup>(٤)</sup> أما ياقوت الحموي فقال عنه: "صوفي السميت والهيئة وكان يتأله"<sup>(٥)</sup>، وقال عنه تاج الدين عبد الوهاب بن عبد الكافي السبكي، ت ٧٧١ هـ: "لم يثبت عندي من حال أبي حيان ما يوجب الوقعة فيه، ووقفت على كثير من كلامه فلم أجد فيه إلا ما يدل على أنه كان قوى النفس مزديريا بأهل عصره، ولا يوجب هذا القدر أن يقال منه هذا النيل"<sup>(٦)</sup>.

تلك هي أراء القدماء فى عقيدة أبي حيان التوحيدى تحمل الكثير من المتناقضات التي يجب علينا تفسيرها، وذلك من خلال الوعي بدور العامل المذهبي لأصحاب هذه الآراء ودور التكوين الفكري والتجربة الحياتية لكل منهم، وهذا كفيل بحل الغاز هذه المتناقضات<sup>(٧)</sup>.

١- سير أعلام النبلاء، ص ١١٩.  
٢- بغية الوعاة، ص ١٩٠.  
٣- سير أعلام النبلاء، ص ١١٩.  
٤- المرجع السابق، ص ١٢١.  
٥- معجم الأنبياء، ياقوت الحموي، ص ١٩٢٥.  
٦- طبقات الشافعية، ص ٢٥٦.  
٧- أبو حيان التوحيدى، محمد عمارة، ص ٨.

فابن فارس الذي كان معاصرا لأبي حيان والذي بدأ سلسلة الاتهام له كان أستاذا لابن عماد وابن العميد اللذين هجأهما أبو حيان. كما أن أبا حيان ذم ابن فارس ذما شديدا كعادته في ثلب الناس دون تفرقة فوصف - ابن فارس بالرعونة والمكر والخسة والكذب، والغيبة<sup>(١)</sup> ومن المرجح أن ابن فارس أراد أن يثار منه ويشوه سمعته فالصق به تهمة الزندقة.

أما ابن الجوزي فقد كان حنبليا من أهل الأثر الذين يضيقون بأهل الرأي، وكان التوحيدي معدودا من بينهم.

ونجد العجب إذا طالعنا سبب اتهام ابن الجوزي للتوحيدي بالزندقة يقول: "إنه مجحوم ولم يصرح" ويرد عليه حسن السندوي ردا بليغا فيقول: "أرايت كيف يتعرض ابن الجوزي لما لم يجزه العقل ولا الدين... فتسرب في ملوايا الضمائر وتولج خفايا النفوس واستخراج من سويداوات الأفئدة ما أباح له الحكم بأن أبا حيان كان أشد على الإسلام من سواه"<sup>(٢)</sup> فما دام أبو حيان لم يصرح بفسق أو كفر فكيف حكم عليه ابن الجوزي وكيف وصفه بالزندقي؟

وقد دفع السبكي عن التوحيدي اتهام الذهبي له بالزندقة وبين السبب في ذلك فقال: "الحامل للذهبي على الوقعية في التوحيدي هو ما يملئه - يعني الذهبي - من بغض للصوفية"<sup>(٣)</sup>.

أما ابن النجار فقد كان شافعيًا كالتوحيدي. ولم يكن طرفا في نزاعات المتكلمين فجاء حكمة على التوحيدي معتدلا منصفًا. وكذلك السبكي الذي كان شافعيًا أيضا وصنف

١- الإمتاع والمؤانسة، أبو حيان التوحيدي، ت أحمد أمين - أحمد الزين بيروت مكتبة الحياة، د، ت ٣ ص: ١١٥.  
٢- المقاييس، ت/ حسن السندوي، ص ١٦.  
٣- طبقات الشافعية، ص ٢٥٦.

"طليقات الشافعية" وقد عانى من تعصب شيوخ عصره فقراً التوحيدي وكتب عنه كتابه الخبير<sup>(١)</sup> وانتصر له ورد تهمة الزندقة والإلحاد.

والحقيقة أن كلام أبي حيان التوحيدي ينقض دعوى خصومه فرميه بالزندقة وقذفه بالإلحاد أمر يصعب تصديقه "فليس بين أيدينا من كتبه التي نجت من الإحراق إلا ما يثبت شدة تدينه. وعمق إيمانه. وتسبيح الله بعبارة بلغت من الرصانة والإشراق بحيث تصلح لأن تكون أورد عبادة"<sup>(٢)</sup>. وإكمالا لمسلل الخلاف حول أبي حيان التوحيدي نجد بعض الدارسين المحدثين يختلفون حول تصوف التوحيدي فالدكتور يوسف زيدان نشر مقالا في مجلة "الهلال"<sup>(٣)</sup> وأردفه بمقال آخر في مجلة "فصول"<sup>(٤)</sup> قطع فيهما أية علاقة للتوحيدي بالتصوف بل ووصل به الأمر إلى إنكار نسبة كتاب "الإشارات الإلهية" للتوحيدي مستندا في ذلك إلى عدة أمور هي<sup>(٥)</sup>:

١- من شروط التصوف الزهد ولم يكن التوحيدي زاهدا. وإن مطالعة سيرته تنفى أية علاقة له بالتصوف.

٢- الشيخ شرط من شروط التصوف، وللصوفية كلام مطول في ضرورة صحبه المريد لشيخ يأخذ بيده في زمن البداية. لأنه سلك طريق الحق. وعرف المخاوف والمهالك والحدود فتولى تربية المريدين ولم يكن للتوحيدي شيخ في التصوف.

٣- من الأمرين السابقين ينطلق الدكتور يوسف زيدان لينكر نسبة كتاب "الإشارات الإلهية" لأبي حيان ويذكر أسبابه أيضا فيقول:

١- أبو حيان التوحيدي، محمد صابرة، ص ٨.

٢- معالم الحضارة الإسلامية، ص ١٨٢.

٣- التوحيدي والصوفية، يوسف زيدان، مجلة الهلال، القاهرة، نوفمبر ١٩٩٥، ص ٩٠.

٤- هل كان التوحيدي صوفيا أم فيلسوفا، يوسف زيدان، مجلة فصول، القاهرة، تصور الثقافة، العدد الأول، مجلد ١٥ ربيع ١٩٩٦م.

٥- المرجع السابق، ص ٢٤.

- أ- إن بنية الكتاب العامة تخالف أعمال التوحیدی.
- ب - الإشارات كتاب كتبه مؤلفه بعد أن بلغ السبعين فإن كان التوحیدی كتبه في حدود سنة ٢٨٠ هـ، وهو ما لا يتفق فقد كان التوحیدی في هذه الفترة وبعدها يحرق كتبه ويرسل رسالته إلى الوزير أبي سهل سنة ٤٠٠ هـ حاقدا مغیظا حانقا على الناس، وكتاب الإشارات ملؤه الإيمان والصدق.
- ج- صاحب الكتاب شاعر مطبوع ولم يكن التوحیدی شاعرا.
- د - لا توجد أية إشارة إلى هذا الكتاب في كتب التوحیدی الأخرى.
- وقد وافق الدكتور محمد عمارة الدكتور يوسف زيدان فيما ذهب إليه ويرر ذلك: "بديوية منهج التوحیدی فی الحياة"<sup>(١)</sup> وسيرته وأخلاقه التي وصفه بها ياقوت الحموي، والتي ذكرها عنه الشيخ أبو الوفاء المهندس، والتي تنفى أن يكون التوحیدی أحد أعلام الصوفية.
- الواقع أن إشكالية انتساب التوحیدی للتصوف أحدث ما واجهه من إشكاليات انفراد بذلك الدكتور يوسف زيدان وتبعه في ذلك الدكتور محمد عمارة، وعلى كثرة من تناول أبا حيان في القديم، والحديث لم نجد منهم من يتشكك في نسبة أبي حيان للتصوف بداية من ياقوت الحموي الذي يقول عنه: "صوفي السميت والهيئة"<sup>(٢)</sup> ولم يخالفه أحد في ذلك حتى أن السبكي (ت ٧٧١ هـ) يعلل بغض "الذهبي ت ٧٤٨ هـ) للتوحیدی ووقعته فيه "ما يبطلنه من بغض للصوفية"<sup>(٣)</sup>، ويصف السبكي أبا حيان بـ "المتكلم الصوفي"<sup>(٤)</sup> ووصفه

١- أبو حيان التوحیدی، د. محمد عمارة، ص ٢٤.

٢- معجم الأدياء، ص ١٩٢٥.

٣- طبقات الشافعية، ص ٢٢٨.

٤- المرجع السابق، ص ٢٢٨.

السيوطي بقوله شيخ الصوفية<sup>(١)</sup> وقال عنه الذهبي: "البغدادي الصوفي"<sup>(٢)</sup> وعلى كثرة من تناول أبا حيان التوحيدي في العصر الحديث لا نجد منهم من يتشكك في نسبة أبي حيان للتصوف<sup>(٣)</sup>.

أما عن الأدلة التي ساقها الدكتور يوسف زيدان ليقطع الصلة بين التوحيدي والتصوف فأولها أن التوحيدي لم يكن زاهدا والزهد من شروط التصوف، وهو إذ يحكم هذا الحكم ينبغي أن يكون على دراية تامة بكامل حياة أبي حيان التوحيدي، ومن المعروف أن هناك فترة مدتها أربع عشرة سنة في حياة التوحيدي مجهولة بالنسبة لنا وهي الفترة من ٤٠٠ هـ إلى ٤١٤ هـ لم يعتزلها في هذه الفترة على أثر فائز قضاها؟ متنقلا على الأبواب أم مخالطا للصوفية والغرباء أم حول بيت الله الحرام وهذه الفترة يرجح أن يكون التوحيدي قد خلا فيها إلى حياته الباطنية وأكمل فيها "إشارات الإلهية" وهو ما ذكره عبد الرزاق محيي الدين في كتابه عن أبي حيان حيث قال:

"زمن تأليفه الذي لا شك فيه أنه واقع في العهد الثاني من حياته بل لعله في الذروة الأخيرة من عهده الثاني"<sup>(٤)</sup>.

وشدّيه بالقول السابق قول الدكتور شوقي ضيف - رحمه الله -: "أهم كتاب أخرجه بآخرة من حياته كتاب "الإشارات الإلهية"<sup>(٥)</sup>.

وقال الدكتور عاطف العراقي: "وقد يكون اتجاهه إلى الحياة الصوفية من حيث هي فكر قد جاء في مرحلة متأخرة من حياته"<sup>(٦)</sup>.

١- بغية الوعاة، ص ١٩٠.

٢- سير أعلام النبلاء، ص ١١٩.

٣- أبو حيان التوحيدي بولوجرافية مختارة، القاهرة، دار الكتب المصرية، ١٩٩٥.

٤- أبو حيان التوحيدي عبد الرزاق محيي الدين، القاهرة، الخانجي، ١٩٤٩، ص ٢٣٥.

٥- عصر القول والإشارات شوقي ضيف، القاهرة، دار المعارف، ط ٣، ص ٤٦٠.

٦- مفهوم الإنسان عند أبي حيان / عاطف العراقي، فصول، مجلد ١٥، العدد الأول، ربيع ١٩٩٦، ص ٣٢.

والحقيقة أن ميولا كثيرة كانت لدى التوحيدى لكى يسلك هذا المسلك الصوفي منذ بداية حياته، فيحكى أبو حيان عن نفسه أنه حج في رفقة من إخوانه المتصوفة سنة ٣٥٤هـ. ويصف ما احتملوا في عودتهم إلى بغداد من مشقات<sup>(١)</sup>، وكان يتزيا بزي الصوفية وله ملابعتهم وصفاتهم<sup>(٢)</sup>. وقد عابه أبو الوفاء المهندس بمخالطة الصوفية<sup>(٣)</sup>.

وأما حجة الدكتور يوسف زيدان الثانية والتي ذكر فيها أن التوحيدى لم يكن له شبح فى التصوف فقد ذكر السبكي أن التوحيدى "أخذ عن جعفر الخلدى التصوف"<sup>(٤)</sup> وهو ما ينقض حجة الدكتور يوسف زيدان. ولكن مراجعة المصادر القريبة من أبى حيان التوحيدى والتي أرخت للتصوف وصنفت أعلامه لا نجد فيها ذكرا لأبى حيان التوحيدى من ذلك طبقات الصوفية لأبى عبد الرحمن السلمى ت٤١٢هـ. وقد أدرج السلمى فى الطبقات أبا جعفر الخلدى فى الطبقة الخامسة حيث قال عنه "بغدادى المنشأ والمولد، صاحب الجنيد بن محمد، وعرف بصحبته، وصحب أبا الحسين النورى، ورويا وسمنون، وأبا محمد الحريرى وغيرهم من مشايخ الوقت توفى ببغداد سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة"<sup>(٥)</sup> ولم يذكر السلمى فى ترجمته للخلدى ما يدل على صلة التوحيدى به.

ومن المصادر القريبة أيضا من التوحيدى ولم يرد فيها ذكر له "الرسالة القشيرية"<sup>(٦)</sup> لعبد الكريم القشيرى ت٤٦٥هـ ولم يرد فيها أيضا ذكر أو إشارة لأبى حيان التوحيدى.

أما الحجج التي ساقها الدكتور يوسف زيدان لتبغى بها نسبة كتاب "الإشارات الإلهية" لأبى حيان التوحيدى وأولها أن الكتاب يخالف أعمال التوحيدى فى البنية العامة

١- الإمتاع والمؤانسة، ١١٥/٢.  
 ٢- المصدر السابق، ٧/١.  
 ٣- معجم الأديباء، ٥/١٥.  
 ٤- طبقات الشافعية، ص ٢٥٦.  
 ٥- طبقات الصوفية لأبى عبد الرحمن السلمى، تحقيق: نور الدين شريه، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٦٩، ص ٤٣٤.  
 ٦- كتاب الرسالة القشيرية فى علم التصوف عبد الكريم القشيري، تحقيق: معروف زريق - على عبد الحميد بلطجى ط٢، بيروت، وادي الجبل، ١٩٩٠.



فهذا وإن كان ينطبق على الشكل فإن هناك إرغاسات لدى التوحيدي في كتبه الأخرى عن التصوف "فكم تحدث عن مجالات التصوف في العديد من كتبه"<sup>(١)</sup>، ولا تخفى علينا الصلة الوثيقة بين الإنسان الذي كان ديدن التوحيد وشغله الشاغل وبين التصوف. فإن للتوحيدي بعض العبارات التي يثبته فيها على أن العبرة بالباطن وليست العبرة بالظاهر والمهم هو الإنسان في داخله وليس في ظاهره"<sup>(٢)</sup>.

وبالنسبة لتاريخ تأليف الكتاب، والذي قال عنه التوحيدي: إنه ألفه بعد السبعين أي في حدود سنة ٣٨٠ هـ، وهو ما لا يتفق وإحراقه لكتبه، ورسالته التي سمت باليأس، والحقد والكراهية، وهو كتاب يغيض بالزهد والصفاء والنقاء.

فالنتجح لأعمال أبي حيان التوحيدى يلاحظ أنه كان يكتب أعماله في فترات طويلة من الزمن وعلى أجزاء متفرقة، وهذا ما يؤيده الدكتور: شوقي ضيف: "الإشارات الإلهية" مثلها مثل كثير من كتبه لم تؤلف في عام واحد ولا في أعوام قليلة"<sup>(٣)</sup>.

وأما قول الدكتور يوسف زيدان إن صاحب الإشارات شاعر مطبوع ولم يكن أبو حيان التوحيدى شاعرا مطبوعا فهو أمر لا أرجحه في نفى نسبة الكتاب للتوحيدي، لأن أغلب الشعر في كتاب الإشارات الإلهية "منسوب لأصحابه" وليس لصاحب الكتاب فهي أبيات من قبيل الشواهد، وكان التوحيدي راويا للشعر والأخبار.

وإذا كان الدكتور يوسف زيدان يحتج أيضا بكون الكتاب لم يذكر، ولم يشر إليه في كتب التوحيدي ففي ظن الباحث أنه أمر طبيعي لأنه من الوجهة التاريخية هو آخر

١- مفهوم الإنسان عند أبي حيان د. عاتق العراقي، مجلة فصول - القاهرة: هيئة قصور الثقافة، ج١- ص١٥- ربيع ١٩٩٦- ص٢٨.  
٢- مفهوم الإنسان عند أبي حيان، ص٢٨.  
٣- عصر الدول والإمارات، ص ١٥٩٠.

أعماله فكيف يذكر فيما سبقه من أعمال؟ وكان التوحيدى مع هذا قليلا ما يشير إلى كتبه فى مؤلفاته.

وما يؤيد عندى نسبة الكتاب للتوحيدى هو أن الكتاب مذكور فى كتب التراجم ومنسوب لأبى حيان التوحيدى قال ياقوت الحموي للتوحيدى "الإشارات الإلهية" جزءان<sup>(١)</sup> وذكر الذهبي: يذكر أن له كتابا فى تصوف الحكماء<sup>(٢)</sup>، أظنه يعنى به "الإشارات الإلهية" وقال السيكي: "ألف الإشارات"<sup>(٣)</sup> ونعرض الآن كلام أحد المعنيين بتحقيق كتاب "الإشارات الإلهية" هو الدكتور عبد الرحمن بدوي الذى يقول: "ليس شة شك لدينا فى أن كتاب (الإشارات الإلهية والأنفاس الروحانية هو لأبى حيان التوحيدى وفى أن النسخة التى بين أيدينا ونشرها هنا هي بعينها كتاب الإشارات الإلهية للتوحيدى"<sup>(٤)</sup>.

إن نقى الدكتور يوسف زيدان نسبة الإشارات الإلهية للتوحيدى لا يؤبه له فى سياق المنهج النقدي للنصوص، وهو منهج يعول على شخصية التوحيدى الأسلوبية، ومدى انعكاسها على الإشارات، وعلى غيره من كتب التوحيدى كالإمتاع، والمقابسات، والمثالب وغيرها إذ تبدو طبيعة الأسلوب من الوجهة البلاغية، والوجهة الفيلولوجية واحدة ودالة على أن الإشارات للتوحيدى الذى يعسر تقليد أسلوبه.

إن شتمطيع أن نقول إن أبا حيان التوحيدى وإن لم يكن صوفيا بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة، فيكفيه أنه تشبه بهم وإن لم يكن مثلهم فى الأحوال والمقامات والمواجد والأذواق وعلوم الحقائق وتجريد التوحيد، وإنه صاحب بعضهم غير أن الصوفية الذين عاصروهم

١- معجم الأبناء، ص ١٩٢٥.

٢- سير أعلام النبلاء، ص ١٢٠.

٣- طبقات الشافعية، ص ٢٥٦.

٤- الإشارات الإلهية، تحقيق عبد الرحمن بدوي، ص ٢٩.

التوحيدي ممن ألفوا في التراجم والطبقات لم يترجموا له ولم يدرجوه في طبقة، ولم يرد له ذكر عند أبي عبد الرحمن السلمي في طبقاته، وكان التوحيدي معاصرا له، وكذا لم يذكره أبو القاسم القشيري صاحب الرسالة وهو من صوفية القرن الرابع الهجري ولم يشر إليه أصحاب الطبقات من المتأخرين من أمثال الشعرائي ولعل السبب في ذلك أنه كان بحكم صحبته للمناطق ولشرح الفلسفة من أتباع الأفلوطينية الحديثة، من أمثال أبي الحسن العامري، ومسكويه، ومتى بن يونس، وأبي سليمان السجستاني وأضرابهم من المشتغلين بالحكمة ويعلمون الربوبية على مذاهب أفلوطين، وأبرقلس، أقرب ما يكون إلى الفلسفة منه إلى التصوف.

وإذا كان الدكتور يوسف زيدان قد رتب الأدلة ليدل على أن كتاب "الإشارات الإلهية" لم يكن من إنتاج التوحيدي وقد قدمنا ما يدحض هذه الأدلة، وإذا كان هدفه من ذلك هو بتر العلاقة بين أبي حيان والتصوف، فإن هذا الكتاب ليس الكتاب الوحيد لأبي حيان في التصوف بل له أكثر من مؤلف في هذا المجال من ذلك ما ذكره ياقوت الحموي من أن من تصانيفه "الرسالة في أخبار الصوفية، الرسالة الصوفية، الحج العقلي إذا ضاق الفضاء عن الحج الشرعي"<sup>(١)</sup>.

١- معجم الأديباء، ص ١٩٢٥.

## المبحث الثاني

### " محتاج الإشارات الإلهية "

#### المحتوي - البناء - الأسلوب

يمثل كتاب "الإشارات الإلهية" لأبي حيان التوحيدي حلقة مميزة في السلسلة الذهبية الإبداعية للأدب العربي عبر العصور، فهو أحد قمم الإبداع النثري العربي الذي تخطى فيه التوحيدي الأساليب التقليدية لبدء لنا أسلوبه الخاص: "الذي وحد فيه بين ظاهر النثر وباطنه وبين الأساليب التي تعارف عليها القوم، والمعاني التي لم يطرحها أحد بالطريقة التي يالغها الكافة"<sup>(١)</sup>.

أما زمن تأليف الكتاب فقد خلا الكتاب من أية إشارة يعرف بها زمن تأليفه كأسماء الأعلام، والحوادث التاريخية والذي اتفق عليه كل دارسي أبي حيان التوحيدي أنه ألفه في فترة متأخرة من عمره، وأنه ألف القسم الأكبر من هذا الكتاب في دور ما يشبه التوبة<sup>(٢)</sup>.

تقول الدكتوروة وداد القاضي: فإن الدارس قد يقدر أنه كتب في مراحل متفاوتة غير أن الشيء المؤكد أن بعض الرسائل كتب بعد سنة ٣٨١هـ<sup>(٣)</sup>.

وتستند إلى قول أبي حيان نفسه "أنا نلقت بهذه الأغراض بعد سبعين سنة".

والواقع أن كتاب "الإشارات الإلهية" لأبي حيان التوحيدي لا توجد أية إشارة إليه أو ذكر له في كتبه الأخرى، كما أن الكتاب يخلو من حملات الحقد والكراهية والثلب التي

١- خلاصة التوحيدي، جمال الغيطاني، ص ١٣.  
٢- الإشارات الإلهية، تحقيق د / عبد الرحمن بدوي، ص ٣٥.  
٣- الإشارات الإلهية، تحقيق د/ وداد القاضي ص ٩، ٤.

أشتهر بها التوحيدى فى كتبه الأخرى ويمثل هذا الكتاب قمة النضج الأسلوبى لصاحبه وكلها أمور تدعونا إلى ترجيح الرأي القائل بتأخر زمن إتمام الكتاب.

لقد كان من عادة التوحيدى أن يكتب كتبه ليقدمها لأشخاص بأعينهم رغبة فى العطاء، ورجاء للنفوذ والسلطة فقد كتب من قبل "الإمتاع والمؤانسة" لصديقه أبى الوفاء المهندس، وكتب "محاضرات العلماء" للوزير أبى القاسم الدلجى وهو "يزعم أنه حين كتب "أخلاق الوزيرين" إنما كان استجابة لشخص دفعه إلى ذلك"<sup>(١)</sup>.

ولكن كتاب "الإشارات الإلهية" لم يذكر عنه التوحيدى أنه ألفه لشخص معين تقول الدكتورة وداد القاضى: "ليس من المستبعد أن يكون أبو حيان التوحيدى قد كتب "الإشارات الإلهية" تحت ظل الحافز المادى، ولكن ليس من السهل أن يعين الشخص الذى ألف هذا الكتاب من أجله"<sup>(٢)</sup>.

وأرجح إنكار هذا الأمر وذلك لعدة أسباب:

أولاً: لا يوجد دليل واحد على صحة هذا الكلام.

ثانياً: الدكتورة وداد القاضى نفسها تقول بعد ذلك: إن أبا حيان فى كتابه يخاطب نفسه ويخاطب "الإنسان عامة"<sup>(٣)</sup> وهو ما يناقض أن يكون قد كتبه وهدفه الحافز المادى.

ثالثاً: ربما يكون ما حمل الدكتورة وداد القاضى على هذا الرأي هو العادة عند التوحيدى فى تقديم كتبه لأشخاص بأعينهم.

١- المصدر السابق، ص ١٠.  
٢- الإشارات الإلهية، تحقيق د/ وداد القاضى، ص ١١.  
٣- المصدر السابق، ص ١٧.

رابعا: ما يدفعنا أيضا إلى عدم الميل إلى هذا الرأي هو موضوع الكتاب وأسلوبه والهدف منه، وكلها أمور تنفي أن يكون الباعث للتأليف المال والسلطان.

أما موضوع الكتاب فهو مادة صوفية يتوجه فيها التوحيدى بأدعيته ومناجباته الحارة إلى خالقه في رسائل متتالية، ومواعظ متوالية<sup>(١)</sup>.

فالكتاب مؤلف من أربع وخمسين رسالة في المواعظ والإشارات، والأدعية والابتهالات لرب الكون منبع كل القيم الجميلة، وهذه الرسائل تبدأ الواحدة منها بدعاء طويل، وبعده موعظة وإرشاد يتوجه بهما إلى شخص ما، وحول درجة الواقعية في كتاب "الإشارات الإلهية" تقول الدكتورة وداد القاضى: "هل هناك مريد من جهة وشيخ من جهة أخرى في واقع الحال يبدو لي الموقف من أوله إلى آخره ذاتيا من ناحية وتغيريا من ناحية أخرى فهذا الصاحب الذى يدعو أبو حيان التوحيدى هو الإنسان عامة، وهو أيضا ذلك الشق من أبى حيان نفسه الذى لم يستطع أن يرتفع بصاحبه عن الدنيا والأهواء، ليجعله دينيا فاضلا وصافيا في علاقته مع ربه"<sup>(٢)</sup>.

ويقول الدكتور عبد الرحمن بدوى عن الشخص الذى يخاطبه التوحيدى: "من العسير أن نتعرفه بيقين وأغلب الظن أنه شخص خيالى"<sup>(٣)</sup>.

وأميل إلى موافقة هذا القول، وأرجح أن ما دفع الدكتور عبد الرحمن بدوى والدكتورة وداد القاضى إلى هذا الكلام أحاطتهما بتاريخ التوحيدى، واتجاهاته، ومجالسه، فأنكرا عليه أن يجلس مجلس الشيخ الصوفى أو حتى مجلس المريد، وأن يوجه نصائحه بالفعل لطلابه ومريديه، ومالا لأن يكون الموقف كله خياليا.

١- هل كان التوحيدى صوفيا أم فيلسوفا - يوسف زيدان - مجلة فصول، القاهرة: الهيئة العامة لتتصور الثقافة - ع ١٥، ص ١٩٩٦م ص ١٠٤.  
٢- الإشارات الإلهية، وداد القاضى، ص ١٧.  
٣- الإشارات الإلهية، وداد عبد الرحمن بدوى، ص ٣٣.

وهو ما يتفق مع القول بأن التوحيدى لم يكن صوفيا بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة ولكنه أحب مسلكهم، ثم تشبه بهم حتى سبقهم وتبين عليهم.

أما عن أسلوب الكتاب فالطبيعى أن يؤثر موضوع الكتاب على أسلوب صاحبه والموضوع هنا خصب "يهب" الأسلوب بطبعه أجنحة وردية ترف في نور الإيمان المتقد فأسلوبه مسجوع في فقرات قصار يشبه الشعر المنثور، ولعل أبا حيان هو الذى استطاع أن يحل النثر محل الشعر في التصوف والابتهاال<sup>(١)</sup>.

لقد كان أبو حيان خبيراً في استخدام اللغة، بارعاً في اختيار الكلمات إنه يقول: "إن الكلمة تطلب مقرها الموافق لها فإن صادفت سكنت، وإن لم تصادف جالت في آفاق النفس دائبة إلى أن تجد مكانها اللائق بها"<sup>(٢)</sup>.

فكلمات التوحيدى تبحث عن الموقع الملائم لها تستقر فيه لتتصنع لنا ذلك الإبداع الفنى، والذي لم يبلغ في كتاب من كتب التوحيدى الأخرى ما بلغه في هذا الكتاب نعتى: "الإشارات الإلهية" سمو وحرارة وموسيقى.

يحوى كتاب "الإشارات الإلهية" قدراً من الشواهد القرآنية، والأبيات الشعرية المنسوب أغلبها لأصحابها "والمصطلحات الصوفية التي انسابت مع العبارة لتؤلف هذا النص الذى يعرف المشتغلون باللغة الصوفية كم هي بديعة الصياغة دافئة الإيقاع"<sup>(٣)</sup>.

فالكتاب غنى بما فيه من منهج في المناجاة لا تكاد تجد له نظيراً قبل التوحيدى وبهذا يمكن أن يعد رائد نوعه، والنموذج الأول لكتب المناجاة التي سبقتها بعد ذلك في الأدب الصوفي<sup>(٤)</sup>.

وهذا ما ستحاول الدراسة بحثه وكشفه

١- المصدر السابق، ص ٣٢.  
٢- الإشارات الإلهية، د/ وداد القاضي، ص ١٠١.  
٣- الإشارات الإلهية، د/ وداد القاضي، ص ١٠٥.  
٤- الإشارات الإلهية، عبد الرحمن بدوي، ص ٢٨.

---

## الفصل الأول

دراسة المستوى التركيبي في كتاب  
"الإشارات الإلهية"  
لأبي حيان التوحيدي





## المبحث الأول

## تمهيد لدراسة المستوى التركيبي

إن هدف كل دراسة لغوية هو فهم النص وجلّؤه وكشفه، ولذلك يتخذ الدرس أساليب مختلفة وطرقاً متعددة كل منها يرمى إلى جلاء شريحة فيه<sup>(١)</sup> ويختص هذا الفصل بدراسة المستوى التركيبي في كتاب "الإشارات الإلهية" لأبي حيان التوحيدي حيث "إن كل دراسة لغوية يعنيها الإحساس بالصعوبات الكامنة وراء تمييز التراكيب بعضها من بعض وتعلقها بالمعاني"<sup>(٢)</sup>.

والجملة هي الغاية الأولى لكل نظام نحوي، والنحو من اللغة كالقلب من الجسم "وإذا كان القلب يمد الجسم الإنساني بالدم الذي يكفل له الحياة فإن النحو يمد الجملة بمعناها الأساسي الذي يكفل لها الصحة، ويحدد لها عناصر هذا المعنى"<sup>(٣)</sup>.  
فالنحو يملك طاقة مبدعة في إضاءة النص وتفسيره، وهو أداة مهمة من أدوات الفهم الأدبي.

يقول الدكتور مصطفى ناصف: "فالنحوليس موضوعاً يحفل به المشتغلون بالمثل اللغوية، والذين يرون إقامة الحدود بين الصواب والخطأ، أو يرون الصواب رأياً واحداً. النحو مشغلة الفنانين والشعراء، والشعراء والفنانون هم الذين يبدعون النحو فالنحو إبداع"<sup>(٤)</sup>.

١- النحو والدلالة، د. محمد حماسة عبد التلّيف، ط١، القاهرة، دار الشروق، ٢٠٠٠م، ص ٦١.

٢- المرجع السابق، ص ١٦٧.

٣- المرجع السابق، ص ١٩ - ٢٠.

٤- النحو والشعر: قراءة في دلائل الأعجاز، د/ مصطفى ناصف، مجلة فصول، القاهرة، العدد الثالث إبريل، ١٩٨٦.

ومن هنا كانت عنايتي بدراسة الجانب التركيبي في كتاب "الإشارات الإلهية" الذي يمثل فترة مهمة من فترات نضج الثقافة العربية ومن ثم إدراك السمات اللغوية على المستوى التركيبي وذلك "لأن البنية النحوية تمتاز بقدر كبير من الحرية إذ تجيز كثيراً من أشكال العدول والتحول من أبنية شطبية إلى أبنية غير شطبية" (١).

وإذا كانت الجملة هي وحدة الكلام وقوام التعبير وهيكله على اختلاف الأشكال والصيغ فقد عنى البحث بتحليلها ودراساتها، فالجملة مجال بحث لا ينتهي في النحو العربي إذ هو مهيب للإضافة والتجديد وما يؤكد أهمية الجملة كثرة الدراسات حولها في اللسانيات الذي يسعى علم التركيب فيها إلى توضيح القوانين المتحركة في الأبنية ووظائفها داخل نسيج الجملة (٢).

#### الجملة في اللغة:

ورد في لسان العرب "الجملة واحدة الجمل، وهي جماعة الشيء ومنه قولهم: أجمل الشيء أي جمعه عن تفرقة، وكذلك أجمل له الحساب فالجملة جماعة كل شيء من الحساب وغيره... وسمى الحبل الغليظ جملة لأنها قوى كثيرة جمعت فأجملت جملة" (٣). إذن الجملة هي الجمع وهي التقوية بانضمام الأشياء بعضها إلى بعض.

#### الجملة في الأسلاخ:

قال ابن حنّى: "الكلام كل لفظ مستقل بنفسه مفيد لعناه وهو الذي يسميه النحويون الجمل" (٤). وابن جنّي هنا يسوّي بين الكلام والجملة، وقد أفرد ابن هشام في كتابه المغنى

١- علم لغة التمس، د. سعيد حسن بحري، ط١، القاهرة، لؤلؤمان، ١٩٩٧، ص ٧٤.  
٢- بنية الجملة العربية بين التحليل والنظرية، د. المصطفى عاشور، تونس، منشورات كلية الآداب، بئر جربة، ١٩٩٦، ص ٨.  
٣- لسان العرب، مادة ج م ل.  
٤- الخصائص، لابن جني، تحقيق محمد علي النجار، ط١، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٩، ج ١، ص ١٨.

باباً للجملة وفرق من خلاله بين الكلام والجملة. وبين أن الكلام أخص من الجملة وليس مرادفاً لها.

قال ابن هشام: "الكلام: هو القول المفيد بالقصد"<sup>(١)</sup> والمراد بالمفيد ما دل على معنى يحسن السكوت عليه"<sup>(٢)</sup> وابن هشام يرفض رأى صاحب المفصل الذى ساوى بين الكلام والجملة، فقال: "والصواب أنها - أى الجملة - أعم منه. إذ شرطه الإفادة بخلافها ولهذا تسميهم يقولون جملة الشرط، جملة الجواب، جملة الصلة وكل ذلك ليس مفيداً وليس بكلام"<sup>(٣)</sup>.

ويقسم ابن هشام الجملة إلى اسمية وفعلية وظرفية، فالاسمية: "هي التي صدرها اسم كزيد قائم، وهيئات العقيق، وقائم الزيدان"<sup>(٤)</sup>. والفعلية: "هي التي صدرها فعل كقام زيد، وضرب اللص"<sup>(٥)</sup>. والظرفية: هي المصدرة بظرف أو جار ومجرور، نحو: "أعندك زيد، أفي الدار زيد"<sup>(٦)</sup>. ويذكر ابن هشام أن المراد بصدر الجملة "المسند أو المسند إليه فلا عيرة بما تقدم عليها من الحروف"<sup>(٧)</sup> وهو يقصد حروف الاستفهام، والحروف الناسخة وغيرها كما ينص على أن المعتبر عنده "ما هو صدر في الأصل" فلا عيرة بالتقديم والتأخير. وقد عنى الدرس اللغوى الحديث بتعريف الجملة يقول الدكتور إبراهيم أنيس: "إن الجملة فى أقصر صورها، هي أقل قدر من الكلام يفيد السامع معنى مستقلاً بنفسه، سواء

١- معنى اللبيب عن كتب الأعراب، ابن هشام الأندلسي، تحقيق محيى الدين عبد الحميد، صيدا بيروت، المكتبة المصرية، ١٩٩٢، ج ٢، ص ٤٣١.  
٢- المرجع السابق، ص ٤٣١.  
٣- معنى اللبيب عن كتب الأعراب، ص ٤٣١.  
٤- المرجع السابق، ص ٤٣٢.  
٥- المرجع السابق، ص ٤٣٢.  
٦- المرجع السابق، ص ٤٣٢.  
٧- المرجع السابق، ص ٤٣٤.

تركب هذا القدر من كلمة واحدة أو أكثر<sup>(١)</sup> فالدكتور إبراهيم أنيس يضع الإفادة عنصراً أساسياً في تحديد مفهوم الجملة.

وتعرف الدكتور فاطمة الجامعي الحبائبي الجملة فتقول: "إن الجملة بناء لغوي يعبر عن معنى كامل، ومستقل، ولا يعتبر جزءاً داخلاً في تركيب لغوي أكبر، وقد تأتي الجملة كلمة، أو عبارة أو تركيباً أو تراكييب<sup>(٢)</sup> وإذا عمدنا إلى تحليل هذه التصورات عن الجملة فإن ابن جني يقرر أن الجملة كلام مفيد قائم برأسه مستقل

بمعناه، وفي قوله "كلام" ما يدل على أن الجملة أكثر من كلمة فهو يشير إلى ركن مهم من أركان الجملة وهو ركن الإسناد، وفي قول ابن جني "مفيد" ما يدل ويشير إلى ركن آخر وهو ركن الإفهام، وفي قول ابن جني "قائم برأسه" ما يدل على شرط ثالث أو ركن ثالث في الجملة وهو شرط الاستقلال، وتبع ابن جني في هذا ابن هشام لكن ابن هشام أبدى رأيه في التفريق بين الكلام والجملة، فالجملة عنده أعم من الكلام ويقسم الجملة إلى اسمية وفعلية وظرفية، باعتبار صدر الجملة الأساسي، ولا اعتبار عنده لدخول النواسخ أسماء كانت أم أفعالا، ولا اعتبار عنده أيضاً لدخول حروف الاستفهام أو غيرها على صدر الجملة الأساسي. إنما الاعتبار عنده بالسند إليه "الابتداء" في الجملة الاسمية والسند أي الفعل في الجملة الفعلية.

واعتقد أن القسم الثالث الذي بينه ابن هشام من أقسام الجملة وهو "الجملة الظرفية" يمكن اختصاره إلى أحد نوعي الجملة سواء أكانت الاسمية أم الفعلية بتقدير مبتدأ أو فعل.

١- أبرار اللغة، إبراهيم أنيس، ط ٧، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٨٥، ص ٢٧٦، ٢٧٧.  
٢- لغة أبي العلاء المعري في رسالة الفخران، فاطمة الجامعي الحبائبي، القاهرة، دار المعارف، بدون عام نشر ص ١٢٣.

وقد اعتمد ابن هشام كابن جني من قبل في تعريفه للجملة على أركان ثلاثة ، وهي الإسناد والإفهام والاستقلال. أما التصور الحديث للجملة فإن الدكتور إبراهيم أنيس يهتم كثيراً بعنصر الإفادة في الجملة ، وكذلك عنصر الاستقلال. وعنده أن الجملة يمكن أن تتكون من كلمة واحدة أو أكثر. أما محاولة الدكتور فاطمة الجامعي الحبائي فهي محاولة توفيقية بين التعريفات القديمة والحديثة ، وأظن أنها أرادت بذلك تضع تعريفا جامعاً وشاملاً للجملة.

قامت بتعريفها للجملة لتشمل عدة تراكيب تؤدي كلها معنى كاملاً ومستقلاً، وهي تعني بلفظ "تراكيب" جملة مستقلة أحد أركانها تركيب غير مستقل أو أكثر فهي تقول "التركيب غير المستقل يمكن استبداله بوحدة أصغر كلمة أو عبارة"<sup>(١)</sup> مثل التعت الجملة والحال الجملة.

والتعريف السابق يتسم بقدر كبير من الشمولية والاستفادة مما سبقه من تعريفات الجملة.

وصاحبة هذا التعريف تستند إلى عناصر وأركان منها: الإسناد، والاستقلال، والإفادة باعتبارها مكونات أساسية لبناء الجملة.

وأنا أرجح أن الجملة: هي ذلك البناء اللغوي الذي يقوم على ثلاثة أركان، الركن الأول هو الإسناد، والركن الثاني هو الإفهام كأن يقصد المتكلم هذا المعنى الذي تؤديه الجملة والركن الثالث هو الاستقلال عن الجمل الأخرى.

١- لغة أبي الملاء المعري في رسالة الغفران، ص ١٢٧ .

## المبحث الثاني

### الجملة الاسمية والجملة الفعلية

يعد الإحصاء أحد الأسس المهمة في المنهج الوصفي، فهو يجعل للأحكام التي يصل إليها الباحث مرجعية ثابتة وأرضا صلبة تقوم عليها، ولا بد أن تتبع مرحلة الإحصاء مرحلة أخرى هي التحليل فالإحصاء في حد ذاته وسيلة لغاية أكبر هي التحليل، لذلك اعتبرت المنهج الوصفي الذي يقوم على ركزي الإحصاء والتحليل منهجا للدراسة. يائى نبي بدء نذكر أن تقسيم الجمل إلى جمل اسمية وجمل فعلية هو واحد من تقسيمات كثيرة للجملة<sup>(١)</sup>.

فالجملة الاسمية عبارة عن "عملية إسناد مبدوءة بالمبتدأ المعقود بالخبر حسب قوانين النحو ومعانيه"<sup>(٢)</sup> يقول ابن هشام في تعريف الجملة الاسمية: "هي التي صدرها اسم"<sup>(٣)</sup> ويقصد بصدر الجملة ما هو صدر الجملة في الأصل فلا اعتبار عنده لكان وأخواتها، أو إن وأخواتها، أو أفعال الشروع أو غيرها من الأدوات.

وإذا كانت تلك الأدوات متعينة للدلالة على الزمن وعلى كثير من الدقائق المعنوية فهي عند النحاة عارية من معاني الحدث، ولعل تلك الأدوات ضرب من التحويلات التي تغير الشكل الإعرابي في المركبات الإفرادية، أو في رأس المركبات الاسمية<sup>(٤)</sup> ولا شك أن

١- لقيت الجملة العربية كثيرا من اهتمام الدارسين في العصر الحديث ومن أهم الدراسات التي تناولت الجملة العربية بالبحث والدراسة:

١- الجملة العربية دراسة نحوية لغوية، د / محمد إبراهيم عباد، كلية الآداب، جامعة بنها.  
٢- مدخل إلى دراسة الجملة العربية، د / محمود أحمد نخلة، بيروت دار النهضة ١٩٨٨م.  
٣- نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية، د / مصطفى حميدة.  
٤- الجملة في النثر العربي، د / محمد حميدة عبد اللطيف، القاهرة: الخاقجي ١٩٩٠م.  
٢- بنية الجملة العربية بين التحليل والنظرية، د / المنصف عشور، تونس، منشورات كلية الآداب ببنوية، ١٩٩٠م، ص ١٦٩.  
٣- مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب، ص ١٢٢.  
٤- بنية الجملة العربية، ص ٧٧.

كل زيادة لفظية تستتبعها زيادة معنوية لكن لا يؤثر أو يحول الجملة من اسمية إلى فعلية أو العكس، وهذا ما اتفق عليه النحاة مع ابن هشام.

والجملة الفعلية هي "التي صدرها فعل" والمقصود بصدر الجملة الفعلية هو ما كان صدرا في الأصل أيضا. فجملة "كيف جاء زيد" وجملة النداء كما قرر ابن هشام جملة فعلية.

وقد اشترط النحاة في الفعل أن يكون تاما فلا اعتبار عندهم للفعل الناقص. وقد يحذف هذا الفعل "بعد أدوات تدخل على الجملة الفعلية من نحو: "إن" الشرطية، و"إذا" و"لو" وأحرف التحضيض والتوبيخ هلا، وألا، ولولا، ولوما، وعلى ذلك فهم يعربون الاسم المرفوع الواقع بعد هذه الأدوات فاعلا لفعل محذوف<sup>(١)</sup>.

بعد هذا البيان لمفهوم الجملة الاسمية والفعلية أجريت عملية الإحصاء على خمس رسائل من كتاب "الإشارات الإلهية" تم اختبارها عبر رسائل الكتاب الأربعة والخمسين والتي أظن أنها تعبر بصدق عن بنية اللغة عند أبي حيان التوحيدي وهي الرسائل { ١، ٧، ١٥، ٢٠، ٥٣ }.

ومن خلال عملية الإحصاء قمت بحصر الجمل الاسمية والجمل الفعلية. ونسبة كل منهما إلى عدد الجمل وأنواع الأفعال في الجملة الفعلية.

١- تحليل سبوريه للجملة الفعلية في ضوء علم اللغة الحديث، رسالة دكتوراه، محمد ناصر حميد، جامعة الإسكندرية كلية الآداب، ص ١٠٢.



فلتضح لنا الآتي:

رقم الرسالة	عدد الجمل الاسمية	عدد الجمل الفعلية	عدد الجمل كلها	نسبة الجمل الاسمية	نسبة الجمل الفعلية
(١)	١٤٠	٢٩٧	٤٣٧	٪٣٢	٪٦٨
(٧)	٦٠	٧٦	١٣٦	٪٤٤	٪٥٦
(١٥)	١٥٨	٢٦٠	٤١٨	٪٣٨	٪٦٢
(٢٠)	١٣	٢٣	٤٦	٪٢٨	٪٧٢
(٥٢)	١٧٩	١٧٧	٣٥٦	٪٥٠	٪٥٠
الرسائل كلها	٥٥٠	٨٤٣	١٣٩٣	٪٤٠	٪٦٠

باستقراء الإحصاء السابق نجد أن نسبة ورود الجملة الاسمية في عينة الإحصاء أقل من الجملة الفعلية ، فهي لم تتعد في أفضل حالاتها نسبة ٥٠٪ وذلك في الرسالة الثالثة والخمسين عى حين أنها انخفضت في الرسالة العشرين إلى نسبة ٢٨٪ أما الجملة الفعلية فقد كانت لها اليد العليا في أغلب الرسائل أجري عليها الإحصاء حتى وصلت في إحدى الرسائل إلى نسبة ٧٢٪/ وكان إجمالي الإحصاء ٤٠٪ جملا اسمية و ٦٠٪ جملا فعلية.

وقد تنوعت الجمل الاسمية في عينة الإحصاء من كتاب "الإشارات الإلهية" إلى منسنة ومؤكدة ومنغية.

- ١- من أمثلة الجمل الاسمية المثبتة قول أبي حيان: "الشكوى مُعَادَةٌ، والكَرْبُ مُعَادَةٌ والأحوالُ مُرَادَةٌ، والأوقاتُ مَبَادَةٌ"<sup>(١)</sup>.
- ٢- ومن أمثلة الجمل الاسمية المنفية: قوله: "لا حَرْفٌ، ولا كَلِمَةٌ، ولا سِمَةٌ، ولا علامة، ولا اسمٌ، ولا رِسمٌ ولا أَلَفٌ، ولا ياءٌ إلا وفي مضمونه آية"<sup>(٢)</sup>.

١- الإشارات الإلهية، تحقيق د / وداد القاضي، ص ٧.  
٢- المصدر السابق، ص ٥.

٣- من أمثلة الجمل الاسمية المؤكدة قوله: "فإن ذلك عنوانُ الفوت، وآيةُ الحسرة، وعلامةُ الأسف".<sup>(١)</sup>

أما الجمل الفعلية التي كان لها الغلبة في عينة البحث فقد تنوعت أفعالها بين الماضي، والمضارع والأمر، كالآتي:

رقم الرسالة	الفعل الماضي	الفعل المضارع	فعل الأمر	عدد الأفعال	نسبة الفعل الماضي	نسبة الفعل المضارع	نسبة فعل الأمر
(١)	١٠٤	١٢٣	٧٠	٢٩٧	٪٣٥	٪٤٦	٪٢٤
(٧)	٢٥	١٤	٣٧	٧٦	٪٣٣	٪١٨	٪٤٩
(١٥)	١٢٧	٩١	٤٢	٢٦٠	٪٤٩	٪٣٥	٪١٦
(٢٠)	١٩	١٤	--	٣٣	٪٥٧.٦	٪٤٨.٢	صفر٪
(٥٣)	٨٤	٦٨	٢٥	١٧٧	٪٤٨	٪٣٨	٪١٤
الرسائل كلها	٣٥٩	٣١٠	١٧٤	٨٤٣	٪٤٢.٨	٪٣٦.٨	٪٢٠.٦

باستقراء الإحصاء السابق للجملة الفعلية في عينة البحث نجد أن الجملة الفعلية التي بلغت نسبة وجودها في عينة الإحصاء ٪٦٠ تنوعت أفعالها بين الماضي والمضارع والأمر وأكثرها وروداً الفعل الماضي الذي بلغت نسبة وروده ٪٤٢.٨، وكان للفعل الماضي الأكثرية في أربع رسائل من خمس رسائل هي عينة الإحصاء، ولم يتفوق عليه إلا الفعل المضارع في الرسالة رقم (١) أما فعل الأمر فهو أقل الأفعال وروداً في عينة الإحصاء، ويأتي في الرسائل كلها في الترتيب الثالث بعد الفعل الماضي والفعل المضارع إلا أنه تفوق عليهما في الرسالة رقم (١) أما الفعل المضارع فهو في ترتيب متوسط بين الماضي والأمر

١- المصدر السابق، ص ٤٩.

- ١- من أمثلة الفعل الماضي، قول أبي حيان: "إذا بسط الزمان كَفَّهُ، وأعرض طرْفَه وأتيننا على هذا كله ببيان أشف من هذا، وأشفى وضممنا إلى جميعه ما يكون داخلا في شكله وناهضا بحمله إن شاء الله".<sup>(١)</sup>
- ٢- ومن أمثلة الفعل المضارع، قوله: "حتى صرت أقدح بزند مُصلّد، وأنفخ في غير فحم، وأنادى من ليس بحاض، وأنصح من ليس بقابل، وأحيى من ليس بعاقل وأهيم في وادى الظن....".<sup>(٢)</sup>
- ٣- من أمثلة فعل الأمر، قوله: "فَجَلَّ في أطرافها طالبا لنفسك فيها، وعُصْن في أعماقها محصلا لحقيقتك منها، واجعل بوادى تباشير هذه الأحوال مادة لصبرك إن كنت مُبتلى أو عدة لشكرك إن كنت مُجتلى وترثم في هذا الفضاء الذى قد أنخرق لك من هذه الوُزَيقات التي هي ألف ورقة مُتَنَزِّها وأقْلُف من شاربها ما تدلى لك ودنا منك وترشفت من عينها ما ساغ لك".<sup>(٣)</sup>

#### نتائج الإحصاء:

لقد تغلبت الجملة الفعلية على الجملة الاسمية عند أبي حيان التوحيدي ولا بد أن يكون لهذه الغلبة أسباب وأغراض.

"ومن المعروف أن العربى يبدأ كلامه بما يهتم به أى أن الجملة تقدم ما ارتأى المتكلم أن للسامع حاجة في تقديمه"<sup>(٤)</sup> هذه هي طبيعة العربى، وفطرة العربى تدعوه إلى الاهتمام بالحدث أكثر من صاحبه فالأساس عنده في الإخبار أن يأتى بالفعل، فالفعل يستحوذ على

١- الإشارات الإلهية، تحقيق د / وداد القاضي، ص ١٠٨.

٢- المصدر السابق، ص ١٣٩.

٣- المصدر السابق، ص ١٩٩.

٤- لغة أبي العلاء المعرى في رسالة الغفران، ص ١٧٨.

اهتمام المتكلم والسامع أكثر ممن وقع منه الحدث ولهذا غلبت الجملة الفعلية على الكلام العربي.

ولعل هذا راجع إلى طبيعة العربي من الحركة والتنقل وعدم الاستقرار في البداية، ثم صار هذا النسق التعبيري إرثاً للأبناء.

وأبو حيان التوحيدي في كتاب "الإشارات الإلهية" عندما تظهر منه هذه البنية اللغوية فلا شك أنه تأثر بالنسق التعبيري العام للغة، ولكي أرجح أن يكون الاضطراب الذي ملا نفس أبي حيان التوحيدي والتأجج الذي اشتعل داخله كانا داعيين له لاستخدامه أولطفيان هذا النسق التعبيري على كتابته، فقد عرفنا من حياته أنه كان ذا طبيعة متقلبة غير مستقرة، وكان ذا نفس حائرة مضطربة وروح وثابة خاصة إذا عرفنا أن الفعل يدل على التجدد والحدوث، والاسم يدل على الثبوت والاستمرار.

"فالمتكلم إذا أراد أن يثبت تجدد الشيء جاء المسند فعلاً، وإن أراد أن يبرز ثبوته وبوامه جاء به اسماً"<sup>(١)</sup> والسبب في ذلك هو تقيد الفعل بزمن معين يضيء عليه لونا من التجدد فهو مركب من حدث وزمن أما الاسم فليس كذلك فهو مجرد من الزمن"<sup>(٢)</sup>.

واعتقد أن طبيعة كتاب "الإشارات الإلهية" الذي اهتم فيه أبو حيان التوحيدي بلغة الخطاب والحوار، والتوجيه والإرشاد، والدعاء والنداء، واللوم والتوبيخ كل هذه الأشياء دعت لاستخدام الجملة الفعلية، وأدت لغلبتها على عباراته في كتابه "الإشارات الإلهية" لكي تفي بأغراضه المتنوعة.

من الجدير أن نذكر أن دلالة الجملة الاسمية على الثبوت والدوام، والفعلية على التجدد والحدوث ليست مطلية فقد "استثنوا دلالة الاسم على الثبوت والاستمرار إذا قيد

١- الجملة العربية بناؤها وإيجازها، د/ إبراهيم صلاح الهدهد، ط١، القاهرة، الاتحاد التعاوني للطباعة والنشر، ١٩٩٦، ص ١٨٦.

٢- المرجع السابق، ص ١٨٦.

يأخذ الأزمنة<sup>(١)</sup> كقولنا: "مذاكر محمد الآن" تفيد بزمان الحال، "مذاكر محمد غدا" تفيد بزمان المستقبل، مذاكر محمد أمس" تفيد بزمان الماضي.

"واستثنوا من دلالة الفعل على التجدد والحدوث بعض المواطن بالقرائن"<sup>(٢)</sup> من ذلك الجملة الفعلية ذات الفعل المضارع إذا وقعت خبراً مثل: "أحمد يقوم".

إن الجملة الفعلية وافقت نفس أبي حيان التوحيدي وطبيعته وأحواله التي مر بها عبر كتابه كما توافقت مع أغراضه في كتاب "الإشارات الإلهية" وذلك لدلالة الفعل على التجدد والاستمرار. ومن ثم ظهرت الجملة الفعلية بشكل بارز في كتابته.

وكذلك اختلف نوع الفعل في الجملة الفعلية فما دلالة كل نوع من هذه الأفعال؟ وما موقع كل منها من حيث التجدد والاستمرار أو من حيث الثبوت والدوام.

لا شك أن تجدد الماضي وحدوثه يختلف عن تجدد المضارع وحدوثه "فالتجدد في الماضي هو وجوده بعد أن لم يكن موجوداً، وذلك لدلالة الفعل الماضي على الحدث في الزمن الغائب الذي لا يتفق مع التجدد وقتاً بعد وقت كما في المضارع أما التجدد في المضارع فمعناه أن الفعل من شأنه أن يتكرر ويقع مرة بعد أخرى"<sup>(٣)</sup>.

إن تقسيم الأفعال إلى ماضي ومضارع وأمر تقسيم يقوم على مجموعة من الأسس المتنافرة<sup>(٤)</sup> ويفرق الدكتور تمام حسان بين نوعين من الزمن الأول هو الزمن الصرفي والثاني هو الزمن النحوي يقول: "الزمن يأتي على المستوى الصرفي من شكل الصيغة وعلى المستوى النحوي من مجرى السياق، ومعنى إتيان الزمن على المستوى الصرفي من شكل

١- دلالة الجملة الاسمية والفعلية بين الإكرار والإتكار، أبو زيد محمد أحمد شومان، اسبوط مطبعة الصفا والبروة

٢٠٠٦ م، ص ٤٤.

٢- المرجع السابق، ص ٥٩.

٣- المرجع السابق، ص ٢٤.

٤- تراكم الجملة الفعلية، د/ حسن مغازي، القاهرة، دار سلس للطباعة والنشر، بدون عام للطبع، ص ١٥. يرى الدكتور حسن مغازي أن الجملة اعتمدوا في الفعل الماضي على مقولة الزمن أكثر من اعتمادهم على الصيغة أو العلامات الأخرى في حين اعتمدوا في الفعل المضارع على مقولة المشابهة بينه وبين اسم الفاعل أكثر من اعتماده على الزمن أو على أسس آخر ومن ناحية ثالثة اعتمدوا في فعل الأمر على نوع الأسلوب الذي استعمل في ذلك النوع من الأفعال.

الصيغة أن الزمن هنا وظيفة الصيغة المفردة، ومعنى أن الزمن يأتي على المستوى النحوي من مجرد السياق أن الزمن في النحو وظيفة السياق، وليس وظيفة صيغة الفعل لأن الفعل الذي على صيغة فعل قد يدل في السياق على المستقبل والذي على صيغة المضارع قد يدل على الماضي<sup>(١)</sup>. ويوضح الدكتور شام أن تقسيم الفعل إلى ماضٍ ومضارع وأمر تقسيم يقوم على المبنى الصرفي فيقول: "الفعل من حيث المبنى الصرفي ماضٍ ومضارع وأمر"<sup>(٢)</sup> أما دلالة الفعل على الزمن فتتوقف على موقعه وعلى قرينة في السياق<sup>(٣)</sup>.

وعندما قمت بإجراء الإحصاء للأفعال اعتمدت على المبنى الصرفي للفعل فالصيغة هي الأساس في تحديد نوع الفعل، ولكن قد يتحول الفعل عن زمنه في الاستخدام فيأخذ زمناً جديداً وهو الذي أطلق عليه الزمن النحوي فتعبر بالماضي عن الحاضر أو المستقبل كقوله تعالى: "أتى أمر الله فلا تستعجلوه"<sup>(٤)</sup>.

وذلك لغرض يعمده البليغ وهو هنا "إدخال الروع والخوف في قلوب العصاة، ولا يكون هذا أصلاً في الصيغة فلا تدل صيغة (فَعَلَ) على المستقبل أو الحال إلا مع قرينة.

إن ورود صيغة الفعل الماضي في النص بنسبة كبيرة فاقت نسبة ورود الفعل المضارع وفعل الأمر، يرجع في اعتقادي لكون أبي حيان التوحيدي يريد أن يقنع الجميع أنه مرَّ بمرحلة التوبة، ومرحلة الخلوص إلى الله، وتخلص من ذنوب الماضي وبدأ مرحلة جديدة مع الخالق بنفس نقية صافية خالصة لله سبحانه وتعالى.

١- اللغة العربية معانيها ومبناها، د/ تمام حسن، ط ٣، عالم الكتاب، ١٩٩٨، ص ١٠٤.

٢- المرجع السابق، ص ١٠٤.

٣- المرجع السابق، ص ١٠٥.

٤- سورة النحل، الآية ١.

وأول مراحل توبته هي الدم، والنخلص من الذنوب، وعدم العودة إليها ولا شك أن الفعل الماضي فيه درجة من الثبات الذي يقتضيه الوقوف أمام الله سبحانه وتعالى والاعتراف بالذنوب والآثام.

ويلى الفعل الماضي في نسمة الورد في النص الفعل المضارع، وبنسبة قريبة وأعتقد أن ذلك يرجع إلى:

أولاً : اضطرام المشاعر في نفس أبي حيان التوحيدي.

ثانياً: نبرة الخطاب التي تسيطر على الرسائل التي يتوجه فيها إلى مريديه وأتباعه وكثرة النداءات في الرسائل حتى إنه استخدم أسلوب النداء (٢٩) مرة في الرسالة (٤٧).

ثالثاً: رغبته في استحضار الصورة ورغبته في مشاركة أتباعه، ومريديه، ومستمعيه في الأحداث والأفعال.

وقد جاء فعل الأمر في النص بأقل نسبة ورود وخرج أغلبها لغرض بلاغي هو الدعاء حيث يتوجه التوحيدي إلى الله سبحانه وتعالى من ذلك قوله " عُدْ عَلَيْنَا بِصَفْحِكَ عَنْ رَلَاتِنَا، وَأَنْعَشْنَا عِنْدَ تَتَابَعِ صِرَاعَاتِنَا وَخَطُ رِخَالِنَا مَعَكَ فِي اخْتِلَافِ سَكَرَاتِنَا وَصَحَوَاتِنَا وَكُنْ لَنَا وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَأَنْفُسِنَا"<sup>(١)</sup>.

لقد وقف أبو حيان التوحيدي موقف القائب الذي يشارك من حوله في أفعالهم وينخرط معهم في التوبة فليس غرضه الأول هو توجيه الأوامر والنواهي لأتباعه ؛ فهو ما زال يشعر بالتقصير، ويرغب في التوبة، ويقف أمام المولى سبحانه وتعالى معترفاً بذنوبه وعندما يستعمل فعل الأمر يخرج لغرض بلاغي عظيم هو الدعاء، وطلب الغفران، والعون من الله سبحانه وتعالى.

١- الإشارات الإلهية، تحقيق د/ واد الغنص، ص ١

## المبحث الثالث

## دراسة جمل النداء

يختص هذا المبحث بدراسة جمل النداء في كتاب "الإشارات الإلهية" من الناحية التركيبية والناحية الدلالية، وبيان الخصائص التي تميز بها هذا النمط التركيبي التعبيري. "إن التراكيب اللغوية تكون بالغة التعقيد والخصوبة حين تفيض بها النفوس الحية وذلك لأن كل ما في النفس من قلق ونض، وكل ما تحسه الروح ويفور به القلب لا يجد له مسرباً إلا هذه الكلمات وهذه التراكيب، وكل ما في هذه الأحوال النفسية من جفاء والتباس منعكس لا محالة في تلك التراكيب"<sup>(١)</sup>.

واعتقد أن شخصية أبي حيان التوحيدي واحدة من الشخصيات القليلة الحائرة المضطربة في كثير من أحوالها، وهي في رأيي شخصية تستمتع بالألم بل وأشعر أنها تسعى إليه. وكان أبا حيان التوحيدي مقتنع بأن الألم يجلو النفس الإنسانية كما تجلو النار الذهب.

كل هذا جعل تراكيب أبي حيان التوحيدي بصفة عامة تتميز بالثراء والتنوع والخصوبة.

إن في كل نفس قبساً من الضوء ينزع بها منازع تختلف لا محالة عن القبس الذي في الأخرى، والذي يهديها هداية مغايرة في الاختيار والتراكيب، والصياغة والتصوير<sup>(٢)</sup>.  
إننا أمام نفس تعرف كيف تفرغ أسرار قلبها في بيان رائع، فيكون لزاماً علينا استخراج أسرار ذلك البيان الواسع المتشعب مع الأخذ في الاعتبار سياق الحديث.

١- دلالات التراكيب دراسة بلاغية، د/ محمد محمد أبو موسى، ط ٢، القاهرة، مكتبة وهبة، عام ٢٠٠٤، ص ٣٥٠.  
٢- المرجع السابق، ص ٢٢.



"فالتركيب النفيس أشبه بقطعة من معدن نفيس تعلمي ألوانا متكاثرة كلما أدبتها إدارة جيدة، والسباق هو القوة التي تحرك هذه القطعة لتشيع من ألوانه ما يراد إشاعته"<sup>(١)</sup>.

والنداء أحد هذه التراكيب التي نتناولها بالدراسة.

النداء: "وهو طلب المنادى بأحد حروف النداء الثمانية، والنحويون يرون في حرف النداء والمنادى بعده جملة مقدرة بالفعلية"<sup>(٢)</sup>.

والنداء تركيب إنشائي يفيد الاختصاص بالمخاطب، وإذا كان النداء هو طلب الإقبال فليس المعنى العقلي وحده لطلب الإقبال هو ما يجري فيه النداء، وأقصد بالمعنى العقلي "طلب إقبال الحي العاقل الذي لا يجاوز امتداد صوت المنادى"<sup>(٣)</sup>.

وخلف النداء في كتاب "الإشارات الإلهية" أسرار ودلالات أحاول اكتشافها وبيانها. تتركب جملة النداء من حرف نداء قد يكون ظاهرا أو مقدرا ومنادى قد يكون علما أو غيره معرفة أو نكرة، وقد يكون المنادى مضافا أو شبيها بالمضاف.

ولكي نقف أحكامنا على جملة النداء في كتاب "الإشارات الإلهية" على دعائم قوية قممت بإحصاء لجمال النداء في عشر رسائل من رسائل "الإشارات الإلهية".

هي: (١)، (١٥)، (٢٣)، (٢٦)، (٣١)، (٣٥)، (٤١)، (٤٥)، (٤٧)، (٥٣).

٣- المرجع السابق، ص ٢٤٠.  
٢- الأساليب الإنشائية في النثر العربي، عبد السلام هارون، ط ٢، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٧٩، ص ١٣٦.  
٣- دلالات التراكيب، ص ٢٦١.

أولاً: بيان لاستخدام أدوات النداء في "الإشارات الإلهية":

رقم الرسالة	عدد جمل النداء	النداء يا	النداء بأيها	النداء بأيها	النداء باللهم	النداء ياها	حذف الأداة	النداء ياها
(١)	٢٨	٢٤	--	--	٣	١	--	--
(١٥)	١٣	٦	--	--	٢	٤	١	--
(٢٢)	٨	١	٢	--	٢	١	٢	--
(٢٦)	٢٦	١٢	٨	--	٤	١٠	--	--
(٣١)	١٣	٣	٣	---	٥	١	--	١
(٣٥)	٢٠	١٤	--	--	٥	١	--	--
(٤١)	١٤	٨	٤	--	٢	--	--	--
(٤٥)	٤١	١٧	١٩	--	٣	٢	--	--
(٤٧)	٣٦	١٠	٦	١٠	٢	١	٧	--
(٥٣)	٧	٢	٢	--	١	٢	--	--
مجموع	٢٠٦	٩٧	٤٤	١٠	٢٩	١٥	١٠	١
نسبة مئوية	%١٠٠	%٤٧	%٢١	%٥	%١٤	%٧.٣	%٥	%٠.٥

باستقراء الإحصاء السابق نجد أن عدد جمل النداء في الرسائل العشرة هو مئتان وست. استخدام أبوحيان التوحيدي أداة "يا" في سبع وتسعين مرة بنسبة مئوية ٤٧٪ مما يدل على اعتماد أبي حيان التوحيدي الكبير على هذه الأداة. وهو في ذلك يسير وفق سنن العربية حيث ذكر النحاة أن "يا" أم الباب، ويقول ابن هشام: "يا حرف نداء موضوع لنداء

البعيد حقيقة أو حكماً، وقد ينادى بها القريب توكيداً، وقيل هي مشتركة بين القريب والبعيد، وقيل بينها وبين المتوسط وهي أكثر حروف النداء استعمالاً<sup>(١)</sup>. ويقول ابن هشام أيضاً "ولا ينادى اسم الله عز وجل، ولا اسم المستغاث وأبها وأيتها إلا بها"<sup>(٢)</sup>.

و أبو حيان التوحيدي حينما يستخدم أسلوب النداء يتوجه بذلك لاثنتين في الغالب الأولى: هو الإنسان الذي يوجه له حديثه، ويبنّيه مواعظه وتجاريه، ويدين له غفلته، وهذا هو الجانب الأكبر الذي يستخدم فيه أبو حيان التوحيدي النداء بصفة عامة وأداة النداء "يا" بصفة خاصة.

يقول أبو حيان التوحيدي: "يا عدو نفسي، وجالب حتفك بيده، ويا شارب سُمه بأنفه، ويا خائف خلقه بحبله، ويا مخرب بيته بساعده، ويا سيء النظر لنفسه، ويا جاهل بحظه، ويا متعلّياً لحسرتك، ويا مُجهّزاً على روحه بخنجره"<sup>(٣)</sup>.

وقد لاحظت أن أبا حيان التوحيدي كثيراً ما يستخدم أداة النداء "يا" ويتبعها باسم الإشارة "هذا" حيث استخدم أبو حيان التوحيدي "يا هذا" في الرسالة السادسة والعشرين "عشر" مرات، وفي الرسالة الخامسة والثلاثين "اثنتا عشرة" مرة، وفي الرسالة الأولى "ثاني" مرات، وفي الرسالة السابعة والأربعين "ست" مرات.

ومن خلال هذا يتضح لنا توجه أبي حيان التوحيدي للإنسان الغافل رغبة في إيقاظه من غفلته فالنداء بهيئ النفس ويوقظها.

١- معنى اللبيب، ج ٢، ص ٢٩٩.  
٢- فقد نودي الحي غير الملق وتوحيث أحوال النفس ونودي في القرآن الشجر والجبال والطيور وغيرها  
٣- معنى اللبيب، ص ٢٣٠.  
٤- الإشارات الإلهية، تحقيق د/...، قصص، ص ٢٩٨.

وفي رأيي أنه يستخدم الأداة "يا" كثيرا لتنبيه المنادى وللتأكيد، فهي كما ذكر ابن هشام ينادي بها القريب توكيدا، والبعيد حكما، وأعتقد أن أبا حيان التوحيدي ينادي قريبا منه، وهذا مدار أغلب ندائه بـ "يا" أما الجانب الآخر من النداء بـ "يا" فهو نداء المولى سبحانه وتعالى وذلك لقربه الشديد منا، وإدراك أبي حيان التوحيدي لهذا دعاه لاستخدام "يا" في هذا المجال. كما ذكر ابن هشام فاسم الله عز وجل لا ينادى إلا بها من أدوات النداء الثمانية، وإن كان يمكن الاستغناء عن الأداة أو التعويض.

يلى "يا" في الاستخدام "أيها" وقد وردت في أربع وأربعين جملة بنسبة مئوية ٢٦٪ وهي عبارة عن "أي" حرف نداء للبعيد أو للقريب أو المتوسط على خلاف في ذلك<sup>(١)</sup> والد "هاء" للتنبيه.

واستخدم "أيها" أداة من أدوات النداء إذا كان يكون حينما يتطلب السياق جملا من التوكيد حيث يضاف لأداة النداء "أي" عنصر لغوي له طبيعة اللفت والإيقاظ فأداة النداء "أيها" أقوى من "يا" في المعنى.

ويستخدم أبو حيان التوحيدي هذه الأداة حينما يتوجه إلى الإنسان طالبا منه أكبر درجة من الانتباه واليقظة لتلقى الحديث.

ومما يؤكد استخدام "أيها" للإثارة والتنبيه أنه غالبا ما يتبعها بنعت فيه تقريع وتوبيخ، وبيان التقصير يقول في الرسالة (٤٧): "أيها المدله"، "أيها المتسكع"، "أيها الثائي"، "أيها الحاضر بجثته الغائب بهمته".

وفي الرسالة الخامسة والأربعين: "أيها المغتر"، "أيها البائس"، "أيها الجاهل"، "أيها الخائن"، "أيها الملوذ"، أو يتبعها بنعت فيه ترغيب يقول في الرسالة الخامسة

١- معنى اللبيب، ص ٩٠.

والأربعين: "أيها العامل اعمل"، "أيها المخلص اثبت"، "أيها الثابت استمسك"، "أيها المستمسك خف المكر"، "أيها الخائف أرح"، "أيها الراجي إرد"، "أيها الواعظ اتعظ". ثم يتوجه أبو حيان التوحيدي كما رأينا بعد النعت بالأمر للسامع وهدفه التلدية والإجابة.

يلي استخدام "يا" و"أيها" في أسلوب النداء استخدام "اللهم" حيث ورد استخدام "اللهم" في النداء تسعا وعشرين مرة في عينة البحث بنسبة مئوية قدرها ١٤٪ وأصل كلمة "اللهم" "يا الله" فحذف حرف النداء، وعوض عنه بالميم المشددة<sup>(١)</sup> وكثيراً ما يأتي في النداء بعد اللهم فعل الأمر بفرض الدعاء والاعتراف بالتقصير والضعف والهوان أمام القوي العظيم الجبار واعتقد أن استخدام أبي حيان التوحيدي للفظ "اللهم" يعزز موقف المناجاة الذي يقف فيه أبو حيان التوحيدي، فهو يتلذذ بذكر لفظ الجلالة ويميل إلى تنوع النداء فيتحرق قليلاً من شط استخدام "يا" في النداء إلى "اللهم" ففي اللفظ حرارة المناجاة ودفء المناجاة، وهي تناسب الاعتراف بالتقصير والطلب والدعاء الذي يأتي في صورة الأمر من ذلك قوله في الرسالة الخامسة والثلاثين: "اللهم إني أشكو إليك شاهداً خنوفاً". اللهم فاجمع هذا الشمل المتمد، "اللهم صلّ التوفيق بقولنا"، ويقول في الرسالة الثالثة والعشرين "اللهم اكفنا من كل مكابدة"، "اللهم اشغلنا بذكرك عن ذكر غيرك".

يلي استخدام "اللهم" في النداء استخدام "إلهنا" فقد استخدمها أبو حيان التوحيدي في النداء خمس عشرة مرة في عينة البحث بنسبة مئوية ٧.٣٪ واستخدام أبي حيان التوحيدي لهذه الصيغة يدل على رغبة أبي حيان التوحيدي في التواصل مع السامعين وإشراكهم معه في المناجاة التي يتوجه من خلالها إلى الله سبحانه وتعالى، ويبنه فيها

١- الأساليب الإنشائية في النحو العربي، ص ١٤٠.

اعترافات التقصير ويظهر فيها رغبته في التوبة والتكفير عن الذنوب والمعاصي. يقول التوحيدي في الرسالة الحادية والثلاثين "إلهنا نحن عبيدك مُتصرفون على إرادتك". وفي الرسالة الخامسة عشرة "إلهنا لا جَمال إلا لوجهك"، "إلهنا كيف نطلبك وأنت قبل الطلب موجود"، "إلهنا فبقدرتك التي أنت من وراء خلقك".

أما عن استخدام أبي حيان التوحيدي لصيغة "يا أيها" في النداء وهي الصيغة ذات العناصر المتكاثفة في النداء، فأبو حيان التوحيدي لم يستخدمها إلا في الرسالة السابعة والأربعين من عينة الإحصاء وذلك حينما أراد أقصى درجة من درجات الانتباه والتركيز والإنصات مثل قوله: "يا أيها العالم اعمل فالراجي من عمل"، "يا أيها اللاعب جُد فالمستظهر من جُد"، "يا أيها العابد أخلص فالقَبُول من أخلص".

وللملاحظ أن استخدام أبي حيان التوحيدي لصيغة "يا أيها" في النداء جاء قليلا بل نادرا، وهذا يخالف أساليب النداء في القرآن الكريم فصيغة "يا أيها" هي أكثر أساليب النداء ورودا في القرآن الكريم، "وسر ذلك هو أهمية المقاصد التي نادى الحق خلقه لسمعهم إياها"<sup>(١)</sup>.

و جاء حذف الأداة بنسبة مساوية لنسبة ورود صيغة "يا أيها" المكثفة العناصر وأبو حيان التوحيدي حينما يحذف الأداة في جمل النداء فإنه غالبا ما تكون جمل النداء هذه معطوفة على جمل نداء سابقة أداها موجودة.

١- دلالات التركيب، ص ٢٦٢.

### الصور التوحيذية لجمل النداء

يأتي النداء في كتاب الإشارات الإلهية في صور متعددة وهي:

- ١- نداء + جملة خبرية  
نحو قول التوحيدي: "اللهم إني أشكو إليك"<sup>(١)</sup>، "يا هذا الحركة في نوع السكون"<sup>(٢)</sup>  
"إلهنا نحن عبيدك متصرفون على إرادتك"<sup>(٣)</sup>.
- ٢- نداء + أمر  
نحو قول التوحيدي: "اللهم صل التوفيق بقولنا"<sup>(٤)</sup>، "يا هذا ارفع طرقتك"<sup>(٥)</sup>، "يا هذا  
غضّ على ناجرتك"<sup>(٦)</sup>.
- ٣- نداء + ف + أمر  
نحو قول التوحيدي: "اللهم فاجمع هذا الشمل المبدد"<sup>(٧)</sup>، "اللهم فسلمنا كما  
شئت"<sup>(٨)</sup>، "اللهم فاجعل قولنا فيك مسموعاً"<sup>(٩)</sup>.
- ٤- نداء + نعت + أمر  
نحو قول التوحيدي: "أيها الإنسان تنبه"<sup>(١٠)</sup>، "يا أيها العالم اعمل"<sup>(١١)</sup>، "يا أيها  
الغاسك اثبت"<sup>(١٢)</sup>.

١- الإشارات الإلهية، تحقيق د/ وداد القاضي، ص ٢٢٥.

٢- المصدر السابق، ص ٢٤١.

٣- المصدر السابق، ص ٢٠٨.

٤- المصدر السابق، ص ٢٤١.

٥- المصدر السابق، ص ٢٤١.

٦- المصدر السابق، ص ٣٣٨.

٧- المصدر السابق، ص ٢٢٥.

٨- المصدر السابق، ص ١٠٩.

٩- المصدر السابق، ص ٢١٢.

١٠- المصدر السابق، ص ٢١١.

١١- المصدر السابق، ص ٣٣٥.

١٢- المصدر السابق، ص ٣٣٥.

٥- نداء + استفهام

نحو قول التوحيدي: "يا هذا أتدري من شيطانك؟" (١)، "يا هذا كيف أوردك رياض هذه النعم؟" (٢)، "إلهنا كيف نطلبك وأنت قبل الطلب موجود؟" (٣)، "حبيبي أما ترى ضيعتي في تحفظي؟" (٤).

٦- نداء + نعت + جار ومجرور + استفهام

نحو قول التوحيدي: "أيها الساكت بالعي كم تظن أنك سالم من الغضب؟" (٥)، "الناطق باللسان أين شعارك الذي يشهد لك بالصدق؟" (٦).

٧- نداء + شرط

نحو قول التوحيدي: "يا هذا إنا زخربك وأدي الدعاء فاعلم أنك مخصص بالإجابة" (٧)، "يا هذا إنا كنت ناكلاً غنح" (٨)، "إلهنا لو قدرناك حق قدرك لم نلف بذكرك" (٩)، "يا هذا إنا ترشوا لك بغيب التوحيد على ألحان المعرفة فاشخص عن مكانك" (١٠).

٨- نداء + نهّي

نحو قول التوحيدي: "يا هذا لا تُزع فما أقربني منك" (١١)، "يا هذا لا تكذب نفسك" (١٢).

٩- نداء + نفي

- ١- المصدر السابق، ٢٤٣.
- ٢- الإشارات الإلهية، تحقيق د/ وداد القاضي، ص ٣٢١.
- ٣- المصدر السابق، ص ١٠٣.
- ٤- المصدر السابق، ص ١٠٣.
- ٥- المصدر السابق، ص ١٧٧.
- ٦- المصدر السابق، ص ١٧٧.
- ٧- المصدر السابق، ص ٩.
- ٨- المصدر السابق، ص ٣.
- ٩- المصدر السابق، ص ١٧٧.
- ١٠- المصدر السابق، ص ٢٤٢.
- ١١- المصدر السابق، ص ٢٣٦.
- ١٢- المصدر السابق، ص ٢٩٢.



نحو قول التوحيدي: "سيدي ليس بموفق من توسل بغير الافتقار إليك"<sup>(١)</sup>، "إلهنا لا جمال إلا لوجهك"<sup>(٢)</sup> ١٠.

١٠- نداء + اسم معطوف

نحو قول التوحيدي: "يا ذا الجلال والإكرام"<sup>(٣)</sup> وقد تكررت هذه البنية كثيرا فقد وردت في معظم رسائل الكتاب.

١١- نداء + نعت + اسم معطوف + اسم استفهام

نحو قول التوحيدي: "أيها الصديق المخالف والصاحب المكانيف أما ترى انتشاري في كلامي"<sup>(٤)</sup>.

١٢- نداء + قسم

نحو قول التوحيدي: "إلهنا بحرمة هذه السابقة منك إلينا"<sup>(٥)</sup>.

١٣- أمر + نداء + بدل + مفعول به

نحو قول التوحيدي: "بادر يا هذا وكذب نفسك"<sup>(٦)</sup>.

مما سبق يتضح لنا أن النداء في "الإشارات الإلهية" جاء على صور تركيبية متعددة وكثيرا ما أتى بعد النداء الأمر، ولعل سبب ذلك كون النداء ينبه الذهن إلى ما بعده من حكم فإننا تبعه الأمر وجد النفس مهتأة، والعقل يقظا والقلب متنبها، فيقع الأمر منه موقع الإصابة فسبق الأمر بالنداء لتنبيه المخاطب يدل على عناية الأمر بأمره الذي ألقاه إلى المأمور، ورغبته في إعداد نفس المخاطب لتلقي الأمر الذي أعقب النداء"<sup>(٧)</sup>.

١- المصدر السابق، ص ١٥٧.

٢- المصدر السابق، ص ١٠٢.

٣- الإشارات الإلهية، تحقيق د/ وداد القاضي، ص ١٠.

٤- المصدر السابق، ص ٢٨٤، المكثف أي المعاون.

٥- المصدر السابق، ص ١٠٣.

٦- المصدر السابق، ص ١٥٥.

٧- بلاغة الأساليب الإشارية في القرآن الكريم، د/ عبد العزيز عبد السلام محمد، بيروت، دار الهلال، ١٩٩٩، ص ١٢١.

---

عبقرية النثر العربي

وقد وعى أبو حيان التوحيدي هذه الدلالة فأكثر من استخدام الأمر بعد النداء، ليثبت تحكمه في لغته، وسيطرته على أدواته. فالنداء يعد من مقومات أسلوب الأمر. كما تأتي بعد النداء الجملة الخبرية. ولكن بنسبة أقل من فعل الأمر وفي رأيي أن ذلك راجع إلى الحالة التي تسيطر على أبي حيان التوحيدي فهو في حال التمجيد والتقرير والاعتراف بعظمة الله سبحانه وتعالى.

## حلالاتهم النداء

ذكرت أن النداء هو طلب المنادي بأحد أحرف النداء، ولكن دلالات النداء قد تخرج عن هذا المعنى إلى معانٍ جانبية، هذه المعاني لا تعطى الصيغة لكن القرينة، و' هذه المعاني الجانبية أحياناً تظهر واضحة في الجملة، وفي المقابل نجد ما ترى المعنى فيه خفياً لا يظهر لك بوضوح<sup>(١)</sup>.

وهذه المعاني في كثير من صورها سوانح خفية أشبه بالأسرار الغامضة<sup>(٢)</sup> وأنا أحاول اكتشاف المباني المتمثلة أمامي حتى أصل من خلالها إلى المعاني التي يقصدها الكاتب معتمداً على التنويع القائم على المعرفة.

من خلال كتاب "الإشارات الإلهية" قد يبتنع حمل النداء على حقيقته، فيتولد بمعونة القرائن والسياق متولدات متعددة أظهرها:

١- بيت الشكوى، وإظهار التضرع والخضوع لله سبحانه وتعالى، نحو قول التوحيدي: "اللهم إني أشكو إليك شاهداً خدوعاً"<sup>(٣)</sup>، "إلهنا نحن عبيدك متصرفون على إرادتك"<sup>(٤)</sup> "اللهم إنا نخضع لك لائذين بك"<sup>(٥)</sup>، "اللهم إنا قد قابلناك بوجوهنا فحيناً"<sup>(٦)</sup>.

فأبو حيان التوحيدي يبتش شكواه لخالفه يستنزل بها رحمته، ويستجلب رافته سبحانه وتعالى، وذلك في حال إظهار كمال الخضوع والتسليم لله سبحانه وتعالى ودل على ذلك استخدامه الفاظ "أشكو"، "عبيدك"، "نخضع".

١- بلاغة الأساليب الإتشائية، ص ٢٢.

٢- المرجع السابق، ص ٢٢.

٣- الإشارات الإلهية، تحقيق د/ واد القاضي، ص ٢٢٥.

٤- المصدر السابق، ص ٢٠٨.

٥- المصدر السابق، ص ٢٨٤.

٦- المصدر السابق، ص ٢٠٩.

٢- وقد أتى النداء لتمجيد المولى سبحانه وتعالى، نحو عبارة: "يا ذا الجلال والإكرام" وهي عبارة تتكرر في أغلب رسائل الكتاب، وغالباً ما تنتهي بها الرسالة إظهاراً لقدرة الله سبحانه وتعالى وعظمته من خلال ألفاظ "الجلال"، "الإكرام" ونحو قول أبي حيان التوحيدي: "يا حافظ الأسرار... يا واهب الأعمار يا منشئ الأخبار، يا مولج الليل في النهار"<sup>(١)</sup>.

وهذه العبارات المشرقة الناصعة التي يمجّد بها أبو حيان التوحيدي ربه وخالفه تعبر عن صدق إيمان التوحيدي وعمقه.

وقد أتى النداء في "الإشارات الإلهية" بغرض الدعاء نحو: "اللهم اغننا بتقبيحك عن تنبيه خلقك"<sup>(٢)</sup>، "اللهم فاجعل قولنا لك مسموعاً وفكرنا فيك مرفوعاً"، "اللهم اكفنا كل مكاييد"<sup>(٣)</sup>. يتوجه التوحيدي بعد النداء بالأمر الموجه إلى الله سبحانه وتعالى، فهو أمر من الأدنى للأعلى فيكون غرضه الدعاء، ولذلك خرجت دلالة النداء لغرض بلاغي هو الدعاء ٤- وقد أتى النداء في "الإشارات الإلهية" بغرض إظهار الإنكار، والتعجب نحو قول التوحيدي: "أيها الصديق المخالف والصاحب المكانف أما ترى انتشاري في كلامي"<sup>(٤)</sup>، "أيها الواعظ المبلّ كمْ تهدي وأنت في واد من حقيقة وعظك؟ أيها الساكت بالعي: كم تظن أنك سالم من الغثيب؟"<sup>(٥)</sup>.

لقد خرج النداء كما رأينا عن معناه الحقيقي إلى غرض إظهار التعجب فالتوحيدي في سياق التعجب من الصديق الذي لا يدرك حال صاحبه، وفي سياق الإنكار على الواعظ

١- الإشارات الإلهية، تحقيق د/ وداد القاضي، ص ١.

٢- المصدر السابق، ص ٢١١.

٣- المصدر السابق، ص ١٥٤.

٤- المصدر السابق، ص ٢٨٤.

٥- المصدر السابق، ص ١٧٧.

الذي يرشد الناس، وهو في أشد الحاجة إلى الهداية، وينكر على الساكت ظنه أنه سالم من العقاب.

٥- وقد ورد النداء في "الإشارات الإلهية" بقصد الإرشاد، نحو قول التوحيدي: "يا أيها المكفّي اسعد، فقد قيل السعيد من كفي ويا أيها المدير أقبل فالمغبوط من أقبل، ويا أيها العاقل: تنبه فالمجدود من تنبه، ويا أيها الجاهل اعلم فالناجي من علم، ويا أيها العالم: اعمل فالراجي من عمل، ويا أيها اللاعب جد، فالمستظهر من جد" (١).

يبدو الإرشاد والتوجيه هدفا كبيرا لدى التوحيدي في "الإشارات الإلهية" فهو يرشد المدير إلى الإقبال، والمجدود إلى التنبه، والجاهل إلى العلم، والعالم إلى العمل، واللعب إلى الاجتهاد، ولعلك تشعر القوة التي تتوافر في هذا التوجيه فيستخدم التوحيدي الأمر ويقويه بالنداء ثم يشدد عضدهما بذكر الدليل أو الدافع لتوجيه هذا الأمر، وقد تكرر هذا الأسلوب كثيرا عند التوحيدي إذ يعبر من خلاله عن رغبته الأكيدة، وصدقه في النصيح والإرشاد.

٦- وقد ورد النداء لإظهار اليأس: نحو قول التوحيدي: "أيها الصديق المجاور كيف أتكلم والفؤاد هائم بكل واد" (٢). ونحو قوله: "يا جاني الطبع، ويا قاسي القلب، ويا سيء الاختيار كيف يطعم الطامع في رشدك وهذا نظرك لنفسك" (٣).

تستشعر هنا يأس التوحيدي بالفؤاد هائم بكل واد وهو ينادي محاوره ويصفه بصفات الجفاء والقسوة، ويستبعد أن يقتنع أحد بكلامه، أو يعتقد فيه، ولم ينتفع هو به من قبل وقد يكون المعنى بالخطاب هنا التوحيدي نفسه في لحظات يأسه فقد خرج النداء عن غرضه الحقيقي لإظهار اليأس والسخط.

١- الإشارات الإلهية، تحقيق د/ وداد القناص، ص ٢٣٥.

٢- المصدر السابق، ص ٢٠٥.

٣- المصدر السابق، ص ٤.

- ٧- كما ورد النداء في "الإشارات الإلهية" وغرضه التوبيخ والتأنيب نحو قول التوحيدي: "أيها الجائب للبلاد بزاد ويغير زاد أين غنيمتك من السفر؟" (١) ونحو قول التوحيدي: "أيها الناطق باللسان أين شعارك الذي يشهد لك بالصدق؟" (٢).
- خرج النداء عن غرضه الحقيقي ليشعر بالتأنيب والتوبيخ فهو يؤنب المسافر في كل زمان وكل اتجاه وقد رجح خالي الوفاض لم يستغد من سفره شيئاً ويؤنب ذلك الناطق بالشعارات ولم يلتزم بأدائها.
- ٨- وقد أتى النداء في "الإشارات الإلهية" بغرض التأنيب نحو قول التوحيدي: "أيها السامع هذا كله تأنيب لك من الحق لأنك مستوحش بنفسك" (٣).
- فالتوحيدي يريد أن يؤنس وحشة المنادى فخرج النداء عن غرضه الحقيقي ليدل على الأنيس وقريئة ذلك لفظ "تأنس" الذي ورد في العبارة.
- ٩- وقد ورد النداء في "الإشارات الإلهية" بغرض الحث والتحريض نحو قول التوحيدي: "يا هذا إلى متى هذا التمطي وهذه التكاأة؟" (٤). ورد ذلك في سياق استبطاء التمسك بأوامر الله والإعراض عنها والانصراف عن صحة الله.
- ١٠- وقد ورد النداء في "الإشارات الإلهية" وغرضه التلطف نحو قول التوحيدي: "يا هذا الحديث ذو شجون" (٥). وقوله: "يا هذا إن كنت تحب نفسك فلا تحقر لها مغوتها بيدك" (٦). ورد ذلك في سياق التوجيه اللين الذي قدمه أبو

١- المصدر السابق، ص ١٧٧.  
٢- المصدر السابق، ص ١٧٧.  
٣- الإشارات الإلهية، تحقيق د/ وداد القاضي، ص ٢٨٩.  
٤- المصدر السابق، ص ٣٣٧.  
٥- المصدر السابق، ص ٦.  
٦- المصدر السابق، ص ٣٣٨.

حيان التوحيدى وقرينة ذلك قول التوحيدى: "إن كنت تحب نفسك"، على سبيل التحبيب في العمل واللين في التوجيه.

وخلاصة الحديث في مبحث النداء في كتاب "الإشارات الإلهية" أنه مبحث ثر حيث تتنوع في الكتاب تراكيب النداء كما تتنوع دلالات هذه التراكيب حيث يخرج النداء عن دلالاته الحقيقية لدلالات أخرى تستفاد من السياق والقرينة، وتبعاً للتفاوت في الحالة النفسية يتراوح حديث أبي حيان التوحيدى بين اللين والشدّة.

وإنني حين أدرس خصائص التراكيب ودلالاتها إنما أدرس في الحقيقة "خصائص الحس، وأحوال الشعور لأن الجملة بشيائها المتعلقة بالصياغة هي في الحقيقة حالة ذهنية أو خطرة من خطرات النفس وخصائص الأحوال الروحية وملامحها، وشيائها دقيقة جداً وغامضة، وملبسة، ثم هي منعكسة في الكلام بكل هذا الغموض، وكل هذه الدقة والإلباس والتقلت"<sup>(١)</sup>.

ولهذا فإن العناية بالكيفيات والتراكيب ليست إلا بحثاً في أسرار القلوب والعقول، وما أصعب أن تواجه قلباً مفعماً بالحياة، ونفساً جياشة بالخواطر كقلب أبي حيان التوحيدى ونفسه.

إن معاني التراكيب غير محصورة، ولا ينبغي أن تقتصر على السماع من غير أن تتخطاه، ولعل أبا حيان التوحيدى شاهد على ذلك فقد تعدى النداء عنده معناه الحقيقي إلى معانٍ أخرى غديدة، والقارئ عندما يستجلي هذه المعاني لا بد أن يحكم الذوق المستند إلى المعرفة لأن: "التذوق غير المؤسس على المعرفة ضلال مبین"<sup>(٢)</sup>.

١- دلالات التركيب، ص ٢٦٦.  
٢- المرجع السابق، ص ١٥.

لقد توجه أبو حيان التوحيدي إلى الله سبحانه وتعالى بالنداء للتمجيد والتعظيم أو لإظهار الخضوع والتوبة والندم. وقد يتوجه بالنداء وعرضه الدعاء وعندما يتوجه بالنداء للإنسان فهناك إحياء يدل على أنه يوجه النداء للإنسان بصفة عامة " فهذا الذي يدعوه أبو حيان التوحيدي هو الإنسان عامة" (١). فبنوع في دلالات النداء فقد يكون عرضه الحث أو التلطف أو التوبيخ إلى غيرها من الأغراض.

كما نلاحظ أن التوحيدي استعمل "يا هذا" في النداء بنسبة بلغت ٣٨٪ حيث استخدم هذا التعبير (٦٣) مرة في عينة الإحصاء. ومن المعروف كون اسم الإشارة يدل على معين بواسطة إشارة حسية باليد ونحوها إن كان المشار إليه حاضرا أو إشارة معنوية إن كان المشار إليه معنى أو ذاتا غير حاضرة (٢).

وفي استخدام كلمة "هذا" ما يدل على قرب المنادى من نفس أبي حيان التوحيدي لأن المشار إليه إذا كان قريبا جيء باسم الإشارة مجردا من الكاف وجوبا ومقرونا بهاء التنبيه جوارا (٣).

١- الإشارات الإلهية، تحقيق د/ واد القاطني، ص ٢٤٣.  
٢- قطر الندى ويل السدي، ابن هشام الأصبهاني، شرح وتعليق محمد عبد المنعم الفخلفي، المنصورة، مكتبة الإيمان، ص ٦٢.  
٣- المرجع السابق، ص ٦٢.



## المبحث الرابع

## الاستفهام

الهمزة والسين والتاء تفيد معنى الطلب فالاستفهام كما يقول ابن هشام: "حقيقته طلب الفهم"<sup>(١)</sup>، والفهم يعنى حصول صورة المراد فهمه في النفس وإقامة هيئته في العقل"<sup>(٢)</sup> وإذا نظرنا إلى مكونات الجملة فإن كل مكون يصلح أن يكون مقصودا بسؤال والاستفهام يكون بأدوات مخصوصة تنقسم هذه الأدوات على حروف وأسماء وظروف أما الحروف فتشمل الهمزة (أم) على احتمال، وأما الأسماء فهي: (أي، كم، كيف، من، ما) وأما الظروف فهي: (أنى، أين، أيان، متى)<sup>(٣)</sup>.

هذا التقسيم يقوم على أساس نوع الأداة وهناك تقسيم يقوم على أساس عمل الأداة. "فأدوات الاستفهام منها ما هو خاص بأشياء معينة فلا يسأل بها عن غيرها ومنها ما هو صالح لأن يسأل بها عن كل شيء"<sup>(٤)</sup>.

وهي في هذا تنقسم إلى ثلاثة أقسام"<sup>(٥)</sup>.

١- ما يسأل به عن التصديق تارة وعن التصور تارة أخرى، "الهمزة"<sup>(٦)</sup>.

٢- ما يسأل به عن التصديق فقط "هل"<sup>(٧)</sup>.

١- معنى اللبيب، ص ١٩.  
٢- دلالات التركيب، ص ٢٠٧.  
٣- أساليب الطلب في القرآن، خالد السيد عبد العال، جامعة الزقازيق، فرع بنها، كلية الآداب، ١٩٩٥، رسالة ماجستير، ص ٥٤.  
٤- دلالات التركيب، ص ١٠٨.  
٥- بلاغة الأساليب الإنشائية، ص ١٦.  
٦- الهمزة يسأل بها عن كل شيء في الجملة تصديقا أو تصورا أو إثباتا أو نفيًا، التصور والتصديق من مصطلحات علم المنطق، فالتصور إدراك المفرد، والتصديق إدراك النسبة القائمة بين الموضوع والمحمول عليه.  
٧- هل لا يسأل بها عن تصور أي ركن من أركان الجملة الملقطة إما يسأل بها عن الرابط أو الحكم أو الإسناد، والإجابة عنها تكون بنعم أو لا.

٣- ما يسأل به عن التصور فقط وهي باقي أدوات الاستفهام<sup>(١)</sup> والمعروف أن استخدام الهمزة يؤدي بنا إلى اعتبارات تكثُر في صياغة الجملة الداخلة عليها "تدق وتحتاج إلى حذروعي في استعمالها"<sup>(٢)</sup> كتحديد المستفهم عنه وغيرها ومثلها هل يلاحظ أيضا في بناء الجملة اعتبارات أخرى أما باقي الأدوات التي يطلب بها تصور أشياء محدودة "لا يلتزمون في بناء الجملة معها شيئا رائدا عن الضبط العام في النظام الإعرابي"<sup>(٣)</sup>.

هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن الاستفهام بوصفه من أنواع التراكيب قد يحمل على حقيقة معناه. وقد يمتنع حمله على حقيقته حيث تتولد بمعونة القرائن ما يناسب المقام. ولا تنحصر المتولدات<sup>(٤)</sup>.

والحاكم في ذلك كما ذكرت سابقا هو سلامة الذوق، وحضور الذهن، والمعرفة المسبقة وهذه المعاني كثيرة وكثيفة ومتداخلة، منها الواضح ومنها الخفي.

وقد خصص هذا المبحث لتحديد ملامح البنية التركيبية للاستفهام وأهم ما تتميز به في كتاب "الإشارات الإلهية" ثم بيان الدلالات المتولدة والأغراض التي أرادها التوحيدي من خلال البنية التركيبية للاستفهام.

ولذلك قُمت بإجراء إحصاء على تسع رسائل من رسائل الكتاب هي الرسالة (١) والرسالة (١٧) والرسالة (٢٤) والرسالة (٣١) والرسالة (٤٣) والرسالة (٤٦) والرسالة (٤٩) والرسالة (٥٢).

١- هذه الأدوات يطلب بها تصور أشياء معينة هي معانها التي وضع لها كل حرف منها ويكون الجواب عنها بتعيين المستفهم عنها.

٢- دلالات التركيب، ص ٢١٠.

٣- دلالات التركيب، ص ٢٠٩.

٤- بلاغة الأساليب، ص ٧٩.

حيث وجدت أن هذه الرسائل تمثل أغلب صور البنية التركيبية للاستفهام في "الإشارات الإلهية" كما تمثل تنوعاً في الدلالات الناتجة عن هذه البنية.

الرسالة	أ	هل	أي	كم	كيف	من	ما	أين	لن	أين	متى	مجموع
١	-	١	-	-	-	١	-	-	-	-	-	١
٢	-	١	-	-	-	١	-	-	-	-	-	٢
٣	-	١	-	-	-	١	-	-	-	-	-	٢
٤	-	١	-	-	-	١	-	-	-	-	-	٢
٥	-	١	-	-	-	١	-	-	-	-	-	٢
٦	-	١	-	-	-	١	-	-	-	-	-	٢
٧	-	١	-	-	-	١	-	-	-	-	-	٢
٨	-	١	-	-	-	١	-	-	-	-	-	٢
٩	-	١	-	-	-	١	-	-	-	-	-	٢
١٠	-	١	-	-	-	١	-	-	-	-	-	٢
١١	-	١	-	-	-	١	-	-	-	-	-	٢
١٢	-	١	-	-	-	١	-	-	-	-	-	٢
١٣	-	١	-	-	-	١	-	-	-	-	-	٢
١٤	-	١	-	-	-	١	-	-	-	-	-	٢
١٥	-	١	-	-	-	١	-	-	-	-	-	٢
١٦	-	١	-	-	-	١	-	-	-	-	-	٢
١٧	-	١	-	-	-	١	-	-	-	-	-	٢
١٨	-	١	-	-	-	١	-	-	-	-	-	٢
١٩	-	١	-	-	-	١	-	-	-	-	-	٢
٢٠	-	١	-	-	-	١	-	-	-	-	-	٢
مجموع	٢٠	٢٠	٢٠	٢٠	٢٠	٢٠	٢٠	٢٠	٢٠	٢٠	٢٠	٢٠٠
نسبة	١٠٠٪	١٠٠٪	١٠٠٪	١٠٠٪	١٠٠٪	١٠٠٪	١٠٠٪	١٠٠٪	١٠٠٪	١٠٠٪	١٠٠٪	١٠٠٪

الإحصاء السابق يوضح لنا أن عدد جمل الاستفهام في عينة الإحصاء هو (٢٣٩) جملة. وقد أكثر التوحيدي من استخدام أداة الاستفهام "الهمزة" حيث استخدمها (٥٢) مرة بنسبة مئوية ٢١.٨٪ وتلاها في الاستخدام (أين) استخدمها (٥٠) مرة بنسبة مئوية ٢٠.٩٪ وهناك أدوات استفهام لم يستخدمها التوحيدي قط هي "كم"، "أين".

والسؤال الذي يطرحه البحث هنا:

ما دلالة ذلك عند أي حيان التوحيدي؟ هل يسير مع نظام بنية اللغة أم يخالفها؟  
تعد الهمزة من أدوات الاستفهام قال ابن هشام: "الألف أصل أدوات الاستفهام".<sup>(١)</sup>  
لأن دلالتها على الاستفهام إنما يكون بذاتها أما دلالة غيرها عليه فيكون بالتضمن أو التطفل فالتطفل يكون في هل، والتضمن يكون في جميع الأدوات.  
والهمزة هي أداة الاستفهام الوحيدة التي يسأل بها عن كل شيء في الجملة "وإنما تدخل على الإثبات كما تقدم وعلى النفي".<sup>(٢)</sup>

١- مغني اللبيب، ص ٢١.  
٢- المرجع السابق، ص ٢٢. ومن خواص همزة الاستفهام أنها إذا كانت في جملة معطوفة بالواو أو بالفاء أو بثم قدمت على المعطوف تنبيهاً على أصالتها في التصدير نحو: أو لم ينظروا أقام يسبوا، أخواتها تتأخر عن حروف المعطف.

إذا كان هذا موقع الهمزة بين أدوات الاستفهام فليس غريباً أن يكثر التوحيدي من استخدامها، فهو يسير وفق تقاليد العربية التي جعلتها أم هذا الباب لأصالة الاستفهام بها وتنوع استخدامها الحقيقي والمجازي، وقد ذكر ابن هشام في المغني أن الهمزة قد تخرج عن الاستفهام الحقيقي فتزدل ثمانية معانٍ<sup>(١)</sup>.

وأرجح أن المعاني التي ترد إليها همزة الاستفهام لا تقتصر على تلك المعاني التي أوردها ابن هشام، فقد تخرج الهمزة لأغراض أخرى كالدعاء، والالتماس وغيرها كما سئرى وجاء بعد الهمزة في الاستفهام "أين" وأين اسم من أسماء الأمكنة مهم تقع على الجهات الستة وكل مكان يستفهم بها عنه<sup>(٢)</sup> ولا تكون إلا للأماكن وقد وردت أداة الاستفهام أين (٥٠) مرة بنسبة مئوية ٢٠.٩٪ وهي نسبة كبيرة، وأعتقد أن سبب ذلك هو حيرة التوحيدي واستفساره عن موقعه بين الناس وعن موقع علمه، وثقافته فهو دائماً ما يبحث عن المكان، وعن المكانة ويبحث عن الملجأ والمأوى وعن مكان الناصر المعين. كل هذا جعل من "أين" ضالة وقع عليها التوحيدي أعانته على إظهار مكنونات نفسه فسأل بها، وطلب الفهم لقد جاءت الأداة معبرة عن إحساس التوحيدي وشعوره، ومعبرة عن خبرته ويحثه عن المكان الصحيح.

تلي الهمزة و"أين" في نسبة الوجود "هل" فقد وردت (٢٩) مرة بنسبة مئوية ١٢.١٪ وهل "حرف موضوع لطلب التصديق الإيجابي"<sup>(٣)</sup> فهي تختص بالتصديق، والإيجاب تقول "هل زيد قائم" ويمتنع "هل لم يقم زيد"<sup>(٤)</sup>.

١- معنى اللبيب، ص ٢٢، هذه المعاني الثمانية هي: التسوية، الإنكار، الإبطاء، الإنكار التوبيخي، التقرير، التهكم الأمر، التعجب، الاستبطاء.

٢- شرح المفصل، لابن يعقوب، القاهرة، مكتبة المثنى، بدون عام للطبع، ص ٤٥٧.

٣- معنى اللبيب، ص ٤٠٣.

٤- المرجع السابق ص ٤٠٣، وذكر ابن هشام أن هل تختص بعدم الدخول على الشرط ولا على إن وتمتاز بأنها تقع بعد الملتف لا قبله وأنها تأتي بمعنى قد وذلك مع اللط.

ولعل السبب في كثرة استخدام التوحيدي لـ "هل" كون هل نزاعة إلى الأفعال وصياغة الاسمية معها يعني أنها خالفت ما تنزع إليه، ولا يكون ذلك إلا لهوى في نفسك<sup>(١)</sup>، وتعليل نزوعها إلى الأفعال أنها، للتصديق، والتصديق حكم، والحكم إنما يتوجه إلى الصفات والأفعال، وهذه رحم بينها وبين الأفعال والرحم أنها تعمل في الأفعال من حيث أنها تخلص المضارع إلى الاستقبال، وهذا نوع من التأثير، ولا يكون التأثير إلا حيث يكون الاختصاص<sup>(٢)</sup>.

إن الأفعال التي تنزع إليها هل التي تدل على التجدد والحدوث تناسب الاضطراب والتأرجح الذي يملأ نفس أبي حيان التوحيدي، واعتقد أن هذا سبب يبرر كثرة استخدام أبي حيان التوحيدي لأداة الاستفهام هل بكثرة في كتاب "الإشارات الإلهية". وقد جاءت "من" بنفس نسبة ورود هل ١٢.١٪ يقول ابن فارس "من اسم لمن يعقل نقول "لقبت من لقيت" و"من مر بك؟" في الاستفهام، وهو يكون في الواحد والاثنين والجمع<sup>(٣)</sup>.

ويستخدم أبو حيان التوحيدي هذه الأداة غالباً عندما يكون المستفهم عنه هو الله سبحانه وتعالى وكثيراً ما يخرج الاستفهام عن معناه الحقيقي إلى معانٍ ودلالات أخرى متولدة وفقاً لأحوال التوحيدي ومواقفه.

١- دلالات التركيب، ص ٢٦٨.

٢- المرجع السابق، ص ٢٦٨.

٣- الصاحبي، لأبي الحسن أحمد بن فارس، تحقيق السيد أحمد سقر، القاهرة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ٢٠٠٣م ص ٢٧٤.

## الصور التركيبية لجمل الاستفهام

تنوعت الصور التركيبية لجمل الاستفهام في كتاب "الإشارات الإلهية" كما تنوعت أدواته وأظهر الصور:

- (١) أداة استفهام + ضمير  
نحو قول التوحيدي: "أين أنت؟" (١)، "ما أنت؟" (٢)، "كيف أنت؟" (٣).
- (٢) أداة استفهام + اسم  
نحو قول التوحيدي: "أين الأمان؟" (٤)، "أين الملوك؟" (٥)، "أين المطلوب؟" (٦).
- (٣) أداة استفهام + اسم + حرف عطف + اسم  
نحو قول التوحيدي: "أين مخايله وشواهده؟" (٧)، "أين وسائله وفرائده؟" (٨)، "أين ترفقي وتحققي؟" (٩).
- (٤) أداة استفهام + جملة اسمية  
نحو قول التوحيدي: "هل أنت معتبر؟" (١٠)، "هل أنت عارف؟" (١١).
- (٥) أداة استفهام + أداة نفي + جملة اسمية

١- الإشارات الإلهية، تحقيق د/ وداد القاضي، ص ٢٤٦.

٢- المصدر السابق، ص ٢٤٦.

٣- المصدر السابق، ص ٢٤٦.

٤- المصدر السابق، ص ٧.

٥- المصدر السابق، ص ٣٥٧.

٦- المصدر السابق، ص ٧.

٧- المصدر السابق، ص ٣٦٩.

٨- المصدر السابق، ص ٣٦٩.

٩- المصدر السابق، ص ٣٤٣.

١٠- المصدر السابق، ص ٣٥٧.

١١- المصدر السابق، ص ٣٥٨.

نحو قول التوحيدى: "ألا صافى من كدرا الأقدار؟" (١) ألا متميز من عادة الأعمام؟" (٢)، "أليس مؤها غامراً لعلوها؟" (٣)، "أليس كدرا غالباً لصفوها؟".

(٦) حرف جر + أداة استفهام + جملة اسمية

نحو قول التوحيدى: "إلى متى هذه الغفلة والله؟".

(٧) أداة استفهام + خبر مقدم + مبتدأ مؤخر

نحو قول التوحيدى: "هل لنا من مناص؟" (٤).

(٨) أداة استفهام + نفي + خبر مقدم + مبتدأ مؤخر

نحو قول التوحيدى: "أما لك هذه الأحوال العجيبة فطانة؟" (٥)، "أما لك مما ترى فيما لا ترى عبرة؟" (٦)، "أما لك مما تشهد فيما لا تشهد عبرة؟" (٧).

(٩) أداة استفهام + جملة فعلية فعلها ماضٍ

نحو قول التوحيدى: "هل شهدت حالاً؟" (٨)، "هل علمتم ماناً أريد بكم؟" (٩).

(١٠) أداة استفهام + جملة فعلية فعلها مضارع.

نحو قول التوحيدى: "متى تعرف الفضل؟" (١٠)، "كيف أرجو شفاء حالى؟" (١١).

(١١) أداة استفهام + حرف نفي + جملة فعلية فعلها مضارع

١- المصدر السابق، ص ٣٦٨.

٢- المصدر السابق، ص ٣٦٨.

٣- المصدر السابق، ص ٣٦٨.

٤- الإشارات الإلهية، تحقيق د/ ودا القاسى، ص ٧.

٥- المصدر السابق، ص ٢٠٧.

٦- المصدر السابق، ص ٢٠٧.

٧- المصدر السابق، ص ٢٠٧.

٨- المصدر السابق، ص ٢٤٦.

٩- المصدر السابق، ص ٣٦٦.

١٠- المصدر السابق، ص ٣٦٦.

١١- المصدر السابق، ص ٣٤٢.

نحو قول التوحيدي: "أما تعتبر بمن مضى؟" (١)، "أما ترى قصورها موقوفة على خرابها؟" (٢).

(١٢) أداة استفهام + مفعول به + فعل ماضٍ

نحو قول التوحيدي: "هل نسيم حضرته عبقتم؟" (٣).

(١٣) حرف جر + أداة استفهام + فعل مضارع

نحو قول التوحيدي: "إلى متى تدبر؟" (٤)، "إلى متى تصم؟" (٥)، "إلى متى تعمى؟" (٦).

(١٤) حرف جر + أداة استفهام + مضاف إليه + جملة فعلية

نحو قول التوحيدي: "فبأي زيادة ربحتم؟" (٧)، "بأي فائدة انقلبتم؟" (٨).

(١٥) أداة استفهام + فعل مضارع + مصدر مسنول

نحو قول التوحيدي: "أتريد أن تجالس الملوك؟" (٩)، "أتريد أن تصيب الهدف؟" (١٠).

(١٦) أداة استفهام + اسم موصول + جملة فعلية

نحو قول التوحيدي: "ما الذي يراود بك؟" (١١)، "ما الذي تريد؟" (١٢).

(١٧) أداة استفهام + اسم إشارة + بدل + جار ومجرور

١- المصدر السابق، ص ٣٦٧

٢- المصدر السابق، ص ٣٥٦

٣- المصدر السابق، ص ٣٦٩

٤- الإشارات الإلهية، تحقيق دار واد القاضي، ص ١١٨

٥- المصدر السابق، ص ١١٨

٦- المصدر السابق، ص ١١٨

٧- المصدر السابق، ص ٣٦٨

٨- المصدر السابق، ص ٣٦٨

٩- المصدر السابق، ص ٣٦٣

١٠- المصدر السابق، ص ٣٦٣

١١- المصدر السابق، ص ٣٤٦

١٢- المصدر السابق، ص ٣٤٦



نحو قول التوحيدي: "ما هذا التعلل بأحلام النائمين؟" (١)، "ما هذا الإعراض عن علم اليقين؟" (٢).

(١٨) أداة استفهام + جار ومجرور + جار ومجرور

نحو قول التوحيدي: "من لنا بك؟" (٣)، "من عليّ منك؟" (٤).

(١٩) اسم + أداة استفهام + جملة فعلية

نحو قول التوحيدي: "حضرة من قصدنا وسرنا؟" (٥)، "كلمة من اعتقدنا واعتمدنا؟" (٦)، "خاتم من أخذنا وملكنا؟" (٧).

(٢٠) أداة استفهام + شرط

نحو قول التوحيدي: "كيف إذا سئلت؟" (٨)، "كيف إذا طولبت؟" (٩).

(٢١) أداة شرط + جملة فعل الشرط + الغاء + الاستفهام

نحو قول التوحيدي: "إن كنت مع اليقين فأين الهيبة؟" (١٠)، "إن كنت مع الحياة فأين المراقبة؟" (١١).

١- المصدر السابق، ص ٣٠٢.

٢- المصدر السابق، ص ٣٠٢.

٣- المصدر السابق، ص ١٢١.

٤- المصدر السابق، ص ١٢٢.

٥- الإشارات الإلهية، تحقيق دار واد القلبي، ص ٣٢٩.

٦- المصدر السابق، ص ٣٢٩.

٧- المصدر السابق، ص ٣٢٩.

٨- المصدر السابق، ص ٨.

٩- المصدر السابق، ص ٨.

١٠- المصدر السابق، ص ٣٠٥.

١١- المصدر السابق، ص ٣٠٥.

## حدالاتهم الاستفهام

"إذا كان الاستفهام هو طلب حصول صورة الشيء في الذهن بأدوات مخصوصة هي أدوات الاستفهام، وهذه الأدوات منها ما يختص بأشياء معينة \* ومنها ما هو صالح لأن يسأل به عن كل شيء" (١) فقد يتعذر حمل الاستفهام على حقيقة معناه فتخرج دلالات أدواته وصيغته عن حقيقة مواضعها وهنا نجد معاني جديدة قد تولدت واتضحت لنا بمعونة السباق، والقرائن الحالية واللفظية، والسؤال الذي يطرحه البحث الآن ما تلك الدلالات التي تولدت عن الاستفهام في كتاب "الإشارات الإلهية"؟

إن أدوات الاستفهام تشيع معاني كثيرة ورحبة، وهذه المعاني، تتميز بأنها خفية وهاربة لا تستطيع وصفها بدقة وسيطرة، وهذا ليس بعيداً عن طبيعة اللغة (٢) التي تحوي بحراً من المعاني والأحوال والمشاعر يعبر عنها بواسطة كلمات محدودة وهي وسيلة الإبانة لذلك "القول بأن المعاني أكبر من الكلمات، وأن الكثير من المشاعر والأفكار تختبئ في صدور الناس، ولا تحملها كلماتهم، وأشعارهم مما لا يرتاب فيه من يعرف طبيعة اللغة" (٣).

لذلك قمت برصد أظهر المعاني التي خرج لها الاستفهام في كتاب "الإشارات الإلهية" فكانت كالتالي:

١- خرج الاستفهام عن معناه الأصلي ليبدل على التقرير

١- دلالات التراكيب، ص ٢٠٨.

٢- المرجع السابق، ص ٢٢١.

٣- المرجع السابق، ص ٢٢١.

نحو قول التوحيدي: "أما ترى خبرها؟" (١). "أليس مرُها غامراً لحلوها؟" (٢). "أليس كدرُها غالباً لصفوها؟" (٣). حيث ورد الاستفهام في سياق تقرير الحقائق فالدنيا يغلب عليها الكرب والمر يغمر الحلو والكدر يغلب الصفو.

٢- خرج الاستفهام عن معناه الأصلي ليدل على الأمر  
نحو قول التوحيدي: "أما تعتُبر بمن مضي من أسلافك؟" (٤). "أما يردعك عن جهلك رادع؟" (٥). "ألا مستحي من إعراضه عن الله؟" (٦). "ألا هارب من أوطان الشاردين عن الله؟" (٧). لقد خرج الاستفهام عن معناه الحقيقي ليدل على الأمر. واتضح ذلك من مراجعة السياق فأبو حيان التوحيدي يقدم الأسئلة في سياق توجيه الأمر لخاصتيه فهو يأمرهم بالاعتبار بالأسلاف، والارتداع عن الجهل، والاستحياء من الإعراض عن الله والهرب من أوطان الشاردين.

٣- كما خرج الاستفهام في "الإشارات الإلهية" عن معناه الأصلي ليقيد التعجب  
نحو قول التوحيدي: "أما لك مما ترى فيما لا ترى غيره؟" (٨). "أما لك مما تشهد فيما لا تشهد خبره؟" (٩). "أما لك في هذه الأحوال العجيبة فطانة؟" (١٠).  
حيث دل الاستفهام على التعجب، وذلك بمراجعة السياق الذي ورد فيه الاستفهام فهو يتعجب من أحوال السامعين، "وكيف لا يعجبون ولا يتعظون؟" (١١).

- ١- الإشارات الإلهية، تحقيق د/ وداد القاطني، ص ٢٥٦.
- ٢- المصدر السابق، ص ٢٥٦.
- ٣- المصدر السابق، ص ٢٥٦.
- ٤- الإشارات الإلهية، تحقيق د/ وداد القاطني، ص ٢٦٧.
- ٥- المصدر السابق، ص ٢٦٨.
- ٦- المصدر السابق، ص ٢٦٨.
- ٧- المصدر السابق، ص ٢٦٨.
- ٨- المصدر السابق، ص ٢٥٧.
- ٩- المصدر السابق، ص ٢٥٧.
- ١٠- المصدر السابق، ص ٢٥٧.
- ١١- المصدر السابق، ص ٢٦٩.

٤- وقد ورد الاستفهام في "الإشارات الإلهية" وغرضه التبيين نحو قول التوحيدي: "أتريد أن تصيب الهدف ولم تسد؟" (١)، "أتريد أن تبلغ المنزل ولم تجتهد؟" (٢)، "أتريد أن تلحظ الأعلى ولم تُختنق؟" (٣).

فقد ورد الاستفهام في سياق التبيين من الحصول على الشيء بدون السعي له، والاجتهاد في الوصول إليه، ويقدم التوحيدي الدليل على كلامه فلا هدف يصاب بدون تسديد، ولا يبلغ المنزل من لم يجتهد في الوصول إليه، والمنزل هنا ليس منزلاً عادياً لكنه المنزل الذي يطمح إليه كل صوفي مجتهد.

٥- وقد ورد الاستفهام في "الإشارات الإلهية" وغرضه النفي نحو قول التوحيدي: "هل لك فضل، في قولك؟" (٤)، والسؤال جاء في سياق نفي أي قدرة للإنسان إلا من عند الله سبحانه وتعالى، ونحو قول التوحيدي: "هل تركت الدنيا لأحد شبهة أو إشكالا؟" (٥) والسؤال جاء في سياق أن الأمور واضحة والدنيا هدفها واضح لم تترك شبهة أو إشكالا لأحد.

٦- كما خرج الاستفهام في "الإشارات الإلهية" عن معناه الأصلي ليفيد التمني نحو قول التوحيدي: "هل الرحمة متوقعة؟" (٦)، "هل الغيثة موجوبة؟" (٧). لقد ورد السؤال في سياق تمني الرحمة من الله سبحانه وتعالى وتمني الرجوع إليه حيث اكتسب الاستفهام دلالة جديدة هي الرغبة والتمني.

٧- كما ورد الاستفهام في "الإشارات الإلهية" ليدل على الحث وذلك نحو قول التوحيدي: "هل بغنوة مناجاته تَلَذُّتُم؟" (٨)، "هل على نغمات سره

- ١- المصدر السابق، ص ٣٦٣.
- ٢- المصدر السابق، ص ٣٦٣.
- ٣- المصدر السابق، ص ٣٦٣.
- ٤- الإشارات الإلهية، تحقيق د/ واد القاسي، ص ١١٧.
- ٥- المصدر السابق، ص ٣٥٦.
- ٦- المصدر السابق، ص ٣٢٥.
- ٧- المصدر السابق، ص ٣٢٥.
- ٨- المصدر السابق، ص ٣٦٩.

- طريقتي<sup>(١)</sup>، "هل نسيم حضرته عبقتي<sup>(٢)</sup>".
- فالاستفهام جاء في سياق حث أبي حيان التوحيدي لستمعيه على التقرب إلى الله سبحانه وتعالى، والاستمتاع بعذوبة مناجاته، وعبق نسيمه ولذة طريبه سبحانه وتعالى.
- ٨- كما خرج الاستفهام عن معناه الأصلي ليفيد التوبيخ والتقريع نحو قول التوحيدي: "أين الملوك<sup>(٣)</sup>، أين عزهم<sup>(٤)</sup>، ما هذا الإعراض عن علم اليقين<sup>(٥)</sup>، حيث جاء الاستفهام في سياق توبيخ المستمع، وتقريعه لعدم انعطافه وإعراضه عن الحقيقة الواضحة أمامه.
- ٩- وقد خرج الاستفهام عن معناه الأصلي ليفيد الاستبعاد نحو قول التوحيدي: "كيف يؤوده أو يعونه أو يفوته<sup>(٦)</sup>، جاء السؤال في سياق استبعاد أن يصيب الله عجز فهو القادر على كل شيء، ونحو قول التوحيدي: "كيف يلقنط من رحمته<sup>(٧)</sup>".
- أيضا في سياق استبعاد القنوط من رحمة الله لأنه هو الغفور الرحيم.
- ١٠- كما ورد الاستفهام في "الإشارات الإلهية" وغرضه التحسر نحو قول التوحيدي: "أين موقفي وتوقفي<sup>(٨)</sup>، وأين تحرقي وتشوقي<sup>(٩)</sup>، أين ترفقي وتحلفي<sup>(١٠)</sup>، وأين تعسفي وتفلسفي<sup>(١١)</sup>، تأتي هذه التساؤلات في

١- المصدر السابق، ص ٣٦٩.  
٢- المصدر السابق، ص ٣٦٩.  
٣- الإشارات الإلهية، تحقيق د/ واد القاضي، ص ٣٥٦.  
٤- المصدر السابق، ص ٣٥٦.  
٥- المصدر السابق، ص ٣٥٦.  
٦- المصدر السابق، ص ٣٥٦.  
٧- المصدر السابق، ص ٣٥٨.  
٨- المصدر السابق، ص ٣٢٤.  
٩- المصدر السابق، ص ٣٤٢.  
١٠- المصدر السابق، ص ٣٤٢.  
١١- المصدر السابق، ص ٣٤٢.

"الإشارات الإلهية" في سياق إظهار الحسرة التي يشعر بها التوحيدي على ما كان عليه حاله قبل الخلوص لله سبحانه وتعالى.

١١- كما خرج الاستفهام في "الإشارات الإلهية" عن معناه الأصلي ليفيد التنبيه والاستبطاء

نحو قول التوحيدي: "إلى متى هذه الغفلة والله؟"<sup>(١)</sup>. "حتى متى إلى الشيطان سكوتك؟"<sup>(٢)</sup>. "إلى متى تغتر وأنت تظن أنك غير مغتر؟"<sup>(٣)</sup>. "إلى متى تعمي وفي تقديرك أنك بصير؟"<sup>(٤)</sup>.

وردت هذه التساؤلات في سياقات من التنبيه والتبصير للسامع كما تستشعر استبطاء التوحيدي ليقظة السامع، وتخلصه من سيطرة الشيطان عليه فهو ينبهه إلى حقيقة حاله، ويدعوه للانتفاض والإقبال على الله سبحانه وتعالى، والإبصار بكل ما يحيط به.

١٢- كما خرج الاستفهام عن معناه الأصلي ليفيد الإرشاد نحو قول التوحيدي: "ما الذي تريد؟"<sup>(٥)</sup>. "وما الذي يراد منك؟"<sup>(٦)</sup>. "وما على منك؟"<sup>(٧)</sup>.

الغرض من هذه الأسئلة هو الإرشاد إلى الشيء الذي يريد الإنسان، والذي يراد منه فهو يوجه السامع التوجيه الصحيح، ويواجهه مع نفسه من خلال هذه الأسئلة. وفي سياق من الإرشاد الصحيح للسامع.

١- الإشارات الإلهية، تحقيق د/ وداد القاضي، ص ٣٦٧.

٢- المصدر السابق، ص ٣٦٧.

٣- المصدر السابق، ص ١١٨.

٤- المصدر السابق، ص ١١٨.

٥- المصدر السابق، ص ٣٤٦.

٦- المصدر السابق، ص ٣٤٦.

٧- المصدر السابق، ص ١٢٦.

## المبحث الخامس

### جمل الأمر

فعل الأمر ودلالته شغلا الدارسين في كثير من المجالات وخاصة الفقهاء والأصوليين لانصال الصيغة بالوجوب والندب، وما إلى ذلك من أحكام فقهية توجب الحذر في الدراسة والاستنتاج<sup>(١)</sup>.

ورد في شرح المفصل لابن يعيش: "اعلم أن الأمر معناه طلب الفعل بصيغة مخصوصة، وله ولصيغته أسماء بحسب إضافاته فإن كان من الأعلى إلى من دونه قيل له أمر، وإن كان من النظر إلى النظر قيل له طلب، وإن كان من الأدنى إلى الأعلى قيل له دعاء"<sup>(٢)</sup>.

وغاية هذا المبحث دراسة صور الأمر من الناحية التركيبية، ومن الناحية الدلالية حتى يتم الوقوف على أهم ما يتميز به أسلوب الأمر تركيبيا ودلاليا في كتاب "الإشارات الإلهية".

١- دلالات التركيب، ص ٢٤٧.  
٢- شرح المفصل لابن يعيش، ت ٦٤٣ هـ، القاهرة، مكتبة المكتبي، دت، ج ٧، ص ٥٨.

أولاً.

السور الترحيبية لجمل الأمر في كتابهم، "الإشارات الإلهية" للأمر صيغ عديدة، ولكن الصيغة الأصل التي هي حقيقة في الإيجاب: "افعل"، "تفعل" أو ما يقوم مقامهما في تحقيق المعنى الأساسي لاستخدام أسلوب الأمر الذي هو طلب الفعل على وجه الاستعلاء. ومن الصيغ المستخدمة للأمر بخلاف ما ذكر: اسم فعل الأمر والفرق بين اسم فعل الأمر وفعل الأمر أن فعل الأمر يعرف بعلامة مركبة من شينين هما "دلته على الطلب، وقبوله ياء المخاطبة"<sup>(١)</sup> أما اسم فعل الأمر فهو يدل على الطلب، ولا يقبل ياء المخاطبة.

ولقد قمت بإجراء إحصاء لعدد من رسائل كتاب "الإشارات الإلهية"، وهذه الرسائل هي (١)، (١٥)، (٢٠)، (٢١)، (٣٩)، (٤٣)، (٥١)

وقد وجدت أن الغالبية المطلقة في صيغ الأمر صيغة "افعل"، كما وجدت أن المضارع المقترن بلام الأمر لم يرد في الرسائل السبعة التي أجرى عليها الإحصاء إلا مرة واحدة فقط في الرسالة (١٥) حيث قال: "فليحسد من شاء"<sup>(٢)</sup>، على الرغم من أن صيغة المضارع المقترن بلام الأمر من أكثر صيغ الأمر شيوعاً وكذلك لم يرد اسم فعل الأمر سوى مرتين إحداهما في الرسالة (٤٣) حيث قال: "إياك وإلف الصهو"<sup>(٣)</sup> وفي الرسالة (٢١) حيث قال: "فهلم أيها الإنسان حتى لا ننطق إلا بما فيه فائدة"<sup>(٤)</sup> أما باقي أساليب الأمر فهي بصيغة "افعل".

١- قطر الندى، ص ١٤.

٢- الإشارات الإلهية، تحقيق د. دوداد القاضي، ص ١٠٧.

٣- الإشارات الإلهية، تحقيق د. دوداد القاضي، ص ٣٠٧.

٤- المصدر السابق، ص ٢١١.



والإحصاء التالي يبين عدد جمل الأمر في كل رسالة من الرسائل السبع التي أجرى عليها الإحصاء.

رقم الرسالة	١	١٥	٢٠	٣١	٣٩	٤٣	٥١	المجموع
عدد جمل الأمر	٧٠	٤٢	١	٢٤	١٤	٤٦	٣٦	٢٣٣

وكما تنوعت الصور التركيبية للنداء والاستفهام فقد تنوعت أيضا الصور التركيبية للأمر وأبرز هذه الصور هي:

#### ١- فعل الأمر

وهذه هي أبسط صورة للأمر حيث تتكون الجملة من فعل الأمر فقط الذي يعد جملة كاملة تفيد معنى يحسن السكوت عليه نحو قول أبي حيان "زِنْ وَأَتَزِنْ، واخضع واستكن، وانظر واستحسن، وسلْ واستنْ، وخَفْ واستأين، وقَزْ وأطمأْنِنْ" (١).

#### ٢- فعل أمر + فاعل + جار ومجرور

نحو قول التوحيدي: "أوقفوا يَعْهْدِي في دار محنتي" (٢).

#### ٣- فعل أمر + مفعول به

نحو قول التوحيدي: "ثَمَّرَ ذِيكَ" (٣)، "اقبل نصيحتي" (٤)، "احذر نفسك" (٥)، "قَطِّعْ لِيكَ" (٦).

#### ٤- فعل أمر + مفعول به + جار ومجرور

١- المصدر السابق، ص ٦.  
٢- المصدر السابق، ص ٣٠٦.  
٣- المصدر السابق، ص ٣٦٢.  
٤- المصدر السابق، ص ٢٦٩.  
٥- المصدر السابق، ص ١٠٨.  
٦- المصدر السابق، ص ٣٦٢.

نحو قول التوحيدي: "املأنا ببرهان ريوييتك" (١) وقد يتعدد المفعول به في هذا التركيب نحو "أعطني أجرتي على سعبي" (٢) فأعطني يطلب مفعولين الأول هنا الضمير المتصل والثاني كلمة أجرة.

٥- فعل أمر + جار ومجرور

نحو قول التوحيدي: "اكتحل بالسهر" (٣)، "أغر بالفكر" (٤)، "ارتد بالجهل" (٥)، "عد بنا" (٦)، "أنن مني" (٧).

٦- فعل أمر + مفعول به + مضاف إليه + مضارع منصوب

نحو قول التوحيدي: "ذخ سكران الهوى حتى يتهادى" (٨)، "دع مُقَلَّد الحال حتى يتمادى" (٩)، "دع مُذْثِر الخلق حتى يوصف" (١٠).

٧- جملة فعل الشرط + جملة جواب شرط فعلها أمر

نحو قول التوحيدي: "إذا عميت من الاعتبار بآثار السلف فاعلم أنك مخلي من الهداية" (١١).

وقوله: "إذا تولى عليك هاتف العلم فاعلم أنك محثوث على العمل" (١٢). وقوله: "إذا تخربك وادي الدعاء فاعلم أنك مراد بالإجابة" (١٣).

١- الإشارات الإلهية، تحقيق د/ وداو القاضي، ص ٣٠٠.

٢- المصدر السابق، ص ٢٦٠.

٣- المصدر السابق، ص ٥.

٤- المصدر السابق، ص ٥.

٥- المصدر السابق، ص ٥.

٦- المصدر السابق، ص ٢٧٢.

٧- المصدر السابق، ص ٣٦٠.

٨- المصدر السابق، ص ١٠٥.

٩- المصدر السابق، ص ١٠٥.

١٠- المصدر السابق، ص ٢.

١١- المصدر السابق، ص ٢.

١٢- المصدر السابق، ص ٢.

١٣- المصدر السابق، ص ٢.

- ٨- فعل أمر + ظرف + مفعول به  
نحو قول التوحيدي: "أشدد الآن وسطك" (١).
- ٩- فعل أمر + جار ومجرور + مفعول به  
نحو قول التوحيدي: "فَجَزَّ فِينَا يَنَابِيعَ الْبَيَانِ" (٢).  
"أَسِيلَ عَلَيْنَا كَثِيفَ سَتْرِكَ" (٣). "أَنْشُرْ فِينَا نُورًا" (٤). "نَحْ عَنْكَ الشَّوَاغِلُ" (٥).
- ١٠- فعل أمر + مفعول به + جار ومجرور + نعت  
نحو قول التوحيدي: "حَسُنْ أَتْرَكَ بِالْأَنِيَّةِ الْقَوِيَّةِ" (٦). "زَيْنَ وَجْهِكَ بِالصُّورَةِ الْبَهِيَّةِ" (٧).
- ١١- فعل أمر + مضارع منصوب + مفعول به + مضاف إليه  
نحو قول التوحيدي: "فَتَعَالِ حَتَّى تَلْبَسَ شَعَارَهُمْ" (٨).
- ١٢- فعل أمر + مفعول به + مضاف إليه + جار ومجرور  
نحو قول التوحيدي: "وَاقْبَلْ نَصِيحَتِي بِالشُّكْرِ" (٩). وقوله: "وَصِلْ قُبْلَكَ مِنِّي" (١٠).
- ١٣- أمر + جار ومجرور + جار ومجرور + مضاف إليه  
نحو قول التوحيدي: "عُدْ بِنَا إِلَى مَتْنِ التَّوْحِيدِ" (١١).
- ١٤- فعل أمر + جملة اعتراضية + جار ومجرور + جملة فعلية

١- "الإشارات الإلهية، تحقيق د/ واد القاضي"، ص ٢٦٢.

٢- المصدر السابق، ص ٣٠١.

٣- المصدر السابق، ص ٣٠٠.

٤- المصدر السابق، ص ٣٠١.

٥- المصدر السابق، ص ٣٠١.

٦- المصدر السابق، ص ٣.

٧- المصدر السابق، ص ٣.

٨- المصدر السابق، ص ٢٧٣.

٩- المصدر السابق، ص ٢٦٩.

١٠- المصدر السابق، ص ٢٦٩.

١١- المصدر السابق، ص ١٠٧.

نحو قول التوحيدي: "فاستقوا - أبقاك الله - بما أمرتُك" (١)

١٥- نداء + فعل أمر + جار ومجرور

نحو قول التوحيدي: "يا هذا: اعتصم بالعروة الوثقى" (٢)، "يا هذا: استمتع بالنعمة" (٣)، "يا هذا: تنعم بالكلمات" (٤)، "يا هذا: اقطف من الشجرة" (٥).

١٦- نداء + فعل أمر + مفعول به + جملة اسمية

نحو قول التوحيدي: "يا هذا: تجنب الأضداد فإنها مفسدة" (٦).

١٧- نداء + فعل أمر + حرف عطف + فعل أمر

نحو قول التوحيدي: "يا جامع المال: قارب وانتظر" (٧).

١٨- نداء + فعل أمر + حال

نحو قول التوحيدي: "يا هذا: تقلب متنعمًا" (٨).

١٩- فعل أمر + نداء + مفعول به

نحو قول التوحيدي: "غلب يا إلهنا رجاءنا" (٩).

٢٠- اسم فعل أمر + نداء

نحو قول التوحيدي: "فهلم أيها الإنسان" (١٠).

٢١- نداء + أداة شرط + جملة فعل الشرط + ف + فعل أمر (جواب الشرط)

- ١- الإشارات الإلهية، تحقيق د/ واد القاسبي، ص ١٠٨.
- ٢- المصدر السابق، ص ٣٠٢. في هذه العبارة تتألف مع قوله تعالى لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم الآية ٢٥٦.
- ٣- المصدر السابق ص ٣٠٢.
- ٤- المصدر السابق ص ٣٠٢.
- ٥- المصدر السابق، ص ٣٠٢.
- ٦- المصدر السابق، ص ٣٠٥.
- ٧- المصدر السابق، ص ٢٧٢.
- ٨- المصدر السابق، ص ٢٦٩.
- ٩- المصدر السابق، ص ٢٠٨.
- ١٠- المصدر السابق، ص ٢١١.

- نحو قول التوحيدي: "يا هذا إن كنت ثاكلا فَنُخْ على ما أصبت به" (١).
- ٢٢- أداة شرط + جملة فعل الشرط + ف + فعل أمر (جواب الشرط)
- نحو قول التوحيدي: "إن كنت طالبا فجد فعساك تصل بغيتك منه" (٢). "إن كنت مكرويا بالسر فَبُخْ فعساك تشفى غلبك فيه" (٣).
- ٢٣- فعل أمر + مفعول به + جار ومجرور + أداة شرط + فعل الشرط
- نحو قول التوحيدي: "قريتنا منك إذا بعدنا، صلنا بك إذا انقطعتنا" (٤).
- ٢٤- فعل أمر + مفعول به + أداة شرط + فعل الشرط
- نحو قول التوحيدي: "نكرنا إذا نسيتنا" (٥)، "ألهنا إذا سكتنا" (٦)، "حفظنا إذا قلنا" (٧).
- ٢٥- اللام + مضارع + فاعل
- نحو قول التوحيدي: "فليحسد من شاء" (٨).
- ٢٦- نداء + فعل أمر + مفعول به + جار ومجرور + مضافا إليه
- نحو قول التوحيدي: "اللهم أغننا بتنبيهك عن تنبيهه خلقك" (٩).
- وفي بعض البنى التركيبية يحذف أبوحيان التوحيدي فعل الأمر من الجملة، وذلك لوجود قرينة تدل على المحذوف كأن يكون قد ذكر في بداية الجمل ثم عطف التوحيدي الجمل على الجملة المذكور فيها فعل الأمر نحو قوله: "يا هذا عد بنا إلى من التوحيد، وإلى عمق المعرفة، وإلى عقبان الوجد، وإلى آخر مدى التوكل، وإلى العلل العارضة في هذه

١- المصدر السابق، ص ٣.  
٢- الإشارات الإلهية، تحقيق د/ واد القاضي، ص ٣.  
٣- المصدر السابق، ص ٢.  
٤- المصدر السابق، ص ٢٠٩.  
٥- المصدر السابق، ص ٣١.  
٦- المصدر السابق، ص ١٠٩.  
٧- المصدر السابق، ص ١٠٩.  
٨- المصدر السابق، ص ١٠٧.  
٩- المصدر السابق، ص ٢١١.

الأحوال، وإلى الواضحات الواردة بالأشكال وإلى المشكلات الصادرة بالداء العضال<sup>(١)</sup>. لقد تنوعت الصور التركيبية للأمر في "الإشارات الإلهية"، وتميزت بالوفرة حيث بلغ عدد جمل الأمر في الرسائل السبعة.

عينة الإحصاء (٢٣٣) جملة، وهو عدد كبير، وقد ارتبطت البنية التركيبية للأمر ببني أخرى كالنداء والشرط.

وأعتقد أن سيب وفرة جمل الأمر، وتنوع البنى التركيبية لها هو السياق العام الذي يحكم رسائل "الإشارات الإلهية" وموقف التوحيدي في قلب هذه الرسائل فأبو حيان التوحيدي "يقف في نقطة متوسطة: ماذا يده الواحدة إلى شخص مثله أو أدنى منه لينتشله مما ألم به من حيرة"<sup>(٢)</sup>، وقد تطلب هذا منه توجيه الأمر بتراكيب متنوعة ودلالات متعددة لاستمالة السامع، ومن ثم إقناعه، وهو من ناحية أخرى يمد اليد الأخرى "إلى شيخ أو قطب يلتمس بركته، ويتخذ وسيلة لرضى الله"<sup>(٣)</sup>.

وقد كان الاتجاه الأسمى للتوحيدي هو اتجاهه إلى الله سبحانه وتعالى. فهو عندما يوجه الأمر إلى المولى عز وجل فهو يتوجه بالأمر وغرضه الدعاء والدعاء هدف، وغاية عظيمة عند التوحيدي، وبغيره من الصوفية لإظهار شام الخضوع، والخشوع لله سبحانه وتعالى.

وقد ارتبطت بنية الأمر ببعض البنى التركيبية الأخرى مثل جملة النداء، فالنداء ينيه الذهن لأمر مهم سيأتي بعده فإذا تبعه فعل الأمر وجد الذهن مستعداً لاستقبال الأمر الموجه إليه، فالنداء من مقويات فعل الأمر كما ذكرت وقد عمد التوحيدي لربط بنية الأمر بالنداء لرغبته الأكيدة في تنفيذ الأوامر وتحقيقها.

١- المصدر السابق، ص ١٠٧.  
٢- الإشارات الإلهية، تحقيق د/ وداد القاضي، ص ١٢.  
٣- المصدر السابق، ص ١٢.

كما ارتبطت بنية الأمر بأسلوب الشرط<sup>(١)</sup> حيث احتل الأمر فيه ركن الجواب ولعل ذلك راجع إلى طبيعة الشرط القائمة على التعليق في الوجود أو العدم، فيكون الأمر بالقرب عند البعاد، والأمر بالصلة عند الانقطاع، والأمر بالبوح عند الكرب والأمر بالوجود عند الطلب. فالشرط بناء عقلي منطقي يترتب الأحداث ويعلق بعضها ببعض ويدل على وعي المتكلم بأبعاد الحديث، ويقدم سبب تنفيذ الأمر.

١- الجملة الشرطية المراد بها: الجملة المركبة تركيباً شرطياً أي المكونة من أداة الشرط ومن جملة الشرط والجواب كـ *الجملة الشرطية الواقعة في خواتم الآيات القرآنية، د/ رفعت إسماعيل السوداني، جامعة الأزهر، كلية اللغة العربية بليتاني البارود، ١٩٩٥، ص ١٠.*

### حدالاتهم الأمر

إذا كانت الدلالة الأصلية للأمر هي طلب الشيء على سبيل الإلزام والاستعلاء فإن الأمر قد يخرج إلى دلالات جديدة ومتنوعة إذا تعذر حمله على معناه الأصلي، ونستعين بالسياق والقارئ في تحديد تلك الدلالات المتولدة.

والسؤال الذي يطرحه البحث الآن هو ما الدلالات التي تولدت عن الأمر في "الإشارات الإلهية"؟

- كثيرا ما يتوجه أبو حيان التوحيدي في "الإشارات الإلهية" بالأمر إلى المولى عز وجل فيخرج الأمر من دلالاته الحقيقية إلى دلالة أخرى هي التضرع والدعاء، وقد اتضحت دلالة الأمر على التضرع والدعاء من خلال السياق الذي يدور فيه الكلام نحو قول التوحيدي "اللهم أغننا بتقديبك عن تنبيه خلقك وتبيننا في مشهده رضوانك عن عبادك، وأشهدنا في غيب ملكوتك كل ما غاب عنا باحتجابنا عنك، وأغضض أبصارنا إلا عن النظر إلى وجهك وأنعم خواطرنا إلا من السُّجُوح في مراد إلهيتك"<sup>(١)</sup>.

يقف أبو حيان التوحيدي متضرعا إلى الله داعيا طالبا منه العون والتنبيه، والإرشاد والإشهاد، مستخدما أسلوب الأمر الذي خرج عن دلالاته ليدل على الانكسار والتذلل والخضوع لله عز وجل.

٢- وقد خرج فعل الأمر عن معناه الأصلي ليدل على الحث والإرشاد نحو قول التوحيدي: "فاشدد الآن وسطك، واطلب قسطك وشمز ذيلك وقطع ليلك"<sup>(٢)</sup> ورد الأمر في سياق حث الإنسان على العمل، والعبادة، والاجتهاد، وفي طلبها وكثيرا ما

١- الإشارات الإلهية، تحقيق د.وداد القاضي، ص ٢١١.  
٢- المصدر السابق، ص ٣٦٢.



يخرج فعل الأمر عن دلالاته الأصلية ليدل على الحث. إذا توجه به التوحيدي إلى الإنسان الذي يقف موقف المتعلم بين يديه فيحثه على العمل، والاجتهاد والعبادة، كما يرشده إلى الطريق الصحيح نحو قول التوحيدي: "يا هذا اعتصم بالعروة الوثقى لا انفصام لها"<sup>(١)</sup> حيث خرج الأمر عن دلالاته الأصلية ليدل على رغبة التوحيدي في الإرشاد إلى هذا الفعل فعل الاعتصام، والتمسك بقيم الدين ومن ذلك أيضاً قوله: "غَمَّضْ عَيْنَيْكَ عَنْ هَذِهِ الزَّهْرَةِ الَّتِي فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا"<sup>(٢)</sup>. وذلك في سياق الإرشاد إلى الإعراض عن الدنيا وزخرفها.

٣- كما خرج الأمر عن معناه الأصلي ليدل على التهكم والاستهزاء نحو قول التوحيدي: "يا جامع المال: قارب وانظر"<sup>(٣)</sup> ورد الأمر بعد النداء في سياق من التهكم والسخرية من الإنسان الذي انهك في جمع المال ودعاه للنظر والتأمل.

٤- كما ورد الأمر في "الإشارات الإلهية" وغرضه التذكير والإهانة نحو قول التوحيدي: "يا ساعيا في الشر والفساد اجعل لنفسك غاية تقف عندها"<sup>(٤)</sup> فقد دل الأمر على التذكير والإهانة في وجود قرينة لفظية هي مناداة السامع ووصفه بأنه يسعى في الشر والفساد كما أن العبارة وردت في سياق إهانة العاصي وتوبيخه.

٥- كذلك ورد الأمر في "الإشارات الإلهية" وغرضه الاعتبار والاعتناظ نحو قول التوحيدي: "يا هذا عد بنا إلى ذكر قوم قطعوا أيام حياتهم بالصبر"<sup>(٥)</sup>. ونحو قوله: "فتعال حتى تلبس شعارهم"<sup>(٦)</sup>.

١- المصدر السابق، ص ٢٠٢.  
٢- الإشارات الإلهية، تحقيق د. دوداد القلبي، ص ٣٠٢. فيه تلخيص مع قوله تعالى: "وَلَا تُشْرِكْ بِعِلْمِكَ إِلَهًا مَّا مَلَكْنَا بِكَ: أَرْوَاهُ عَنْهُمْ زُمْرَةً مَخْزُومَةً الْكُتُبُ..." طه: من الآية ١٢١.  
٣- المصدر السابق، ص ٢٧٢.  
٤- المصدر السابق، ص ٢٧٢.  
٥- المصدر السابق، ص ٢٧٢.  
٦- المصدر السابق، ص ٢٧٢.

خرج الأمر عن دلالة الأصلية ليدل على الانتعاض والاعتبار حيث ورد الأمر لأخذ العبرة والموعظة من السابقين.

٦- كما ورد الأمر في "الإشارات الإلهية" وغرضه التبشير

ومن أمثلة الأمر الذي جاء في سياق التبشير قول التوحيدي: "فاعلم أنك مراد بالإجابة" (١)، "فاعلم أنك معرض للشكر" (٢)، "فاعلم أنك محثوث على العمل" (٣)، "فاعلم أنك مخصص باليقظة" (٤).

٧- كما ورد الأمر في "الإشارات الإلهية" وغرضه الإنذار والتحذير

نحو قول التوحيدي: "احذر نفسك وحذرهما منك" (٥).

وقوله: "فالاحذر كل الحذر أن تزل قدمك بعد ثبوتها" (٦). حيث خرج الأمر عن دلالة الأصلية ليدل على التحذير والإنذار. وذلك بواسطة قرينة لفظية هي "احذر" و"حذرهما" كما ورد الأمر في سياق يدل على الإنذار والتحذير نحو قول التوحيدي: "أعلم أنك غير قابل واقع الموعظة" (٧)، وقوله: "أعلم أنك مخلص من الهداية" (٨).

٨- كذلك ورد الأمر في "الإشارات الإلهية" وغرضه الالتماس

١- الإشارات الإلهية، تحقيق داود القاضي، ص ٢.

٢- المصدر السابق، ص ٢.

٣- المصدر السابق، ص ٢.

٤- المصدر السابق، ص ٢.

٥- المصدر السابق، ص ١٠٨.

٦- المصدر السابق، ص ٣٠٣.

٧- المصدر السابق، ص ٢.

٨- المصدر السابق، ص ٢.

نحو قول التوحيدى: "يا هذا قابل تشوقى لك بالشوق منك"<sup>(١)</sup>. "وواصل انكارى لك بالتذكر"<sup>(٢)</sup>. "واقبل نصيحتى بالشكر"<sup>(٣)</sup>. "وصل قبورك منى ما تسمعه بالزيادة فى الركوع والسجود"<sup>(٤)</sup>.

وذلك عندما يتوجه التوحيدى بخطابه لثيل له فى سياق التلطف وإظهار العاطفة تجاه السامع وفى وجود قرائن لفظية كالشوق والتذكر والنصح.

٩- كذلك خرج الأمر عن معناه الأصلي ليدل على التسلية

نحو قول التوحيدى: "ففتح فلعلك تشفى غليلك"<sup>(٥)</sup>. "فجد فمسك تصل إلى بغيثك"<sup>(٦)</sup>.

حيث جاء الأمر فى سياق من التلطف والتسرية والتسلية للسامع كما أن القرائن اللفظية مثل لفظ النوح الذى يدل على التخفيف عن الإنسان، والفاظ عسى ولعل التى تدل على الرجاء تعاونت مع السياق لتوضيح الدلالة الجديدة للأمر.

١- المصدر السابق، ص ٢٦٩.

٢- المصدر السابق، ص ٢٦٩.

٣- المصدر السابق، ص ٢٦٩.

٤- المصدر السابق، ص ٢٦٩.

٥- الإشارات الإلهية، تحقيق دار وداد القاضي، ص ٣.

٦- المصدر السابق، ص ٣.

---

## الفصل الثاني

وسائل الربط في محتاج "الإشارات الإلهية"

لأبي حيان التوحيدي

\_\_\_\_\_

\_\_\_\_\_

\_\_\_\_\_

\_\_\_\_\_

\_\_\_\_\_

\_\_\_\_\_

\_\_\_\_\_

\_\_\_\_\_

\_\_\_\_\_

\_\_\_\_\_

\_\_\_\_\_

\_\_\_\_\_

\_\_\_\_\_

\_\_\_\_\_

\_\_\_\_\_

\_\_\_\_\_

\_\_\_\_\_

\_\_\_\_\_

\_\_\_\_\_

\_\_\_\_\_

## المبحث الأول

### وظيفة الربط في بنية اللغة العربية

يتكون النص من جمل، وهذه الجمل تتركب من ألفاظ تحمل المعنى، وتؤديه، فهي بمثابة الوعاء والخادم له، وهذه الألفاظ التي تتركب منها الجمل ليس الغرض منها معانيها في ذاتها، ولكن معانيها بضم بعضها إلى بعض، فالجملة مؤلفة من عدة معانٍ جزئية، وهذه المعاني الجزئية ما هي إلا وسيلة لغاية يقصدها المتكلم من نظم الجملة: هي المعنى الدلالي الواحد.

فالمعاني الجزئية تتشابه وتتفاعل فيما بينها للوصول إلى معنى دلالي واحد هو غرض المتكلم من كلامه، وهذا ما عبر عنه أحد الباحثين حين قال:

"الجملة شبيهة باللوحة التشكيلية التي يصورها فنان، إذ لا يمكن فهمها، أو تذوقها إلا من خلال نظرة شاملة متكاملة، فهي تقع في النفس موقعا واحدا وكل جزئية فيها من لون أو خط، أو ظل، أو انحناء تؤدي وظيقتها، وتتحدد هذه الوظائف وتتألف من خلال علاقات لتكون معنى اللوحة الواحد"<sup>(١)</sup>.

وهذا التصوير الجمالي للجملة يعبر عن التقنية العالية التي تحكم بناءها، فكما تتألف عناصر اللوحة بطريقة مقصودة، لتؤدي في النهاية غاية محددة، تتألف المعاني المعجمية والوظيفية داخل الجملة وفق نظام دقيق محكم لتؤدي في النهاية الغرض منها واعتقد أن هذا التصوير الجمالي يصدق على النص باعتباره الوحدة الكبرى للمعنى أكثر من الجملة.

١ - نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية، د/ مصطفى حميدة، القاهرة، لونهيمان، ١٩٩٧، ص ١٣١

فالنص "يتكون من عدد من العناصر التي تقيم فيما بينها شبكة من العلاقات الداخلية التي تعمل على إيجاد نوع من التماسك بين تلك العناصر، وتسهم الروابط التركيبية والروابط الزمانية، والروابط الإحالية في تحقيقها"<sup>(١)</sup>

ومن ثم أرى أن النص هو اللوحة التي نقف أمامها، لنلاحظ تلك التقنية العالية التي تحكم أجزائه، وتلك الوظائف التي تؤديها الألوان، والظلال والانحناءات فيه.

وقد تنبه الدارسون إلى الترابط والالتحام بين أجزاء النص، وأرجعوا ذلك إلى الروابط بأنواعها المختلفة فالنص "بنية مركبة متماسكة ذات وحدة كلية شاملة. يستلزم وصفها تعقب تلك العلاقات الممتدة أفقياً، والبحث عن وسائل الربط فيما بينها، وتتابع القضايا والمعلومات داخل النص، والتماسك الدلالي ووسائله"<sup>(٢)</sup>

ومن هنا يبرز دور النظام النحوي باعتباره النظام التركيبي المسئول عن بناء الجمل بحيث تؤدي معانيها المقصودة داخل الوحدة الكبرى، وهي النص، فالنظام النحوي يُعد صاحب السلطان على الأنظمة الأخرى في الجملة ولذلك كان عليه أن "يجعل الارتباط بين مكونات الجملة وثيقاً، ولّا تصدع البناء أو انشطر، وانفصم المعنى الواحد أو تعدد، فالجملة أشبه بسلسلة متصلة الحلقات متماسكة"<sup>(٣)</sup>. لقد اتضح هذا المفهوم وتبلور على يد عبد القاهر الجرجاني من خلال نظرية النظم عنده فهو يقول: "ليس النظم سوى تعليق الكلم بعضها ببعض وجعلها بسبب من بعض"<sup>(٤)</sup>. وعبد القاهر الجرجاني يفرق بين نوعين من النظم: نظم الحروف، ونظم الكلم ونظم الكلم عنده يكون باقتفاء آثار

١ - دراسات لغوية وتطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة، د/ سعيد حسن بحري، القاهرة، مكتبة الآداب، ٢٠٠٥م ص ٩٤.

٢ - دراسات لغوية وتطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة، ص ٩٤.

٣ - نظام الارتباط والربط ص ١٢٢.

٤ - دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ت ٤٧٤ هـ تحقيق/ محمود محمد شاكر، القاهرة، الهيئة العامة للكتاب ص ٤.

المعاني "فليس الغرض بنظم الكلم أن توالى الفاطها في النطق، بل أن تناسقت دلالتها وتلاقت معانيها، على الوجه الذي اقتضاه العقل" (١).

فغرض الناظم هو الإفهام وشرط الجملة العربية أن تكون مفيدة، "فالسعى إلى الإفادة هو سبب الاتصال اللغوي وحصول الفائدة هي نتيجته" (٢).

ويرى أحد الباحثين أن النظام النحوي تحكمه ثلاث ظواهر تركيبية هي: الارتباط والربط والانفصال (٣).

ويقصد بالارتباط تلك العلاقات السياقية النحوية داخل الجملة، والتي تنشأ بين المعاني النحوية الوظيفية دون الحاجة إلى أدوات للربط مثل علاقة الإسناد وهي أساس بنية الجملة في أبسط صورها. وعلاقة الإسناد تكون بين ركنين هما المسند والمسند إليه كالعلاقة بين الخبر والمبتدأ أو بين الفعل والفاعل أو نائب الفاعل، أو بين كل ما يعمل عمل الفعل وفاعله أو نائبه "ولا تفنع الجملة العربية بالاشتغال على ركنيها دون غيرها من الفضلات" (٤). فنحن إذا أردنا توسيع الجملة البسيطة أنشأنا علاقات جديدة بغرض زيادة الفائدة فيتغير كذلك المعنى المستفاد من الجملة. وذلك لأن زيادة المبنى تقتضى بالضرورة زيادة في المعنى. ومن علاقات الارتباط في الجملة علاقة التعدية بين الفعل المتعدي والمفعول به، وعلاقة الملازمة بين الحال المفردة وصاحبها، وعلاقة الإضافة بين المضاف والمضاف إليه، وعلاقة الظرفية بين الفعل والظرف بتوحيه، وعلاقة التحديد بين الفعل والمفعول المطلق، وعلاقة السببية بين الفعل والمفعول لأجله، وعلاقة التمييز بين

١- المرجع السابق، ص ٤٩، ٥٠.

٢- البيان في روائع القرآن، د/ تمام حسان، القاهرة، الهيئة العامة للكتاب، ٢٠٠٢م، ج ١، ص ١٢٧.

٣- نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية، ص ١٣٣.

٤- البيان في روائع القرآن، ج ١، ص ١٢٧.



التمييز والمميز. وعلاقة الوصفية بين النعت المفرد والمنعوت، وعلاقة الإبدال بين البديل والمبدل منه، وعلاقة التوكيد بين التأكيد والمؤكد.

وتبدو بنية اللغة قائمة في الأساس على فكرة ارتباط المعاني بطريق علاقات مختلفة "وإن أصل تلك العلاقات جميعاً يرجع إلى علاقات الارتباط المنطقي بين المعاني وهي العلاقات القائمة على عملية تداعي المعاني في العقل البشري"<sup>(١)</sup> لفهمها بمجرد الائتلاف بين المعنيين.

أما الانفصال فيعني انعدام العلاقة بين المعاني ويستوى في ذلك انعدامها بين الجمل أو بين المفردات، فإذا قارنا بين معنى الارتباط ومعنى الانفصال، وجدنا أن المعنيين متضادان فالارتباط عكس الانفصال، ومن المعروف أن الأصل في الجمل الانفصال والاستقلال بالمعنى فكل جملة تؤدي معنى منفصلاً مستقلاً عن الأخرى، أما الأصل في المفردات فهو التركيب والارتباط.

ويُعد الربط "قرينة لفظية على اتصال أحد المترابطين بالآخر"<sup>(٢)</sup> وهو الوسطة بين الارتباط والانفصال فهو عبارة عن علاقة تصطنعها اللغة بين المعنيين داخل الجملة الواحدة، أو بين الجملتين لأمن اللبس في إحدى الحالتين السابقتين أي "لأمن لبس الارتباط أو لأمن لبس الانفصال"<sup>(٣)</sup>.

ومن هنا كان سبيل الائتلاف بين المعاني هو الارتباط والربط، وهذا الائتلاف هو أساس النظام التركيبي للجملة.

١- نظام الارتباط والربط، ص ١٠٤.

٢- اللغة العربية معناها ومبناها، ص ٢١٢.

٣- نظام الارتباط والربط، ص ١٤٦.

وقد صور أحد الباحثين الجملة بالعقد الذي يجمع بين حياته سلك وثيق، ولابد أن يبقى ذلك السلك متصلاً وإلا ما استطاع الرائي أن يفهم من شكله معنى العقد، وهذا هو الارتباط، فإذا انقطع السلك وكنا نريد له أن يتصل، وأن يفهم منه معنى العقد "عالمنا انقطاعه بطريق الربط حتى يعود متصلاً اتصالاً أشبه بما كان عليه ولكن معقد الربط يبقى واضحاً للرأي، وتظل معلماً وقريبة مادية على أن ما اصطنعناه لا يعد ارتباطاً، كما لا يعد انفصالاً، وإنما هو في المرتبة الوسطى بين الارتباط والانفصال"<sup>(١)</sup>. فالربط يُعد "قريبة لفظية على اتصال أحد المترابطين بالآخر"<sup>(٢)</sup>.

وقد خصصت هذا المبحث لدراسة وظيفة الربط في بنية اللغة لما لهذه الظاهرة من قيمة كبيرة في تحقيق التلاحم والانسجام في النصوص، ولأن هذه الظاهرة تشكل خاصية مهمة، وسمة من سمات اللغة العربية، التي تتيح لأفراد جماعتها اللغوية أن يعبروا عن المعنى الواحد بطرق متعددة ذات علاقات ارتباط وربط مختلفة.

فالربط هو "العود إلى السابق أي عود الرابط إلى المربوط كي يتماسك معه فيصير كالشيء الواحد؛ فتتم الفائدة وهذا هو الربط بالإحالة، أو المعاقبة، وهناك ربط آخر عن طريق الأداة"<sup>(٣)</sup>.

١- المرجع السابق، ص ١٩٥.

٢- اللغة العربية معناها ومبناها، ص ٢١٣.

٣- قريبة الربط في القرآن الكريم، إيمان حسين السيد، رسالة ماجستير، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، ٢٠٠٠م ص ١٦.

- ظهر مصطلح الربط في كتب التحوين في القرن الثاني الهجري ولكن باللفظ بدلية تؤدي نفس المعنى مثل العائد والزاجع، ولم يظهر صراحة إلا في القرن السابع الهجري على يد ابن يعيش أما في البلاغة فقد ظهر صراحة في القرن الخامس الهجري على يد عبد القاهر الجرجاني. والربط عملة لها وجهان، فهو مصطلح نحوي يضبظ الشكل، ومصطلح بلاغي يضبط المعنى.

ولم يظهر مصطلح الربط بهذه اللفظة إلا في القرن السابع الهجري على يد "ابن يعيش" ويجب أن نلاحظ الفرق بين الربط بالإحالة أو المعاقبة، والربط بالأداة، فوظيفة الربط بالإحالة أو المعاقبة ناشئة مما في ذلك من إعادة الذكر، وفيه تعليق واشتقاق وينقسم إلى ثلاثة أبواب فيكون بالضمير في جملة الخبر، وجملة النعت، وجملة الحال وجملة الصلة، وفي التوكيد..... إلخ.

ويكون الربط بالإحالة باستخدام اسم الإشارة وبإعادة الذكر سواء باللفظ أم بالمعنى ومن أشكال الربط بالإحالة أيضاً استخدام (ال) الناشئة عن الضمير نحو: "رُجى المس مس أرنب" أي مسه مس أرنب.

أما وظيفة الأداة في الربط فتتجلى في تلخيصها للمعاني النحوية كالعطف والشرط، والاستثناء، وغيرها من المعاني "ومن أدوات الربط حروف العطف، وأو الحال، وأو المفعول معه، وأدوات نصب المضارع والحروف المصدرية، وأدوات الشرط، والفاء في جواب الشرط، وأدوات الاستثناء وحروف الجر.

ويقع الربط في كثير من أبواب النحو، كباب المبتدأ والخبر وباب المجرورات وباب الحال، وباب الاستثناء، وباب القسم وباب النعت، وباب العطف، وباب إن وأخواتها، وباب المفعول معه، وباب البدل، وباب جملة الصلة، وباب الشرط وجوابه. وقد ذكر ابن هشام في كتابه المغني عشرة روابط يتم بها الربط في جملة الخبر فقط، وخصها بمبحث مستقل، وذكر أن الضمير أحد هذه الروابط بل عنده هو الأصل (١)

١- معنى اللبيب لابن هشام الأمازيغي المكتبة المصرية بصيدا بيروت ١٩٩٢ ص ٥٧٢.  
- الروابط التي ذكرها ابن هشام في ربط جملة الخبر إلى جانب الضمير هي:  
اسم الإشارة نحو قوله تعالى "ولباس الثوري ذلك خير"، والربط بإعادة المبتدأ بالظنة وأكثر وقوع ذلك في مقام التهويل والتفخيم نحو قوله تعالى: "الحاقة ما الحاقة"، الربط بإعادة المبتدأ بمضاهي نحو: "زَيْدٌ جَاءَنِي أَوْ عِدْتُ أَنَّهُ" إذا كان أبو عبد الله كناية له، والربط باستخدام عموم يشمل المبتدأ نحو: "زَيْدٌ نَعَمْ الرَّجُلُ" والربط باستخدام فاء السببية والربط باستخدام حرف العطف الواو.

ولهذا يربط به مذكوراً ومحدوفاً، مرفوعاً ومنصوباً ومجروراً، وهو أيضاً عنده الرابط في جملة الصلة وجملة الحال، وقد يكون الرابط في جملة الحال الواو، والضمير هو الرابط في جملة الصفة، وفي البدل، وفي معمول الصفة المشبهة، وفي التوكيد.

وإذا تتبعنا ابن هشام في حديثه عن الربط نجد أنه لم يفصل بين الربط بالضمير أو بصفه عامة الربط بالعاقبة وبين الربط بالأداة، كما أنه لم يفوق بين مفهوم الارتباط ومفهوم الربط.

يؤدي الربط سواء أكان بالإحالة أم بالأداة في بنية اللغة عدة وظائف من أهمها الإفادة والإبانة؛ لأن زيادة المبنى تقتضي بالضرورة زيادة في المعنى، ووجود الربط في الجملة أو في الجمل يؤدي إلى زيادة في بنائها الأساسي (الجملة النواة) فكلما زادت علاقات الارتباط والربط في الجملة زاد المعنى، وزادت تبعاً لذلك الفائدة التي ينالها السامع.

"ولا يعني هذا أن تلك الفائدة تصبح منفصلة عن فائدة الإسناد، وإضا يعني أن المعنى المستفاد من الجملة بعد الزيادة يصير غير المعنى المستفاد من النواة الإسنادية وحدها"<sup>(١)</sup>.

ومن وظائف الربط تحقيق التماسك بين الكلمات وعدم التكلف فمثلاً جملة الخبر بدون الضمير العائد على المبتدأ تكون جملة غريبة عن المبتدأ ويصبح الكلام مفككاً مهلهلاً لا معنى له.

ومن وظائف الربط حصول الخفة والإيجاز، وهو ما تسعى إليه العربية في غير إخلال منها بالمعنى العام المراد توصيله كما يبدو ذلك في الربط بالضمير.

١ - نظام الارتباط والربط، ص ١٦١.

ومن وظائف الربط أمن اللبس أى أمن لبس فهم الارتباط بين الطرفين المربوطين وقد يكون أمن لبس فهم الانفصال بينهما. ومثال أمن لبس فهم الانفصال بين المترابطين قولنا " أستمتع بالقراءة، والجوصاف".

فهذه الجملة مركبة. وقد أفادت معنى دلاليّاً واحداً على الرغم من اشتغالها على جملتين بسيطتين وقد كانت هاتان الجملتان منفصلتين انفصلاً دلاليّاً ونحويّاً، وكل جملة من الجملتين تؤدي عند انفصالها، معنى مختلفاً عن المعنى الذى تؤديه بعد الربط ونستنتج أن الغرض من الربط هنا هو أمن فهم الانفصال بين الجملتين.

أمّا مثال أمن فهم الارتباط فنحو قولنا:

"رايت الطبيب المريض" وهى جملة لها معنى مختلف عن الجملتين البسيطتين رايت الطبيب - رايت المريض فمعنى الجملة الأولى أن الطبيب مريض. ولكنّ الجملتين منفصلتان معناهما: أنى رايت الطبيب ورايت المريض، فإذا تمّ الربط باستخدام حرف العطف الواو أمنا اللبس فى فهم الارتباط فنقول: "رايت الطبيب والمريض".

## المبحث الثاني

## الربط بالإحالة

إن اللغة نظام إحالي، وهذا النظام يحيل على ما هو غير اللغة، فاللغة تضم نوعين من العناصر، إشارية وإحالية.

"ويمثل العنصر الإحالي كما تقرر في الدرس اللغوي مكوناً يعوض مكوناً آخر، ذكر في موضع آخر سابق عادة، ويتيسر هذا التعويض بعمل الذاكرة في محتواها المشترك<sup>(١)</sup>

فالعنصر الإحالي كالضماير أو أسماء الإشارة..... إلخ يعوض العنصر الإشاري في موضع الحاجة إليه، وتساعد الذاكرة في القيام بدوره، فهو صدى لغيره من وجه حيث لا يفهم إلا بالعودة إليه، وهو من وجه آخر يحمل مالا يتوفر في مفسره فلا شك في وجود دلالات متعددة في وجود العناصر الإحالية في النص وهو ما نسعى للوصول إليه في "الإشارات الإلهية".

تقوم الإحالة بدور فعال في إنشاء التماسك الدلالي للنص "إذ إن شيوخ صيغ الإحالة الممكن تحديدها في كل نص تبرز أن الإحالة تشغل ضمن العناصر المؤثرة في تماسك النص مكاناً بارزاً"<sup>(٢)</sup>.

إن الربط الإحالي يمد جسور الاتصال بين الأجزاء المتباعدة في النص، حيث يكون شبكة من العلاقات بين أجزاء النص، فيصبح وحدة واحدة.

١- كتاب نسج النص، الأزهر الزناد، ط١، بيروت، المركز الثقافي العربي، ١٩٩٣، ص ١٢٣.  
٢- دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين الفنية والدلالة، د/ سمير حسن بحيري، القاهرة، مكتبة الأنبار، ٢٠٠٥، ص ١٠٧.

ويتناول هذا المبحث الربط الإحالي في كتاب "الإشارات الإلهية" عن طريق إعادة الذكر، والربط الإحالي عن طريق الضمير، والربط الإحالي عن طريق الإشارة، وهذه الأنواع الثلاثة تتفاوت نسبها من حيث القوة في الربط، فالربط بإعادة الذكر مثلاً هو أقوى لأن "إعادة المرجع بلفظة رابط أقوى من إعادة ضميره عليه لأن لفظه أقوى من الكناية عنه".<sup>(١)</sup>

وتنقسم الإحالة إلى نوعين:

#### ١- إحالة معجمية ٢- إحالة نصية

فالعنصر الإحالي المعجمي يجمع كل الإحالات التي تعود على مفسر دال على ذات أو مفهوم مجرد، فالضمان مثلاً التي تعود على إنسان أو كائن سابق الذكر أو معنى مجرد تُعد عناصر إحالية معجمية أما العنصر الإحالي النصي، فهو يعود على مكون مفسر له، يمثل مقطعاً من نص، فالعناصر الإحالية النصية: "تجمع كل الإحالات التي تعود على مفسر هو مقطع من ملفوظ (٢) وتؤديها الفاظ مثل: قصة، خبر، رأي..... إلخ".

وتنقسم الإحالة باعتماد المدى الفاصل بين العنصر الإحالي ومفسره إلى نوعين:

#### ١- إحالة ذاتية مدني قريب:

"وتجرى في مستوى الجملة الواحدة حيث لا توجد فواصل تركيبية جمالية".<sup>(٣)</sup> نحو قولنا (صحب موسى الخضر نفسه) فعنصر الإحالة هو الضمير الهاء في التوكيد المعنوي ويعد من قبيل الإحالة قريبة المدى.

١- اللغة العربية معناها ومبناها، ص ٢١٦.

٢- تجميع النص، ص ١٩٩.

٣- المرجع السابق، ص ١٢٣.

### ٢- إحالة ذاتي محدي بعيد:

"وهي تجرى بين الجمل المتصلة، أو المتباعدة في فضاء النص وهي تتجاوز الفواصل أو الحدود التركيبية القائمة بين الجمل"<sup>(١)</sup> كان يكون الضمير عائداً على اسم سبقه بعدة جمل..... إلخ.

إن معالجة نظام الإحالة في اللغة أمر لا يخلو من صعوبات، فالضمائر ومرجعيتها تشكل مشكلة كبيرة ومن الصعوبات أيضاً "تعدد المحال إليه في الإحالة النصية"<sup>(٢)</sup> وكذلك خفاء العلاقة بين العنصر الإحالي والعنصر الإشاري حين يتعذر تحقيق المطابقة في الجنس والعدد، وكل ذلك وغيره يقتضى جهداً لجلاء النص وكشفه يسبقه النص بالضمير.

#### ١- الربط بإعادة الذكر:

من أشكال الربط الإحالي في اللغة ما نطلق عليه الربط بإعادة الذكر والمقصود بإعادة الذكر كما جاء في أحد التعريفات. "تكرار الاسم بلفظه ومعناه لربط اللاحق فيها بالسابق"<sup>(٣)</sup>

نحو قول التوحيدى: "يا هذا أتدري من شيطانك؟ أنت شيطانك"<sup>(٤)</sup>. ونحو قول التوحيدى: "يا هذا: مداراتي لك مداراة لنفسى، ودعائى لك استكانة منى، واستكانتى استجابة إلى حظى. فاستجابتى إلى حظى بلوغ إلى غايى، وبلوغى إلى غايى فوز بين أنا به وهولى"<sup>(٥)</sup>.

١- المرجع السابق، ص ١٢٤.  
٢- العلاقة بين البنية والدلالة، ص ١٠٩.  
٣- قرينة الربط في القرآن الكريم، ص ٤٢.  
٤- الإشارات الإلهية، ص ٢٤٣.  
٥- المصدر السابق، ص ٢٣٩.



وقد وضع التعريف السابق عدة قيود على - سة التكرار، لتؤدو معنى الربط كقيد الاسمية، حيث اشترط تكرار الاسم دون الفعل أو الحرف ، لأن ذلك من قبيل التوكيد اللفظي. كما اشترط التكرار باللفظ والمعنى وكذلك إفادة الربط بين اللاحق والسابق. واعتقد أن شرط التكرار باللفظ والمعنى قيد "جانبه الصواب فأنواع الربط بإعادة الذكر: ربط بالمعنى واللفظ كما سبق أن مثلنا لذلك. وربط بإعادة المعنى دون اللفظ نحو "شعاري: لا إله إلا الله" اعتقادي: "أنتك عالم جليل"، "ويديني. لا نجاح بلا تعب". ولكن التعريف بهذا القيد أراد تجنب اعتقاد أن الجناس الثام من باب الربط بإعادة الذكر. كما أن التعريف أغفل نوعاً ثالثاً من أنواع الربط بإعادة الذكر، ويكون باستخدام العهد الذكري نحو: "زيد نعم الرجل"، "نصحت لصاً فما انتفع اللص".

يقول الدكتور تمام حسان: "والذي يبدو لي أن إعادة اللفظ، وإعادة المعنى، والعهد الذكري جميعاً من باب واحد"<sup>(١)</sup>.

أما القيد الثالث الذي اشترطه التعريف وهو الربط بين السابق واللاحق، فالغرض منه إخراج التوكيد اللفظي من هذا الباب، لأن غرض التوكيد اللفظي التقرير، والتوكيد والفرق بين التقرير اللفظي والربط بإعادة الذكر أن التوكيد تابع يتبع المؤكد، ويأخذ إعرابه كما لا يصح أن ينوب عنه الضمير، في حين الربط بإعادة الذكر يصح أن ينوب عنه الضمير ويعرب اللفظ حسب موقعه في الجملة.

إذن عملية الربط بإعادة الذكر هي عملية تكرار تكون باللفظ والمعنى، أو بالمعنى دون اللفظ، أو بالعهد الذكري بغرض ربط اللاحق بالسابق، ورفع اللبس وتصحيح الفهم

١. اللغة العربية مخاها ومشاها، ص ٢١٦.

وقد استخدم أبو حيان التوحيدي هذا النوع من الربط الإحالي عبر "الإشارات الإلهية" وذلك لتكوين التلاحم النصي والتماسك الدلالي فيه من ذلك قوله: "إِنَّ عَدُوَّ اللَّهِ لَا يَرْضَى مِنْكَ إِلَّا بِالْبَعْدِ عَنْ بَابِ اللَّهِ، وَإِلَّا بِالْخَزَى وَالْهَوَانِ مِنْ ثَوَابِ اللَّهِ، وَإِلَّا بِالْمَقْتِ وَالْخُسْرَانِ عِنْدَ مَلَائِكَةِ اللَّهِ، وَإِلَّا بِسَوَادِ الْوَجْهِ عِنْدَ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ"<sup>(١)</sup>.

نلاحظ في الفقرة السابقة أن أبا حيان التوحيدي استخدم الربط عن طريق إعادة الكلمة بلفظها ومعناها، وهي كلمة "الله" ولم يبدلها ويستخدم الضمير، وهو أخف من ذكر اللفظ نفسه وذلك لتأكيد معنى أراحه التوحيدي، وهو في رأيي تخويف السامع بكثرة ذكر لفظ الجلالة ودعوته لترك ما يغضب الله والانصراف عن أعداء الله، فإعادة لفظ الجلالة واستخدامه في الربط الإحالي من باب التهويل، وتذكير السامع، وإذا تصفحنا كتاب الإشارات الإلهية نجد أن أكثر الكلمات المستخدمة في الربط الإحالي عن طريق إعادة الذكر هي لفظ الجلالة، أحياناً في باب التهويل، وأحياناً في باب الترغيب، والهدف من ذلك إيقاظ السامع وتنبيهه، وإنعاش الذاكرة فإعادة اللفظ ضمان، قوى للوصول إلى اللفظ الأول.

ومن ذلك قوله: "لَا تُخْرِجْ إِلَّا عَلَى بَابِ اللَّهِ، وَلَا ظَنْ إِلَّا بِاللَّهِ، وَلَا أَمَلٍ يُصْلِحْ إِلَّا فِي اللَّهِ، وَلَا رَجَاءَ يُسْتَقِيمُ إِلَّا فِيمَا عِنْدَ اللَّهِ، وَلَا خَيْرَ يَحِقُّ إِلَّا عَنِ اللَّهِ، وَلَا تَوَكَّلْ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَلَا نَجَاةَ إِلَّا بِرُوحِ اللَّهِ، وَلَا مَنفَذَ إِلَّا بِهَدَايَةِ اللَّهِ، وَلَا ظَفَرَ إِلَّا بِتَصَرُّفِ اللَّهِ، وَلَا عَيْنَ إِلَّا بِتَحَرُّزِ اللَّهِ، وَلَا سَكْنَى إِلَّا فِي جَوَارِ اللَّهِ، وَلَا أَمْنٍ إِلَّا فِي حَرَمِ اللَّهِ، وَلَا تَوَجُّهَ إِلَّا إِلَى كَعْبَةِ اللَّهِ، وَلَا غْنَى إِلَّا فِي خَزَائِنِ اللَّهِ، وَلَا فَوْزَ بِالْجَنَّةِ إِلَّا بِتَفَضُّلِ اللَّهِ، وَلَا خَلَاصَ مِنْ نَارِ اللَّهِ إِلَّا بِرَحْمَةِ اللَّهِ"<sup>(٢)</sup>.

١- الإشارات الإلهية، ص ٤١.

٢- الإشارات الإلهية، ص ٤٨.

لقد ذكر التوحيدى لفظ الجلالة سبع عشرة مرة، وكان بمقدوره أن يستبدل كثيراً من هذه الألفاظ بالضمير تحقيقاً للخفة، لكنه أثر الربط الإحالي بإعادة الذكر لتأكيد المعنى والتلذذ بذكر لفظ الجلالة، وتحقيق الترغيب في ثواب الله وفضله وعطائه سبحانه وتعالى وكان يستطيع أن يقول:

"لا مخرج إلا على بابي، ولا ظن إلا به ولا أمل يصلح إلا فيه، ولا رجاء يستقيم إلا فيما عنده".... إلخ.

ومن باب الربط الإحالي بإعادة الذكر قول التوحيدى: "لأن العارف بالله، الواجد لله والقاصد إلى الله، والمتهاك في الله، والمتنسب إلى الله والفاكر الله والواصل إلى الله والمتصل بالله لا يخلون من معالي الأخلاق، وعوالي الهمم، وشرائط الغادات" (١).

واستخدام التكرار في الفقرة السابقة للفظ الجلالة بالإضافة لكونه يحدث التلاحم الدلالي يفيد أيضاً التشريف، تشريف الإنسان المتصل بالله، والعارف له، وتكرار لفظ الجلالة فيه ترغيب للإنسان بأن يكون واحداً من هؤلاء المتقربين إلى الله، ويبرز التكرار أيضاً أهمية المذكور، وحبه لتكرار لفظه مع القدرة على الاستغناء عنه والتعويض عنه بالضمير فيقول مثلاً: لأن العارف بالله، الواجد القاصد إليه، المتهاك فيه.... إلخ.

وعلى الرغم من كثرة استخدام لفظ الجلالة في الربط الإحالي بإعادة الذكر فهناك كلمات أخرى استخدمها التوحيدى في الربط بإعادة الذكر منها قوله: "يا هذا ! هذا لسان التصوف، والتصوف اسم يجمع أنواعاً من الإشارة وضروباً من العبارة" (٢).

١- المصدر السابق، ص ١٦٧.  
٢- الإشارات الإلهية، ص ١١٣.

وفى تكرار لفظ التصوف بدلاً من الإتيان بالضمير دلالة على التوكيد، واختلاف المدلول، فلو ذكر الضمير فقال: هذا لسان التصوف وهو اسم لكان الضمير واقعاً فى جملة الحال فاختلف المدلول مع التكرار.

ومن نماذج الربط بإعادة الذكر قول التوحيدى " ذلك سِرٌّ لا سبيل إلى السؤال عنه لأنه جِزَاءٌ عليه، والجرأة مُوجِبَةٌ لِلْمَقْتِ بَابٌ إِلَى السَّخَطِ، وَالسَّخَطُ جَالِبٌ لِلْبُعَادِ <sup>(١)</sup> .

وقد أفاد استخدام التوحيدى لعنصر التكرار فائدة كبيرة فلو استخدم التوحيدى الضمير بدلاً من الكلمات المكررة لحدث غموض، وليس، ولكنه أثر تكرار اللفظ. وذلك أدعى للتذكر، وأمناً من اللبس الذى سيحدث عند السامع، وتأكيداً لمعنى معين أراداه التوحيدى ولهذا السبب أيضاً استخدم التكرار فى قوله: "وَأَسْتَعِزُّ عَلَيْهِ بِالصَّبْرِ، وَصِلَ الصَّبْرُ بِالْإِسْتِسْلَامِ، وَآمَزَجَ الْإِسْتِسْلَامَ بِالتَّوَكُّلِ، وَظَلَّ التَّوَكُّلُ بِالمَحَبَّةِ، وَثَبَتَ المَحَبَّةُ بِالصِّدْقِ، وَجَلَّ فى أَثْنَاءِ الصِّدْقِ بِالإِخْلَاصِ، وَنُجِّى فى الإِخْلَاصِ بِالْوَجْدِ وَجَدَ فى الْوَجْدِ بِالمَوْجُودِ <sup>(٢)</sup> . ولولا التكرار الذى عمد إليه التوحيدى لحدث لبس كبير، فلو قال: استعن عليه بالصبر، وصله بالاستسلام وآمزجه بالتوكل... إلخ.

لضاع المعنى وحدث ما لا يُرْجَى. فالربط الإحالي بإعادة اللفظ حفظ المعنى من اللبس والغموض والتداخل.

ومن النماذج اللافتة لاستخدام التوحيدى للربط الإحالي بإعادة الذكر قوله: "وقيل الغريب من جفاه الحبيب، وأنا أقول بل الغريب من وأصله الحبيب، بل الغريب من تغافل عنه الرقيب، بل الغريب من حاباه الشَّريب، بل الغريب من نودى من قريب، بل

٢- المصدر السابق، ص ٦.  
٣- المصدر السابق، ص ٦٦.

الغريب من هو في غريبته غريب، بل الغريب من ليس له نسب، بل الغريب من ليس له من الحق نصيب<sup>(١)</sup>.

وفي هذه الرسالة التي تحمل الرمز "يا" في تحقيق الدكتور عدد الرحمن بدوي والرقم (١٢) في تحقيق الدكتورة وداد القاضي لكتاب "الإشارات الإلهية"، كرر التوحيدى لفظ الغريب ومشتقاته تسعاً وخمسين مرة، منها ثلاث وثلاثون مرة على سبيل الربط الإحالي بإعادة الذكر، وهو عدد كبير جداً من الكلمات التي قامت بدور الربط الإحالي في رسالة قوامها بضع صفحات فقط. وفي رأبي أن هذا التكرار اللفظي بالإضافة لكونه يحدث ترابطاً كبيراً وانسجماً بين أجزاء النص مما يؤدي إلى الوضوح، وعدم اللبس في الفهم، وله دلالة أخرى مهمة قصد إليها التوحيدى، وهي إظهار الشفقة، وبيان التعاطف مع هذا الغريب.

وكذلك رغبة التوحيدى في يقظة ذهن، وذلك بتكرار اللفظ، لأنه يريد الإحاطة التامة والإجابة الكاملة لمن سأل عن الغريب في بداية الرسالة.

ومن قبيل الربط بإعادة الذكر في "الإشارات الإلهية" الربط بإعادة معنى اللفظ كما في قول التوحيدى:

"ولأن فيه تَخْلِيَةً لِرَسْنِكَ، وإلقاءً لِحَبْلِكَ على غَارِيكَ"<sup>(٢)</sup> فالتوحيدى استخدم الحبل بمعنى الرَسْن فكرر معنى اللفظ وذلك بقصد التنويع في استخدام الكلمات.

إذن نستطيع أن نرجع: إن التوحيدى عندما عمد إلى استخدام الربط الإحالي بإعادة الذكر والذي كان غالباً تكراراً باللفظ والمعنى لم يكن هدفه تحقيق التماسك وإقامة التلاحم بين أجزاء النص فقط، ولكن كان من أهدافه أيضاً أمن اللبس في بعض المواطن

١- الإشارات الإلهية، ص ٨١، التريب: هو المولع بالشرب، الشيب: يقل رجل شيب أى ذو نسب معروف وأمر  
٢- المصدر السابق، ص ١٦٨

وتصحيح الفهم، وإنعاش الذاكرة بتكرار اللفظ خاصة إذا تكرر عبر مسافات كبيرة في فضاء النص، أو لإظهار الإجلال والتعظيم والتلذذ بذكر اللفظ كما حدث في ذكر لفظ الجلالة، وقد يكون الهدف من التكرار إظهار الشفقة والعطف كما حدث مع لفظ "الغريب" ويعتبر الربط عن طريق إعادة الذكر أقوى أشكال الربط الإحالي في النص.

#### الربط بالضمير:

من أنواع الربط بالإحالة الربط بالضمير، وقد ذكر ابن هشام الأنصاري (ت ٧٦١هـ) في كتابه المغني أن الربط بالضمير هو الأصل في الروابط: وعمل ذلك بأنه يربط به مذكوراً ومحذوفاً، مرفوعاً، ومنصوباً، ومجروراً<sup>(١)</sup> فهو عنده عمدة الروابط. "ولا بد للضمير من مفسر يبين ما يراد به فإن كان لتكلم أو مخاطب فمفسره حضور من هوله، وإن كان لغائب فمفسره نوعان، لفظ وغيره"<sup>(٢)</sup>. وذلك لأن الضمائر على الرغم من كونها نوعاً من أنواع المعارف فإنها تحتاج لتوضيح، وإبانة، وذلك ما يؤديه المفسر الذي يعود عليه الضمير "وحيث يعود الضمير يكون عوده على مذكور متقدم لفظاً ورتبة، أو لفظاً دون رتبة أو رتبة دون لفظ ويعود بعض الضمائر على متأخر لفظاً ورتبة كضمير الشأن. وقد يعود على مفهوم فإذا عاد على مذكور سابقة من حيث الشخص والعدد والنوع"<sup>(٣)</sup>. وقد يكون عود الضمير على مرجعه مباشرة، أو بواسطة والضمير العائد قد يكون ظاهراً أو مستتراً.

١- مفتي التليبي عن كتب الأعراب، ص ٥٧٣.

٢- شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، لابن هشام الأنصاري، ت/ محيي الدين عبد الحميد، القاهرة، دار الطلائع، ٢٠٠٤، ص ١٦٩.

ذكر ابن هشام أن أنواع المعارف ستة أحدها الضمير أو المضمرة، ويسميه الكوفيون الكفائية والمكتبة... وإنما يسمى مضمراً من قولهم أضممت الشيء إذ سترته وأخفيته أو من الضمور وهو الهزال لأنه في الغالب قليل الحروف، ثم تلك الحروف الموضوعة له غالباً مهموسة وهي التاء والكاف والهاء، والهمس هو الصوت الخفي. اللغة العربية مخاها ومبناها، ص ٢١٥.

وقد نَوَّع التوحيدى فى استخدامه للضمير فى الربط، فقد استخدمه فى ربط الجمل، كجملة الخبر، وجملة النعت، وجملة الصلة، واستخدمه فى ربط المفردات كالألفاظ التوكيد المعنوى والبدل (البعض من كل - والاشتمال).

من ذلك جملة الخبر التى تحتاج لربط يربطها بالمتبداً، وذلك لأنها ليست المتبداً فى المعنى، والأصل أن يكون الرابط ضميراً، وقد يكون هذا الضمير مذكوراً أو محذوفاً، متصلاً أو منفصلاً كقول التوحيدى "الوعدُ يُشَوِّقُكَ وأنتَ ساءٌ والوعدُ يخوِّفُكَ وأنتَ لاهٍ والعقابُ يوافقُكَ وأنتَ ذاهلٌ والعلامةُ تلوحُ لك وأنتَ جاهلٌ، والعبرةُ تُوقِّظُكَ وأنتَ ناعسٌ، والناعي يَرْفُقُ بكُ وأنتَ شاكسٌ" (١).

استخدم التوحيدى الضمير المستتر (هو) لربط جملة الخبر بالمتبداً فجملة (الوعد يشوقك) تتكون من مبتداً وخبر، والخبر جملة فعلية فاعلها (هو) الضمير العائد على المتبداً (وهو) فى ذات الوقت الرابط الذى ربط جملة الخبر بالمتبداً، ومثلها (الوعد يخوفك) و(العقاب يوافقك).... إلخ.

ولولا هذا الرابط لكانت الجملة غريبة عن المتبداً، وفائدة الربط بالضمير بدلاً من الذكر أمن اللبس، فلو قال التوحيدى: "الوعد يشوقك الوعد" لحدث توهم أن الوعد الأول غير الثانى كما أن فى الربط بالضمير إيجازاً، واختصاراً والإتيان بالشئ مظهرأ، ومضمرأ فيه تفخيم.

كما استخدم التوحيدى الربط بالضمير فى جملة النعت نحو قوله: "يا لك من رُوح لا كُرب بعده ويا لك من صَفْوٍ لا كَذْرَ مَعَهُ"..... ويا لك من قَبول لا رد يُريئُهُ" (٢).

١- الإشارات الإلهية، ص ١٤٨.  
٢- المصدر السابق، ص ٨.

فجمل النعت: لا كرب بعده، لا كدر معه، لا ردّ يريه هذه الجمل الاسمية الواقعة نعتاً مرتبطة كلها بضمير عائد على المنعوت، ومطابق له في النوع والعدد. وذلك لأن جملة النعت تفتقر إلى هذا الرابط، فالجملة لها استقلال يشعر بأنها غير متصلة بما قبلها. وقد عمد التوحيدي إلى إقامة جسور من الترابط بين أجزاء نصه.

وقد استخدم التوحيدي الضمير الظاهر لربط جملة الصلة بالاسم الموصول، فالاسم الموصول يحتاج إلى جملة صلة ليتم معناه، وجملة الصلة تحتاج لربط يربطها بالاسم الموصول، حتى لا تكون غريبة عنه، من ذلك قوله: "يا هذا، الغريب في الجملة من كُله خرقه، ويغضه فرقة، وليلة أسف، ونهاره لهف، الغريب من فجعته محكمة، ولوغته مضربة. الغريب من لبسته خرقه وأكلته سلقه وهجته خفقة" (١).

أحدث أبو حيان التوحيدي الترابط بين الاسم الموصول (من)، وجملة الصلة عن طريق الضمير الظاهر العائد على الاسم الموصول، والذي يطابقه في النوع والعدد، والضمير الظاهر هنا عائد على متقدم لفظاً ورتبة وذلك لإحداث التماسك والترابط النصي. الضمير هو الرابط غالباً عنده بين جملة الصلة والاسم الموصول، ولكن قد يغنى عن الضمير في الربط في هذا الموقع الاسم الظاهر كقول الشاعر:

فيا رب ليلى أنت في كل موطن وأنت الذي في رحمة الله أطمع  
فالرابط هنا بين جملة الصلة، والاسم الموصول حدث بالاسم الظاهر، والتقدير (في رحمته أطمع)، وقد أنكر سيبويه والأشمونى ذلك، وقال ابن مالك وابن هشام إنه نادر وقليل (٢).

١- الإشارات الإلهية، ص ٨٤.  
٢- مظهر الربط عند أبي حيان الأندلسي، ص ١٦.



لم يخرج الربط بين الموصول، وصلته عند أبي حيان التوحيدي عن المألوف الغالب فقد استخدم لذلك الضمير العائد على متقدم لفظاً ورتبة، لإحداث الانسجام والترابط والاختصاص. وذلك نحو قوله أيضاً "الذين يَحُلُّوْا بِصُحْبَتِهِمُ الْحَنَظْلَ وَالْخَوْلَى" (١) فالضمير في صحبتهم الظاهر عائد على الاسم الموصول المتقدم لفظاً ورتبة.

كما استخدم التوحيدي الضمير في الربط في التوكيد المعنوي، وذلك لأن المؤكّد غير المؤكّد في اللفظ، وقد اشترط النحاة وجود الضمير في ألفاظ التوكيد المعنوي ولم يعتبروها من قبيل التوكيد إلا بوجود هذا الضمير الظاهر. من ذلك قول التوحيدي "هذا كله تَظْهَرُ لَكَ" (٢)، وقوله: "وأعلم أنّي مع ذلك كله..." (٣).

إنّ يمكن القول: إنّ التوحيدي استخدم الضمير وهو عمدة الروابط، ونوع في هذا الاستخدام في ربط الجمل حيث ربط به ظاهراً ومستقراً، وذلك لإحداث التماسك والترابط بين أجزاء النص، وتحقيق الانسجام، والاختصاص، والإيجاز في التعبير.

الربط باسم الإشارة،

أسماء الإشارة هي ما يشار بها إلى المسميات، وهي أسماء مبهمة تحتاج إلى مفسر يزيل إبهامها "وتنقسم أسماء الإشارة بحسب من هي له ستة أقسام باعتبار التقسيم العقلي، وخمسة باعتبار الواقع، وبيان الأول أنها إمّا لفرد، أو مثني، أو مجموع، وكل منهما إمّا لمذكر، أو مؤنث، وبيان الثاني أنهم جعلوا عبارة الجمع مشتركة بين المذكورين والمؤنثات" (٤).

١- الإشارات الإلهية، ص ٩.  
٢- الإشارات الإلهية، ص ٣٥.  
٣- المصدر السابق، ص ١٠.  
٤- شرح شذور الذهب، ص ١٧٢.

"وتلحق بضمائر الإشارة عدة عناصر تؤدي وظائف معينة وهي: (ها، واللام، والكاف) والكاف هنا هي كاف الخطاب أي إنها تفيد الخطاب دون الاسمية".<sup>(١)</sup>

فحرف الهاء حرف يفيد التنبيه، والكاف حرف خطاب لا محل له من الإعراب واللام حرف يفيد البعد، وهذه الحروف تؤثر في تحديد مرتبة المشار إليه "والجمهور على أن له ثلاث مراتب: قُربى، ووسطى، وبعدي، فيشار إلى من في القربى بما ليس فيه كاف ولا لام: كذا، ونى، وإلى من في الوسطى بما فيه الكاف وحدها نحو ذاك، وإلى من في البعدى بما فيه كاف ولام نحو ذلك".<sup>(٢)</sup>

وإذا اختلف المشار إليه من حيث المرتبة فإنه أيضاً يختلف من حيث النوع فهناك مشارٌ إليه معنوي، ومشارٌ إليه حسي.

وتقوم أسماء الإشارة بدور مهم في إحداث الترابط بين أجزاء النص، فاسماء الإشارة من الروابط المهمة في النص وهي من أنواع الربط بالإحالة، وقد استخدم أبوحيان التوحيدي اسم الإشارة، وجعله من الوسائل التي اعتمد عليها في تحقيق الترابط والتماسك بين أجزاء النص وتنوعت صور استخدامه لضمائر الإشارة في عملية الربط، وقد رصدت مجموعه من هذه الصور في كتاب "الإشارات الإلهية" وهي:

١- جملة اسمية + حرف جر + اسم إشارة + مفار إليه

وذلك نحو قوله: "النظارة متجيرة من هذه النوازل والأعداء شامتة بهذه الدواهي والأخبار مرفوعة بهذه الشناعات، والديوان ناطق بهذه القضايع، والمائم منعقد، بهذه النوائج".<sup>(٣)</sup>

١- دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين اللفظة والدلالة، ص ١٤٥.

٢- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ط ٢٠٠٠، دار محيى الدين عبد الحميد، القاهرة، دار التراث، ١٩٨٠، ج ١ ص ١٢٥، ١٢٦.

٣- الإشارات الإلهية، ص ١١٧.

وفي البنية التركيبية السابقة استخدم التوحيدي اسم الإشارة (هذه) المكون من هاء للتنبيه، و (ذ) التي تشير إلى المفرد المؤنث رابطاً إحيائياً في النص وقد أشار اسم الإشارة في هذا التركيب إلى لاحق عليه. فهذه تشير إلى التوارل، وتشير إلى الدواهي... إلخ وتكرار هذا النمط التركيبي بالإضافة لإحداثه جرساً موسيقياً، فإنه يكون شطراً تراكمياً من الروابط الإشارية التي تبرز مهارة وقدرة التوحيدي، على استخدام المترادفات:

٢- اسم استعلاء + اسم إظهار + اسم موصول (مشار إليه) + جملة تعلية  
وذلك نحو قوله: "من هذا الذي وفي فندم؟ من هذا الذي صفا فندم؟ من هذا الذي طلع فغاب؟ من هذا الذي طمع فغاب؟ من هذا الذي وصل فانقطع؟ من هذا الذي رفع فاتضح؟ من هذا الذي أشار فبان؟ من هذا الذي عرف فغاب؟ من هذا الذي وجد ففقد؟ من هذا الذي صلح ففسد؟ من هذا الذي نفق فكسد؟ من هذا الذي حقق فهجر؟ من هذا الذي صدق فحقر؟" (١).

وفي هذا النمط التركيبي استخدم التوحيدي اسم الإشارة (هذا) للمفرد المنكر والمكون من (هاء التنبيه) و(ذا) رابطاً إحيائياً مع الاسم الموصول وذلك لتحقيق أكبر قدر من الترابط في النص، واستخدم التوحيدي لهاء التنبيه تناسب الموقف الذي يوجه فيه الأسئلة التي تفيد النفي، ويطلب من المستمع التيقظ والانتباه، وتحقيق الترابط في هذه البنية التركيبية يأتي من استخدام اسم الإشارة العائد على الاسم الموصول بغرض فك إبهامه، فاسم الإشارة يحتاج لمفسر هو الموصول ولكن الاسم الموصول أيضاً يفتقر لجملة الصلة التي توضحه فحدث ترابط كبير في الجملة، وتكرر هذا الترابط بين اسم الإشارة والاسم الموصول، وجملة الصلة، ليحدث ذلك التلاحم النصي الكبير.

١- المصدر السابق، ص ١٢٦.

### ٣- أسلوب تعجب + اسم إشارة + مفعول إليه

نحو قول التوحيدى: "ما أقرب هذا البعيد! وما أسهل هذا العسير! وما أشد استجابة هذا الواني! وما أسرع انحياس هذا النائي!"<sup>(١)</sup>  
ونحو قوله: "ما أغرب هذه الإشارة، وما ألخص هذه العبارة"<sup>(٢)</sup>؛ فى هذا النمط التركيبى الذى استخدم فيه التوحيدى اسم الإشارة رابطاً إيحالياً يعود على متأخر والأسلوب أسلوب تعجب فيه دهشة تناسب التنبيه الحاصل فى اسم الإشارة، وكذلك نلمح خصوصية فى استخدام التوحيدى لاسم الإشارة هنا، وهى إفادة الانحصار والتخصيص. وقريب من هذه البنية قول التوحيدى: "فما أوجب الحمد فى هذا المضيق! وما أنفع الشكر على هذا التوفيق! وما أحسن الوصف بهذا التدقيق! وما أبلغ اللفظ بهذا التدقيق! وما أشرف المرمى بهذا التحقيق!"<sup>(٣)</sup>

### ٤- ظرف زمان + اسم إشارة + مفعول إليه + حرف عطف + مفعول

وذلك نحو قول التوحيدى: "ويعد هذا الآن والتكبير ويعد هذا التقدير والتقرير ويعد هذا التكسير والتجيب"<sup>(٤)</sup>

استخدم التوحيدى أيضاً فى هذه البنية التركيبية الإحالية اسم الإشارة المتصل بهاء التنبيه العائد على متأخر؛ لإحداث الترابط والتماسك النصى وعلى طريقته فى تكرار النمط التركيبى واستخدام اسم الإشارة للمفرد المذكور، أو المؤنث.

١- الإشارات الإلهية، ص ٥٠.  
٢- المصدر السابق، ص ١٠١.  
٣- المصدر السابق، ص ٤٦.  
٤- المصدر السابق، ص ٧٧.

٥- همزة استفهام + اسم إشارة + جملة:

وذلك نحو قول أبي حيان التوحيدي: "أهكذا يكون من عرف الله سرّاً أو جهرّاً؟ أهكذا يكون من اعترف به رياءً أو إخلاصاً؟ أهكذا يكون من تطاعم إحسان الله غائباً أو خاضراً؟ أهكذا يكون من ذكر الله سرّاً أو جهرّاً؟ أهكذا يكون من اشتاق إليه ساكناً أو متحركاً؟ أهكذا يكون من أحبه متسلّياً أو متهاكماً؟ أهكذا يكون من دعا إليه صادقاً أو كاذباً؟ أهكذا يكون من شرّع في نعمه صباحاً أو مساءً، أهكذا أبداً إلى أن ينكسر القلم عند الكتابة" (١).

كرر أبو حيان التوحيدي هذا النمط التركيبي في هذه الرسالة أربع عشرة مرة. وهو يختلف عن الأنماط التركيبية السابقة، وقد أضيف إلى اسم الإشارة حرف التنبيه (ههـ) وحرف التشبيه الكاف وقد قوت هذه الكاف اسم الإشارة، والغرض في رأيي من استخدام الاستفهام عن الحال بهذه الكثرة وبذلك الصيغ، والأحوال المتقاربة هو إظهار مدى الفارق الكبير بين حال المحسن، وحال المسيء، بين حال المخلص وحال العاصي.

من هنا يمكن القول: إن أبا حيان التوحيدي استخدم الرّبط الإحالي بواسطة اسم الإشارة، ونوع في استخداماته لأسماء الإشارة، كما كان أغلب اعتماد أبي حيان التوحيدي في الرّبط الإحالي باستخدام اسم الإشارة على استخدام اسم الإشارة العائد على المفرد بنوعيه مع اتصاله بهاء التنبيه، وهذا لافت للنظر فكيف يجلس في مجلس الشيخ؟ وكيف يخاطب المفرد؟ ربما يكون الخطاب للمفرد والمقصود به الجماعة، وربما يكون الهدف من ذلك إظهار مدى القرب من المرید، والسامع، ومن الملاحظات اللافتة أيضاً أن التوحيدي لم يستخدم (اللام) التي تغيد البعد، والتي تنصل باسم الإشارة إلا نادراً، وفي ذلك ما يؤكد رغبته

١- الإشارات الإلهية، ص ٩١.

فى إشعار السامع بمدى فربه منه، وهو حينما يستخدم اللام مع اسم الإشارة لا يشير بذلك إلى الإنسان الذى يخاطبه بل إلى أشياء أخرى نحو قوله: "لأنّ تلك من المبسوط الأول، وهذا من المقبوض الثاني".<sup>(١)</sup>

١- المصدر السابق، ص ٩٨.  
\* ورد فى كتاب "لطائف الأعلام" الجزء الثانى ص ٢٢٧ أن:  
القبض والبسط منزلان من منازل السائرين إلى الله تعالى و يشتمل عليهما قسم الحقائق، وذلك أن السائر ما دامت مكشوفاته ومشاهداته، ومعانيه مقصورة عليه فهو فى قبض وإذا اتبعت منه حتى تغطى بها غيره بواسطته فهو فى بسط و قيل القبض: حزن النفس على وجه يكاد يمتلئ دواعيها فيما هى عليه وتنمها من التوجه إلى شيء من المطالب.

### المبحث الثالث

#### الربط بالأداة

"سبق أن ذكرنا أن الربط في بنية اللغة ينقسم إلى نوعين: الأول: ربط بالإحالة ويكون بإعادة الذكر أو بالضمير أو باسم الإشارة، والثاني: ربط بالأداة. ويعد أن تناولنا الربط بالإحالة في كتاب "الإشارات الإلهية" نتناول الربط بالأداة، فهناك فارق كبير بين النوعين "فوظيفة الربط بالأداة ناشئة من تلخيصها معنى نحوى كالعطف، والشرط والاستثناء وغيرها من المعاني".<sup>(١)</sup>

وهذا لا يتوافر في عملية الربط بالإحالة، التي هي عبارة عن عملية تعليق واختلاف، والأداة تقوم بعملية الربط بين مبروتين "فهى تربط اسماً باسم أو فعلاً بفعال أو فعلاً باسم، أو جملة بجملة".<sup>(٢)</sup>

وذلك لإحداث التماسك، والترابط بين أجزاء النص، بالإضافة لتلخيصها للمعاني النحوية السابقة. وهذه الأدوات منها "ما هو اسم، ومنها ما هو حرف، فالحرف: حروف الجر، والعطف، والفاء الداخلة على الخبر، وواو الحال... والاسم أكثر أدوات الشرط".<sup>(٣)</sup>

"وهذه الأدوات نوعان أحدهما الأدوات الداخلة على الجمل، والثاني الأدوات الداخلة على المفردات، فأما الأدوات الداخلة على الجمل فترتيبها دائماً التقديم".<sup>(٤)</sup> كأدوات النفي والتأكيد والاستفهام والنهي، والتمنى والترجى، والتحضيض وغيرها

١- نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية، ص ٩٠.

٢- ظاهرة الربط عند أبي جيان الأندلسي، ص ٨٧.

٣- المرجع السابق، ص ٨٧.

٤- اللغة العربية معناها ومبناها، ص ٢٢٤.

"ومثال الأدوات الداخلة على المفردات حروف الجر والعطف، والاستثناء والتنفيس، والتحقيق، والمعية، والتعجب، والنقليل، والابتداء، والنواصب، والجوارم التي تجزم فعلاً واحداً"<sup>(١)</sup>. من الباحثين من أنكر أن تكون أدوات الاستفهام والنفي، والنهي والتعجب من الروابط، التي تقوم بدور الربط والتعليق والإفادة ويقول: "الدليل على ذلك أن هذه الحروف مع كونها تفيد معنى دالياً كالاستفهام، والتعجب، والنفي... فإنها لم تربط بين شيئين أى لم تجعل ما بعدها متعلقاً بما قبلها"<sup>(٢)</sup>.

ولا أرجح هذا القول، فالنظرة البسيطة لهذه الأدوات والجمل التي وردت بها توحى بانفصالها واستقلاليتها، وهذا ما جعل الباحث يرى أنها لم تقم بعملية التعليق والربط في النص، وأعتقد أن هذه الأدوات أدت دوراً كبيراً في تلاحم أجزاء النص فالعقل يرفض أن توجد معانٍ كالاستفهام، أو النفي، أو النهي، أو التحضيض... إلخ منعزلة في فراغ بل لابد من تعليق وربط بينها وبين كلام سابق لها، أو لاحق عليها.

يقول الدكتور تمام حسان: "ولكل أداة من هذه الأدوات قرينة متعددة جوانب الدلالة حيث تدل بمعناها الوظيفي، وبموقعها ويتضامها مع الكلمات الأخرى، وبما قد يكون متفقاً مع وجودها من علامات إعرابية على ضمائمها، وهذا التعدد في جوانب الدلالة بقرينة الأداة تجعلها في التعليق التحوي قرينة لفظية هامة جداً"<sup>(٣)</sup>. وفي هذا المبحث سوف نتناول بعض أدوات الربط التي عنى التوحيدى باستخدامها في "الإشارات الإلهية" مثل حروف الجر، وحروف العطف وغيرها وأهم ما اتصفت به هذه الأدوات من خصوصية في الاستخدام.

١- المرجع السابق، ص ٢٢٥.  
٢- ظاهرة الربط عند أبي حيان الأندلسي، ص ٨٨.  
٣- اللغة العربية معناها ومبناها، ص ٢٢٥.



### الربط بعروض الجر:

حروف الجر من الروابط المهمة في الجملة العربية، والتي يشيع استخدامها، وتسمى أيضاً حروف الإضافة، وهي حروف لا تقع في صدر الكلام وإنما تقع واسطة بين شيئين فهي "تتعلق بما قبلها لتوصله لما بعدها فهي أداة رابطة، مربوطةها الأول هو الفعل أو ما أشبهه ومربوطةها الثاني: هو الاسم المجرور بعدها".<sup>(١)</sup>

فهناك علاقة وثيقة بين الفعل اللازم وحرف الجر، فعن طريق حرف الجر يتحقق وجود الفعل، فالفعل اللازم لا يملك القدرة لمباشرة المفعول به مثل الفعل المتعدي، الذي يملك أحياناً القوة لمباشرة أكثر من مفعول "فتلجج العربية إلى اصطناع علاقة الربط لأمن لبس الانفصال، وذلك بتعديه الفعل بحرف الجر".<sup>(٢)</sup>

فالفعل اللازم يكتسب قوته من حرف الجر لمباشرة الاسم، وتتساوى حروف الجر في هذا العمل، ولكنها تختلف في المعنى، فمعناها ما يدل على الاستعلاء مثل "على" ومعناها ما يدل على الإلصاق مثل "حرف الباء" ومعناها ما يدل على الانتهاء مثل "إلى" ومعناها ما يدل على المجاوزة مثل "عن" ... إلخ.

وعلى هذا فإن حروف الجر تعد من أدوات الربط المهمة في الجملة العربية، وهناك من النحاة خاصة الكوفيين من يقول ببنائه هذه الحروف بعضها عن بعض، وقال بتداخل معانيها، ورفض البصريون هذه الفكرة "وحاولوا تأويل كما بدأ أنه خارج عن معناه المشهور إما بالتأويل في الحرف ذاته، وإما بالتأويل في الفعل أو الاسم الذي تعدي به".<sup>(٣)</sup>

١- قرينة الربط في القرآن الكريم، ص ٣٩٢.

٢- المرجع السابق، ص ٣٩٢.

٣- من أسرار حروف الجر، محمد أمين الخضري، القاهرة، مكتبة وهبة، ١٩٨٩، ص ١٢.

ويرفض ابن جنى القول بإطلاق "نباية حروف الجر بعضها عن بعض، ورأى أن وضع حرف مكان آخر يرتبط بالدواعي والأغراض التي توجب العدول عن الحرف الأصلي إلى حرف آخر يستطیع الوفاء بالغرض، ويفصح عن مقاصد الكلام" (١).

وأرجح رأى ابن جنى خاصة أنه لا يرفض القول بنباية الحروف بعضها من بعض، ولكنه اشترط لهذه النباية الدواعي والأغراض فكل حرف له معناه الذى وضع له وإلا فما فائدة هذا المعنى الموضوع لحرف دون حرف لابد أن يكون لكل حرف خصوصية فى الاستعمال أما القول بالنباية فيكون لأغراض بلاغية، وهذا يفتح الباب لتضمين الفعل معنى فعل آخر يصح معه تعديته بالحرف الذى يتعدى به ذلك الفعل وسنرى ذلك من خلال التطبيق.

وقد قمت بإجراء عملية إحصائية فى ثلاث رسائل من رسائل "الإشارات الإلهية" لبعض حروف الجر التى استخدمها التوحيدى وهى من أكثر الحروف استخداماً عنده (٢) فكانت كالتالى:

رسالة	الحرف	من	إلى	عن	على	في	ب	ل
(١)	٤٧	٢٥	٢٥	٣٧	٥١	٧٥	٣١	
(١٢)	٤١	٢٠	٢٥	٢٣	٣٥	٣٧	٣٢	
(٢٧)	٤٤	٢٩	٢١	٢٩	٣٣	٦٢	٣٣	
بمجموع	١٣٢	٧٤	٧١	٨٩	١١٩	١٧٤	٩٦	

١- المرجع السابق، ص ١٥.

٢- ذكر ابن مالك فى ألفيته أن حروف الجر عشرون جمعها فى قوله:  
هالك حروف الجر، وهى: من، إلى، حتى، خلا، عدا، فى، عن، على،  
منه، منه، رتبة، اللام، كى، واو، وتا، والكسف، والباء، ولعل ومتى  
وهناك من النحاة من زاد على ذلك.

بقراءة الإحصاء السابق يتضح لنا كثرة حروف الجر وتنوعها في كتاب "الإشارات الإلهية" والإحصاء أجرى على ثلاث رسائل من رسائل الكتاب وهي، الرسالة الأولى، والثانية عشرة، والسابعة والعشرون. واعتقد أن الإحصاء يعطى انطباعاً جيداً عن كيفية استخدام التوحيدى لحروف الجر وكيفية توظيفها، وهذا الإحصاء يشكل بلا شك مرجعية ثابتة للأحكام.

ويتضح لنا من خلال الإحصاء أن أكثر الحروف استخداماً في النص هو حرف (الباء)، والباء حرف من حروف الجر "التي اتسع فيها العرب اتساعاً جعل بعض النحاة يصلون بمعانيها إلى أربعة عشر معنى مما يدل على كثرة تصرفها، وقدرتها على الوفاء بأغراض المتكلم، وأحوال المخاطبين سواء أكانت هذه المعاني تؤدي بها على سبيل الحقيقة أم التجوز"<sup>(١)</sup> وفي هذا تبرير لكثرة استخدام التوحيدى لهذا الحرف، وعلى الرغم من كثرة المعاني التي يؤديها هذا الحرف، فإن المعنى الأساسي لهذا الحرف هو الإلصاق والاختلاط، سواء أكان ذلك على سبيل الحقيقة أم التجوز. وذلك ما ذكره ابن هشام في كتابه المغنى<sup>(٢)</sup> ويتحقق ذلك في استخدام أبي حيان لهذا الحرف نحو قوله: "يا هذا السعيد من استطَبَّ لسقمه، وسعى في طلب عافيته، وقام بالحق للحق على خطرات باله وهو أجس نفسه، وتلذذ بالفقر وتغنم بالاستكانة، ووجد بالعدم، وأذرك بالقوت، وصح بالمرض، وحيى بالموت وروى بالعطش"<sup>(٣)</sup>.

١- من أسرار حروف الجر في الذكر الحكيم، ص ١٦٥.  
٢- قال ابن هشام: "إن أول معنى الباء الإلصاق، قيل: وهو معنى لا يفارقها فهذا اقتصر عليه سيبويه وذكر ابن هشام من معاني حرف الباء غير الإلصاق، التمنية والاستعانة، والسببية والمصاحبة، والظرفية والفعل، والمقابلة والمجازرة والاستعلاء، والتبعيض، وغيرها".  
٣- الإشارات الإلهية، ص ١٨٦.

أبوحيان يستخدم حرف الباء فيما يفيد معنى اللصوق وشده الارتباط بين الإنسان السعيد وبين الحق وتلذذه بالفقر، وتنعمه بالاستكانة، وقوة العلاقة بين هذا الإنسان وبين كل مظاهر الحرمان، والألام التي هي السبيل للوصول إلى الله. والاستمتاع بالسعادة الحقيقية، ويتضح أيضاً استخدام التوحيدى لحرف الجر (الباء) بمعناه الحقيقي وهو اللصوق والارتباط نحو قوله: "واكتبنا فى المنبيين إليك، الذاكرين لك المفتخرين بك، الميتهجين بتاج صفوتك المخصوصين بالإطلاع على إسراك وإعلانك"<sup>(١)</sup>.

وما يؤكد إفادة (الباء) لعنى اللصوق والارتباط أن فى علاقة السبب بالمسبب لصوقاً واضحاً، وارتباطاً كبيراً، ولكن التوحيدى لم يستخدم (الباء) لتفيد معنى اللصوق والارتباط فقط بل توسع فى هذه المعانى التى استخدم فيها هذا الحرف نحو قوله: "اللهم فافعل كلا الأمرين بنا"<sup>(٢)</sup>.

وهنا فارق حرف (الباء) معنى اللصوق؛ ليدل على الظرفية، فالباء هنا بمعنى (فى)، وقد ورد كثيراً على السنة النحاة أن (الباء) بمعنى (فى)، ناهيين إلى أنها تخلع معنى الإلصاق؛ لتدل على الظرفية. وذلك نحو قوله أيضاً: (وعجزنا أظهر علينا من أن نطمع لا بالإمام...) والمقصود فى الإمام، كما استخدم التوحيدى الباء بمعنى المجاورة نحو قوله: "أنفاسى متحرقة بالחסرات"<sup>(٣)</sup>، والمقصود عن الحسرات

لقد أكثر التوحيدى من استخدام حرف (الباء) من بين حروف الجر ونوع فى معانيه بما يتطلبه الموقف فلم يقف عند المعنى الأساسى للحرف وهو اللصوق والارتباط بل تعداه لمعانٍ أخرى كالظرفية والمجاورة وهذه ما يبين سبب كثرة هذا الحرف عنده.

١- المصدر السابق، ص ١٠.

٢- الإشارات الإلهية، ص ١٩٠.

٣- المصدر السابق، ص ٢٠٥.

ثاني أكثر حروف الجر استعمالاً بعد حرف الباء هو حرف (من) ويأتي لابتداء الغاية، وهو الغالب عليها، وقد ذكر ابن هشام لهذا الحرف خمسة عشر وجهاً<sup>(١)</sup> واعتقد أن هذا هو سبب كثرة استعمالها عند التوحيدي، فتعدد أوجه الاستخدام جعلت الحرف أكثر دوراً في الاستعمال، والتوحيدي لم يقتصر على معنى الحرف الأساسي، وهو الابتداء لغاية، وإنما تعداه إلى معانٍ أخرى ومن نماذج استخدام الحرف في معناه الأساسي قوله: "هذا قديتك نبأ غريب استنبط من الغيب المكنون"<sup>(٢)</sup>. ونحو قوله "واستخرجتُ حالك من هذا الديوان"<sup>(٣)</sup> كما استخدم التوحيدي (من) لتفيد التبعيض نحو قوله: "فسبحان من يرى منافع ما جهل من سره في غرض ما عرف من علانيته"<sup>(٤)</sup> (فمن) هنا أفادت التبعيض أي بعضاً من السر وبعضاً من العلانية واستخدم التوحيدي من لتفيد معنى المجاوزة نحو قوله: "إنك بعيد من التوفيق والعناية"<sup>(٥)</sup> والمقصود عن التوفيق والعناية، كما استخدم التوحيدي (من) لبيان الجنس نحو قوله: "خوفاً من فراقه"<sup>(٦)</sup>.

إذن لم يقتصر التوحيدي على المعنى الأساسي لحرف الجر (من) وهو الابتداء لغاية وإنما نوع في استخدامه لهذا الحرف وعدد فوائده في الجملة مما جعل الحرف يحظى بنسبة تكرار كبيرة في النص.

١- الأوجه التي ذكرها ابن هشام هي: ابتداء الغاية وقال هو الغالب عليها، والتبعيض وبيان الجنس، والتعليل والبذل ومرادفة عن المجاوزة ومرادفة الباء ومرادفة في موافقة عند ومرادفة ربما ومرادفة على والفصل والغاية والتوكيد. المعنى من ٣٤١ وما بعدها.  
٢- الإشارات الإلهية، ص ٦.  
٣- المصدر السابق، ص ٣.  
٤- الإشارات الإلهية، ص ٧.  
٥- المصدر السابق، ص ٢.  
٦- المصدر السابق، ص ٧٦.

ثالث أكثر الحروف استعمالاً بعد حرفي الجر (الباء) و (من) هو حرف الجر (في) وكما توسع العرب في الحرفين السابقين توسعوا أيضاً في حرف الظرفية (في) توسعاً كبيراً "أكسبه مرونة هائلة حتى أصبح أداة طيعة للتعبير عن العديد من المعاني المخبوءة في النفس" (١) وقد ذكر ابن هشام (٢) أن (في) حرف جر له عشرة معانٍ أحدها الظرفية وهي إما مكانية أو زمانية. وأعتقد أن قلة المعاني التي يؤديها هذا الحرف بالنسبة للحرفين السابقين له هي التي جعلت الحرف يأتي في ترتيب تالٍ لهما من حيث عدد مرات الوجود في النص. وقد استعمل التوحيدى هذا الحرف ليدل على معنى الظرفية نحو قوله: "ثم أين أنتَ عما وراء ذلك مما لا يبدو إلا بإذن الحق الذي أخفى الخوافي في البوادي، وأبدى البوادي في الخوافي" (٣) ونحو قوله: "فليس في كل حين تحالٍ عن الماء والطين، ولا في كل زمان تخصُّ بالأمان، ولا في كل بقعة تؤهل للرفعة، ولا في كل وقت ثناغى، بلحنٌ مُطرب" (٤).

حيث استخدم التوحيدى (في) لتدل على الظرفية المكانية أو الزمانية، ولكنه لم يقتصر على ذلك بل نوع في استخدامه لهذا الحرف أيضاً مستغلاً المعاني التي يمكن أن يؤديها هذا الحرف فقد استخدمه ليدل على المصاحبة نحو قوله: "وكل العيش في الصفاء" (٥).

والمعنى أن كل العيش مع الصفاء كما استخدم التوحيدى هذا الحرف ليدل على التبعية فيكون بمعنى (من) نحو قوله: "إذا تابع لك المزيد في النعمة" (٦) والمقصود من

١- من أسرار حرف الجر، ص ١٢٦.  
٢- معنى اللبيب، ص ١٩١. معاني حرف الجر في التي ذكرها ابن هشام هي: الظرفية، المصاحبة، التعليل، الاستعلاء مرادفة الباء، مرادفة إلى، مرادفة من، المقابلة، التعويض، التوكيد.  
٣- الإشارات الإلهية، ص ٦.  
٤- الإشارات الإلهية، ص ٩. ناغى المثل أي لآعبه ولاحقه.  
٥- المصدر السابق، ص ١٩٠.  
٦- المصدر السابق، ص ٢.

النعمة ثم يأتي بعد ذلك في الترتيب حرف اللام. وهو من الحروف ذات المعاني الكثيرة وأظهر هذا المعاني الاستحقاق<sup>(١)</sup>.

وقد استخدمه التوحيدي في هذا المعنى نحو قوله: "الجرأة موجبة للمقت"<sup>(٢)</sup> فاللام أفادت معنى الاستحقاق أي استحقاق المقت لمن يتجرأ ومن ذلك أيضاً قوله "السخط جالبٌ للبعد"<sup>(٣)</sup> كما استخدم التوحيدي هذا الحرف في معانٍ أخرى كالتعليل نحو قوله: "واستخلصنا لخدمتك، وأهلّنا لمؤاسيتك"<sup>(٤)</sup> كما استخدم التوحيدي هذا الحرف ليدل على الاختصاص نحو قوله: "كُن لنا"<sup>(٥)</sup> وقوله: "أجرّد لك اللفظ"<sup>(٦)</sup> وقوله "الحاسدين لنا على ما انطلقنا به من آثار نعمتك وغرائب حكمتك"<sup>(٧)</sup> كما استخدم التوحيدي اللام بمعنى الاستعلاء نحو قوله: "واقطف من شاربها ما تدلي لك"<sup>(٨)</sup> أي عليك ومن الحروف التي عني بها التوحيدي واستخدمها أداة من أدوات الربط والتعليق في الجملة (على) ويطلق عليه حرف الاستعلاء<sup>(٩)</sup>.

والاستعلاء قد يكون مادياً، أو معنوياً كما يخرج هذا الحرف لمعانٍ أخرى غير الاستعلاء، كالظرفية، والمصاحبة والمجاورة، وقد استخدم التوحيدي (على) بمعنى

١- ذكر ابن هشام ثلثين وعشرين معنى للام الجور في صدرها الاستحقاق ثم الاختصاص والملك... إلخ المعنى من ٢٢٢.

٢- الإشارات الإلهية، ص ٦.

٣- المصدر السابق، ص ٦.

٤- المصدر السابق، ص ١٩٠.

٥- المصدر السابق، ص ١.

٦- المصدر السابق، ص ١٨٩.

٧- الإشارات الإلهية، ص ١٩٠.

٨- المصدر السابق، ص ٨٠.

٩- ورد ابن هشام تسعة معانٍ لـ (على): الاستعلاء، المصاحبة، والمجاورة، التعليل، الظرفية، موافقة من، موافقة الياء، وأن تكون زائدة وأن تكون للاستعلاء.

الاستعلاء نحو قوله: "وقارة أسلط الخوف عليك"<sup>(١)</sup>، وقوله: "وأسيخ علينا نعمتك بما وهبت لنا من توحيدك"<sup>(٢)</sup>.

وهذا من الاستعلاء المعنوي فالخوف وكل النعم استعلاؤهما شيء معنوي واستخدم التوحيدي (على) للدلالة على الاستعلاء المادي نحو قوله: "وعين لا تتفرق بيني وبالذم على الخد"<sup>(٣)</sup> ولم يقتصر استخدام التوحيدي لحرف الجر (على) على معنى الاستعلاء بل استخدمه في معان أخرى كالتعليل وذلك نحو قوله: "والندم على ما يفوتك منهم"<sup>(٤)</sup> واستخدم التوحيدي (على) لبذل على المصاحبة نحو قوله: "ولا بد لك على كل حال" أي مع كل حال.

ومن حروف الجر التي استخدمها التوحيدي (إلى) ومعناه: الانتهاء لغاية معينة إما زمانية وإما مكانية<sup>(٥)</sup> وقد استخدمه التوحيدي للدلالة على هذا المعنى نحو قوله "قدما صافية من غيرك إلى بابك" ويقصد القلوب<sup>(٦)</sup> ونحو قوله: "فلا تسكن إلى أحد"<sup>(٧)</sup> وهذا على سبيل الانتهاء لغاية مكانية أما الانتهاء لغاية زمانية فنحو قوله: "إلى متى تنافس أهل الدنيا في الدعوى"<sup>(٨)</sup> ولم يقتصر استخدام التوحيدي لـ (إلى) على معنى الانتهاء لغاية زمانية أو لغاية مكانية

١- الإشارات الإلهية، ص ١٨٩.  
٢- المصدر السابق، ص ١.  
٣- المصدر السابق، ص ٤١.  
٤- المصدر السابق، ص ٤٢.  
٥- ذكر ابن هشام ثمانية معان لحرف الجر إلى وهي: الانتهاء، والمعية، والتبيين ومرادفة اللام وموافقة في الابتداء وموافقة عند التوكيد. المعنى، ص ٨٨.  
٦- الإشارات الإلهية، ص ١٥١.  
٧- المصدر السابق، ص ١٦٩.  
٨- المصدر السابق، ص ١٦٦.



ولكن استغل المعانى التى يمكن أن يؤديها هذا الحرف نحو قوله: "فإنك إن وكلتنا إلينا عجزنا"<sup>(١)</sup> حيث استخدم (إلى) بمعنى (اللام) التى تفيد الاختصاص والاستحقاق وذلك نحو قوله أيضاً: "اللهم إنا نسألك عصمة بها نصل إليك"<sup>(٢)</sup>.

أى نصل لك، كما استخدم التوحيدى (إلى) بمعنى الاستعلاء نحو قوله: "وإلى تلك المعارج يعرجون وينقلبون"<sup>(٣)</sup> أى على تلك المعارج.

وأخر حُرُوف الجر التى تتناولها هو "عن" ويسمى حرف المجاوزة، والمجاوزة أبرز معانى هذا الحرف ولم يذكر البصريون غيرها من المعانى لهذا الحرف، وقد ذكر ابن هشام الأنصارى عشرة معانٍ أخرى غير المجاوزة لهذا الحرف<sup>(٤)</sup>.

والمجاوزة تنقسم عنده إلى نوعين: مجاوزة حقيقة نحو قوله: "أصرف غنًا كل صارف عن بابك"<sup>(٥)</sup>، ومجاوزة مجازية نحو قوله: "فأنف عن رجائنا حوائم اليأس وأصرف عن حاضرنا وغائبنا خوالب الوسواس"<sup>(٦)</sup>. ولم يقتصر استعمال التوحيدى لمن على المجاوزة بل توسع واستخدم هذا الحرف فى معانٍ أخرى مثل مرادفة الباء كما فى قوله: "ولمعا فى نجابة تنطق عنك".

من خلال الإحصاء السابق لحروف الجر اتضح لنا أن هذه الحروف وردت بكثافة عالية فى نص "الإشارات الإلهية" وأن هذه الحروف التى اتفقت فى العمل اختلفت فى المعنى؛ فمعانى هذه الحروف تتداخل فيما بينها ويتوب فى كثير من الأحوال بعضها عن

١- المصدر السابق، ص ٢٤٥.

٢- المصدر السابق، ص ٢٥٠.

٣- المصدر السابق، ص ٢٥٥.

٤- هذه المعانى هى المجاوزة، والنبذ، والاستعلاء، والتعالي، و مرادفة بعد، والطرفية، ومرادفة من، ومرادفة الباء

والباء، والاستعانة، وأن تكون زائدة للتعويض. المعنى، ص ٦٦٨.

٥- الإشارات الإلهية، ص ١٨٧.

٦- المصدر السابق، ص ٢٣٦. الخالب هو الخادع والقائن والجمع خوالب الحوائم مفردا حاتم من حام بمعنى دار.

بعض، وقد نوع التوحيدى فى استخدامه لهذه الحروف وطبق مفهوم إنابة هذه الحروف بعضها عن بعض، وقد أحدثت كثافة هذه العناصر فى النص وتنوع دلالاتها شاسعاً وتربطاً كبيراً مما جعل هذه الحروف فى رأى من أقوى عناصر الربط فى هذا النص.

الربط بحروف العطف:

حروف العطف من الأدوات التى تؤدى دور الترابط، والتماسك بين أجزاء النص والربط بهذه الحروف قرينة لأمن اللبس فى فهم الانفصال أو اللبس فى فهم الارتباط "والربط بالعطف كشأن الربط فى كل أحواله توسط بين كمالين: كمال الارتباط وكمال الانفصال، ويعنى هذا أن الربط بالعطف يُعد قرينة على انعدام الارتباط، وانعدام الانفصال بين المتعاطفين، فدلالته على انعدام الارتباط ناشئة من أدائه معنى المغايرة ودلالته على انعدام الانفصال ناشئة من العلاقات السياقية التى ينشئها كل حرف حسب معناه الوظيفى".<sup>(١)</sup> وحروف العطف على قسمين:

أحدها: "ما يُشترك المعطوف مع المعطوف عليه مطلقاً: أى لفظاً وحكماً".<sup>(٢)</sup> وهى

حروف: الواو، وثم، والفاء، وحتى، وأم، وأو.

والثانى: "ما يُشترك لفظاً فقط".<sup>(٣)</sup> وهى حروف: بل، ولا، ولكن.

وكل حرف من حروف العطف له معنى يختص به كالتشريك، أو الترتيب أو التعقيب، أو التراخى، أو التسوية، أو الاستدراك، أو الإضراب ولكن هذا، لا يحول بين الحروف الأخرى وبين الدلالة على هذا المعنى".<sup>(٤)</sup> وتقوم حروف العطف بتأدية تلك المعانى

١- نظام الارتباط والربط فى تركيب الجملة العربية، ص ٢٠٠.

٢- شرح ابن عقيل على الفية ابن مالك، ج ٣ ص ٢٢٥.

٣- المرجع السابق، ج ٣ ص ٢٥٥.

٤- البيان فى روائع القرآن، د/ تمام حسنة، ج ١ ص ١٥٧.

في النص إلى جانب تحقيقها لعملية الترابط والتلاحم النصي فهي "تربط بين المتعاملين اسميين كانوا، أو فعلين، أو جملتين"<sup>(١)</sup>.

وقد أجريت إحصاء على الرسالة الحادية والعشرين من كتاب "الإشارات الإلهية" لمعرفة الخصوصية التي يتعامل بها التوحيدي مع حروف العطف فوجدت أنه استخدم من حروف العطف "الواو" في مائتين وسبعة وستين موضعاً واستخدم حرف العطف "لا" في ستة مواضع، واستخدم حرف العطف "أو" في موضع واحد في الرسالة. إن استخدام التوحيدي لحرف العطف "الواو" في هذه الرسالة وفي أغلب رسائل الكتاب بإلحاح كبير شيء لافت للنظر.

والواو هي رأس باب العطف ومعناها مطلق الجمع فهي "لا تقتضي ترتيباً، ولا عكسه، ولا معية"<sup>(٢)</sup> فهي تعطف الشيء على سابقه، وعلى لاحقه، وعلى مصاحبه، وتنفرد الواو عن سائر أحرف العطف بخمسة عشر حكماً<sup>(٣)</sup> فالواو تعطف المفردات، وتعطف الجمل، وتعطف المتوافقات وتعطف المتخالفات لهذا هي رأس الباب كما أن الواو حرف يستخدم بكثرة حيث يكون شرح وتفصيل وسرد أحكام متعددة<sup>(٤)</sup> استطيع القول: إن أبا حيان التوحيدي في إلحاحه الكبير على استخدام هذا الحرف في إحداث الترابط والتماسك في النص كان مدركاً للطاقات والإمكانات الكامنة في هذا الحرف وعمل على توظيفها في جوانب النص.

١- ظاهرة الربط عند أبي حيان الأندلسي، ص ١٦٠.

٢- شرح شذور الذهب، ص ٤٥١.

٣- ذكر ذلك ابن هشام في المغني، ص ٤٠٩ وهذه الأحكام هي: إقادة الجمع المطلق، وإقترانها بإسماً، ولا، ولكن وعطف المفرد السببي على الأجنبي، عطف العدد على التثنية، وعطف الصفات المفرقة مع اجتماع منوعاتها، عطف ما حقه التثنية أو الجمع، عطف ما لا يستغنى عنه، عطف العام على الخاص والخاص على العام، عطف عامل حذف وبقي معموله عطف الشيء وعلى مرادفه، عطف المقدم على متوابعه، عطف المخفوض على الجوار.

٤- قرينة الربط في القرآن الكريم، ص ١٦٤.

استخدم التوحيدي الواو في عطف المفردات بعضها على بعض نحو قوله: "يا هذا! قد سمعت فنوناً من القول في المعرفة والتوحيد، والتوكل والزهد، والعبادة والوحدة، والشكر والصبر، والوسوسة والخطرة، والدعاء والمناجاة، والتفويض والتقويض، والرضا والسخط والورع والتقوى".<sup>(١)</sup>

لقد كرر أبو حيان التوحيدي (الواو) في هذا الجزء من النص ثلاثة وأربعين مرة متتابعة لإفادة معنى المشاركة، وذلك لأن التوحيدي يقوم بالشرح والتفصيل والتوضيح فأعانه حرف الواو في توصيل هذا المعنى.

وقد استخدم التوحيدي حرف الواو في عطف الجمل على بعضها نحو عطف الجمل الاسمية بعضها على بعض في قوله: "ثَقَّ بَانَ الْعَمَلِ مَحْفُوظٌ وَالْعِلْمُ مِنْ دُونِهِ مَلْفُوظٌ وَالْحِسَابُ دَقِيقٌ وَالْجَزَاءُ مَرْصُودٌ، والغاية مع بعدها قريبة، والرقيب عتيد، والاهتمام شديد والخبر صحيح، والوعد صريح، والوعيد فصيح، والرحيل جد والظن مكذوب".<sup>(٢)</sup>

استغل التوحيدي أيضاً الواو في سياق الشرح والتفصيل كما عطف التوحيدي الجمل الفعلية بعضها على بعض باستخدام "الواو" نحو قوله: "أَتَاكَ اللَّهُ لَكَ مِنْ غَيْبِهِ مَا لَا يَحِلُّ بِهِ أَمْلَكَ، وَصَرَفَ عَنْكَ كُلَّ مَا يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَكَ، ولذلك بخطابه إذا ناجاك. ومتعك بنعمته إذا خضك".<sup>(٣)</sup> كما عطف أبو حيان المترادفات بعضها على بعض بالواو نحو قوله "وما أطوَحَكَ فِي غَيْكَ وَغَدَوَانِكَ".<sup>(٤)</sup>

١- الإشارات الإلهية، ص ٢١٨، الخطرة ما يخطر في القلب والتقويض من قرض الله له الشيء أي قدره له.  
٢- الإشارات الإلهية، ص ٢٨١.  
٣- المصدر السابق، ص ٢٢٧.  
٤- المصدر السابق، ص ٤١، طاح بمعنى هلك.

فألقى والعدوان مترادفان وكذلك في قوله: "الغش والمكيدة"<sup>(١)</sup>، "الخنزى والهوان"<sup>(٢)</sup>.

وكما يعطف أبو حيان التوحيدي الجمل الخبرية بالواو يعطف كذلك الجمل الإنشائية نحو قوله: "اللهم كن عند ظننا بك، وامع لنا فُرطاتنا معك، وإذا أنطلقتنا فإلهمنا النجوى، وإذا اسكتنا فاملأنا بالتقوى، وإذا استعملتنا فارزقنا البُقيَا"<sup>(٣)</sup>. وفي الجمل السابقة بالإضافة إلى معنى الجمع الذي يفيد حرف العطف الواو فهناك أيضاً إفادة الترتيب فالأول أن يكون الله سبحانه وتعالى عند ظن عبده به ثم يحو عنه رآته.

ويعطف التوحيدي بالواو المتضادات نحو قوله: "فيا ويح من هذا ذكره، وعلى هذا ظاهره وياملنه، وإلى هذا الكنف عوده ويدؤه"<sup>(٤)</sup>.

ويمكن القول: إن أبا حيان التوحيدي استخدم (الواو) أداة للعطف ونوع في استخدامها حيث عطف بها المفردات وعطف بها الجمل، عطف بها الخبر وعطف بها الإنشاء، عطف بها بين المترادفات والمتخالفات لقد استغل التوحيدي قدرات هذا الحرف الذي يعد رأس الباب في تحقيق الترابط والتعليق والانسجام النصي. في "الإشارات الإلهية"، وكان استخدام التوحيدي لحروف العطف الأخرى قليلاً إن لم يكن محدوداً لكنه لم يهملها. فلهذه الحروف معانٍ متنوعة تمكن التوحيدي من توظيفها عبر النص كما وظف إمكانات حرف (الواو). من ذلك استخدامه ثم التي تفيد الترتيب والتراخي نحو قوله "وأنت محتاجٌ إلى أن تألف في الأول بطول السماع ثم تتصعد من ذلك إلى الإشارات

١- المصدر السابق، ص ٤١.

٢- المصدر السابق، ص ٤١.

٣- المصدر السابق، ص ٢٢٠.

٤- الإشارات الإلهية، ص ٧٧. الكنف هو جانب الشيء.

الإلهية ببسط الذراع<sup>(١)</sup>. ونحو قوله: "يا هذا، ارجع إلى لغات المطالبية بالشكر على إبراز جملة محشوة بالحياة، ثم انظر إلى حيرة العقل في سر هذه الحياة، ثم اعجب مما صحب الكون في مادة الحياة"<sup>(٢)</sup> لقد وفق التوحيدي في رأيي في استعماله لـ "ثم" في هذا الموضع فعملية التأمل والتفكير والتدبر تحتاج إلى تروى ونهمل وهذا ما يؤديه حرف العطف "ثم".

واستخدم التوحيدي حرف العطف "أو" في نحو قوله: "وإياك أن تحيد عن حدك صاعداً أو تازل"<sup>(٣)</sup> وأو هنا لا تفيد التخيير ولكنها تفيد المساواة في حال الصعود وحال النزول بالتزام الجد.

واستخدم التوحيدي "لا" حرفاً من حروف العطف نحو قوله: "واستيقن أنك مرعى لا مهمل، ومطلوب لا متروك، ومحفوظ لا مضاع، ومربوط لا مندى"<sup>(٤)</sup>. و(لا) حرف عطف يفيد النفي، ومخالفة ما بعدها لما قبلها في الحكم، وقد عطف به التوحيدي بين متضادين مثل المرعى والمهمل، المطلوب والمتروك، المحفوظ والمضاع، وهذا في رأيي يدل على براعة التوحيدي وتمكنه من ألفاظه فهو يريد أن يعمق هوة الخلاف ومسافة التضاد بين الكلمات ليبرز المعنى.

واستخدم التوحيدي من حروف العطف (أم) نحو قوله: "كيف أنفك<sup>٢</sup> من وُجدي بمن أو جدنى وُجدى بوجدى؟ أم كيف أعرب عن قصدى، وقد وشحنى بقصدى في

١- المصدر السابق، ص ٢١٥.

٢- المصدر السابق، ص ٢٢٤.

٣- المصدر السابق، ص ١٤٧.

٤- الإشارات الإلهية، ص ١٤٠. السدى: هي المهملة من الإبل.

قصدي؟ أم كيف أنل بجهدى، وقد أمدنى فى جُهدى بجهدى؟، أم كيف أتُنجز وعدى فى وعدى، وقد وعدنى بخُلف وعدى؟ أم كيف أهدأ فى صدرى وقد أفناني لما أفنى وردي؟<sup>(١)</sup>  
 "وأم" حرف عطف تكون إمّا منقطعة وإمّا متصلة. وهنا (أم) منقطعة بمعنى بل للإضراب عن أمر ما والشروع فى آخر وهو هنا متضمنة معنى الاستفهام. "والتوحيدي فى استخدامه لها يريد أن يعبر عن مدى الحيرة والإنكار فى نفسه فهو يسأل عن شيء مستكراً ثم ينتقل منه لأمر آخر وهكذا ليعبر عن مدى الحيرة داخله.

إذن يمكننا القول إن عناية التوحيدي "بالواو" ترجع إلى الإمكانيات التى تتوافر فى هذا الحرف لذلك اهتم به التوحيدي اهتماماً كبيراً ونوعاً فى استخدامه له بما يتفق ومكانته بين حروف العطف وعلى الرغم من هذا لم يهمل التوحيدي بقية حروف العطف بل استخدمها فى مواضعها التى تتفق مع المعاني التى تؤيد بها مبحثاً بذلك ترابطاً واضحاً بين أجزاء النص، ومعيراً عن خبرة التوحيدي بمواقع الألفاظ ومعانيها.

#### الربط بأحوالهم الفخرية

الشرط أسلوب لغوى يقوم على ركنين أساسيين: الركن الأول هو فعل الشرط والركن الثانى هو جواب الشرط، ويربط بينهما أداة هى أداة الشرط. فهى تدخل على جملتين فتجعل إحداها مرتبطة بالأخرى ومتعلقة بها، وأساس علاقة الربط هذه قيامها على معنى الاستلزام، وهذا ما عَبر عنه أحد الباحثين بقوله: "إن كل هذه الأدوات تعمل عملاً نحوياً (تعليق الجواب بالجزاء) وعملاً وظيفياً (توليد معنى جديد) خارج عن معنى

١ - المصدر السابق، ص ٢٢٥.

الشرط<sup>(١)</sup> حيث إن جواب الشرط مرتبط بفعل الشرط ارتباطاً تركيبياً وارتباطاً وظيفياً دلالياً في الوقت نفسه وذلك بفعل أداة الشرط.

وفي الشرط إيجاز، وتحويل؛ فالجملة قبل دخول الأداة عليها كان لها معنى مستقل، ولها فائدة تامة ثم تحولت هذه الجملة بعد دخول أداة الشرط عليها إلى جملة ناقصة، وتحول المعنى المفيد إلى معنى لا فائدة منه فاحتاج إلى جواب، وقامت أداة الشرط بالربط بين الجملتين فصارتا جملة واحدة، وذلك لأن شرط الجملة أن تكون مستقلة بنفسها. وهاتان الجملتان لا تستغني إحداهما عن الأخرى، وكل جملة منهما بمنزلة كلمة مفردة في جملة بسيطة مكونة من ركنين.

وتقوم أداة الشرط بدورها في الإيجاز، والتحويل، والتعليق سواء أكانت جازمة أم غير جازمة.

وقد قسم ابن هشام أدوات الشرط الجازمة إلى ستة أقسام<sup>(٢)</sup>.

**القسم الأول:** "للدلالة على مجرد تعليق الجواب على الشرط وهو "إن"، "إذ ما"<sup>(٣)</sup>

**والثاني** ما وضع للدلالة على ما يعقل ثم ضُمّن معنى الشرط وهو "من"<sup>(٤)</sup> **والثالث** ما

وضع للدلالة على ما لا يعقل ثم ضمن معنى الشرط، وهو "ما" و"مهما"<sup>(٥)</sup> **والرابع:** "ما

وضع للدلالة على الزمان ثم ضمن معنى الشرط وهو "متى"، "أَيَّان"<sup>(٦)</sup> **والخامس:** "ما

وضع للدلالة على المكان ثم ضمن معنى الشرط، وهو ثلاثة "أين"، "أنتى" "حيثما"<sup>(٧)</sup>

١- جملة الشرط عند النحاة والأسويين العرب في ضوء نظرية النحو العالمي لتشومسكي، د/ مازن الوعر، القاهرة لونجمان، ١٩٩٩م، ص ١٤.

٢- شرح شذور الذهب، ص ٣٥١.

٣- المرجع السابق، ص ٣٥١. وهما حرفان أما إن فبالإجماع، وأما إذ ما فعند سيويه والجمهور وذهب المبرد وابن السراج والفارسي إلى أنها اسم.

٤- المرجع السابق، ص ٣٥١.

٥- شرح شذور الذهب، ص ٣٥١.

٦- المرجع السابق، ص ٣٥٣.



"حيثما"<sup>(١)</sup> والسادس: "ما هو متردد بين الأقسام الأربعة وهي "أى" فإنها بحسب ما تضاف إليه<sup>(٢)</sup> ويقصد بالأقسام الأربعة الأدوات التي تدل على العاقل، وغير العاقل والزمان، والمكان، ثم ضمنت معنى الشرط.

وهناك أدوات شرط غير جازمة نحو: إذا، لو، لولا، كلما، لآ، كيف، أما... وتعتبر أدوات الشرط من أهم الأدوات التي تحدث التماسك، والترابط النصي وتقوم بدور التعليق والتحويل بين الجمل، وقد اعتمد عليها أبو حيان التوحيدي في كتابه "الإشارات الإلهية"، واستخدمها بكثرة، وجاء استعماله لها متميزاً بعدة ميزات، وقد كان أكثر الأدوات استعمالاً عنده "إذا" وتلاها "إن"، ثم "من" ثم "لو" و"لولا". وسوف أتناول هذه الأدوات الشرطية، وكيفية استخدامها، وتوظيفها في إحداث الترابط النصي في "الإشارات الإلهية".

#### إذا الشرطية،

"وهي ظرف للمستقبل مُضمنة معنى الشرط، وتختص بالدخول على الجملة الفعلية عكس الفجائية"<sup>(٣)</sup> وتفيد إذا معنى المجازاة، ويكون الفعل بعدها ماضياً كثيراً ومضارعاً دون ذلك"<sup>(٤)</sup>.

وتحتل إذا مكانة الصدارة في الاستخدام بين أدوات الشرط عند أبي حيان التوحيدي حيث استخدمها في أنماط تركيبية متنوعة، ولأغراض مختلفة، وقد رصدت أبرز هذه الأنماط التركيبية التي استخدمها أبو حيان في "الإشارات الإلهية" فكانت كالتالي:

١- المرجع السابق، ص ٣٥٤.

٢- المرجع السابق، ص ٣٥٤.

٣- مغنى اللبيب، ص ١٠٨.

٤- المرجع السابق، ص ١٠٨.

١- إذا + فعل ماضى + فاعل + فعل ماضى  
نحو قول التوحيدى: "إذا دُعوت أجبت، وإذا شئيت أصبت، وإذا توفقت حققت، وإذا أومات اكتفيت، وإذا أشرت بلغت"<sup>(١)</sup>.

يخبر أبو حيان الإنسان أنه إذا ترك الرذائل، وتحلى بالفضائل نال الفحة السماوية، وصار عبداً كل دعواته مجابة، وكل أمانيه محققة، صار عبداً ربانياً، ويبدو معنى المجازة واضحاً في هذا النمط التركيبى حيث أفادت إذا التعليق والربط بين النعم التى حصل عليها العبد، وبين الطاعة والإخلاص وقد يحذف من التركيب السابق الفاعل بعد فعل الشرط نحو قول أبى حيان: "وأجعلنا ممن إذا قال صدق، وإذا عمل حقق، وإذا سلك طرق"<sup>(٢)</sup> ومعنى طرق أى جعل لنفسه طريقاً.

٢- إذا + فعل ماضى + فاعل + هم + فعل أمر  
نحو قول التوحيدى: "إذا سمعت فتعجب، وإذا تعجبت فتعجب بعد التعجب"<sup>(٣)</sup>.

وفى هذا النمط التركيبى اقترن جواب الشرط بالفاء ؛ لأن جملة الجواب جملة طلبية وهذا النمط نمط بسيط من أنماط الشرط وقد ورد كثيراً عند أبى حيان نحو قوله: "إذا عملشنا فرونا، وإذا ضغفنا فقوينا، وإذا أعوججنا فسوينا، وإذا أضحرنا فأوينا، وإذا كدرنا فصغنا"<sup>(٤)</sup>.

وهذا النمط التركيبى على الرغم من بساطته فهو مكتمل الأركان: الأداة، وفعل الشرط، وجواب الشرط، وفيه معنى الشرط من تعليق و مجازة، فتحقق جواب الشرط

١- الإشارات الإلهية، تحقيق د/ واد القاضى، ص ٩٦.

٢- المصدر السابق، ص ١٦.

٣- المصدر السابق، ص ٢٤.

٤- الإشارات الإلهية، ص ٦٥.

يتمطلب بالضرورة تحقق فعل الشرط فلا تكون ثروية إلا بعد العملش، ولا تكون قوة إلا بعد الضعف.

٣- إذا + فعل ماضي + فاعل + جار ومجرور + مفعول به + هم + فعل أمر  
نحو قول التوحيدى: "وإذا أنشدتُك بيتاً فاعلم أن إشارتى وراءه، وإذا رويتُ لك حكاية، فاعلم أن مغزى ثونها، وإذا أبرزت لك العين، فاعلم أن مرادى عرفانك بها، وإذا سرت عنك الغاية فاعلم أن قصدى استعدادك لها"<sup>(١)</sup>.

وفى هذا النمط التركيبى تميزت جملة فعل الشرط بالطول، وكذلك جملة الجواب ومن المعلوم أن زيادة المبنى تؤدي إلى زيادة فى المعنى ويبدو التعليق واضحاً بين الجواب وبين فعل الشرط.

فإشارات التوحيدى الخفية تكون عند إنشاده الأبيات، وكذلك مغزاه عند رواية الحكايات، ويكون قصده تعريفك الأشياء عندما يبرزها لك، فتبرز فى هذا النمط التركيبى علاقة السبب بالمسبب.

٤- إذا + فعل ماضي + لم + فعل مضارع  
نحو قول التوحيدى: "وتيقن بأن راعى هذا الحمى إذا سمن لم يهزل، وإذا روى لم يعطش، وإذا اكتسى لم يقر، وإذا استظل لم يضح"<sup>(٢)</sup>.

وسمن بمعنى كثر لحمه وهزل بمعنى صار ضعيفاً، وضحى أى أصابه حر الشمس وفى هذا النمط التركيبى يستخدم أبو حيان التوحيدى الفعل المضارع المنفى - وقليل ما يستخدمه منقباً - حيث ينفى التوحيدى أفعالاً فيها مشقة وتعب وعناء ومعنى نفياً وهى

١- المصدر السابق، ص ٢٩٤.  
٢- المصدر السابق، ص ١٢٢.

فى زمن المضارع والمستقبل تحقق النعيم، وذلك يكون فى جوار الله سبحانه وتعالى والتعليق المأخوذ من معنى الشرط واضح.

٥- إذا + فعل ماضى + فاعل + جار ومجرور + هم + قد + فعل ماضى + جار ومجرور  
نحو قول التوحيدى: "إذا أشربت إلى الكرم فقد أومأت إلى اللؤم، وإذا ذكرت الحلم فقد زهدت فى السفة"<sup>(١)</sup> وفى هذه البنية التركيبية جملة الشرط مكتملة الأركان، وأداة الشرط أحدثت التعليق بين الجمل.

٦- إذا + فعل ماضى + فاعل + مضاف إليه + فعل ماضى + فاعل + مضاف إليه  
نحو قول التوحيدى: "فإذا صلحت أخلاقك حسنت آدابك، وإذا حسنت آدابك شرفت هممك، وإذا شرفت هممك طابت مآربك"<sup>(٢)</sup>. لا يكتفى التوحيدى فى هذا النمط التركيبى بأداة الشرط لإحداث الربط والتعليق بين فعل الشرط وجوابه بل يقوى العلاقة بين جمل الشرط بالابتداء من مكان الانتهاء فى الجملة السابقة ويشعر هذا التلاحم الشديد بين جمل الشرط.

٧- إذا + فعل ماضى + فاعل + مفعول به + فعل ماضى + فاعل + مفعول به  
ونلك نحو قول أبى حبان التوحيدى: "وإذا وصفتكم وصفت وصفاً لا يحصى عديدة، وإذا صافحتكم صافحت طيفاً لا ينقضى نزوله"<sup>(٣)</sup>. وإذا كان فعل الشرط لازماً لا يتعدى لمفعول به جاء أبو حبان بحرف جر لتعديته نحو قول التوحيدى: "وإذا وجدت جداً ما لان شديده، وإذا همت بكم همت هيماناً ما تنهى ريده"<sup>(٤)</sup>.

١- الإشارات الإلهية، ص ٩٧.

٢- المصدر السابق، ص ١٦٨.

٣- المصدر السابق، ص ٢٦.

٤- الإشارات الإلهية، ص ٢٦.

٨- إحد + فعل ماضى + جار ومجرور + جار ومجرور + ضم + قد + فعل ماضى + جار ومجرور

نحو قول التوحيدى: "إذا توسط لك بنفسه فقد أغناك عن سواه"<sup>(١)</sup>. وفى هذا التركيب المكتمل الأركان جملة الجواب مقترنة بالفاء ويسبق الفعل الماضى قد لإفادة التأكيد وكثرة الجار والمجرور يمثل زيادة فى البناء ويؤدى لزيادة فى المعنى وقد يحذف التوحيدى جاراً مجزوراً فى هذا التركيب نحو قوله: "إذا سارك بغيبه، فقد صانك عن علانية غيره"<sup>(٢)</sup>.

٩- إحد + فعل ماضى + فاعل + مضاف إليه + مفعول به + مضاف إليه + ضم + لا + فعل مضارع + جار ومجرور.

نحو قول التوحيدى: "إذا شئت نفسك بقاء الأبد فلا تسكن إلى أحد"<sup>(٣)</sup>. وفى هذا التركيب اقترن الجواب بالفاء لوجود النهى فأحدثت زيادة فى التماسك والترابط فى جملة الشرط لقد استخدم أبو حيان التوحيدى أداة الشرط "إذا" التى تفيد المجازاة بكثرة فى كتابه "الإشارات الإلهية" ونوع فى الأنماط التركيبية التى وردت فيها، وكانت معظم هذه الجمل الشرطية تامة الأركان، وفعل الشرط فى كل التراكيب كان ماضياً أما الجواب فقد اختلفت أحواله، حيث كان مضارعاً فى بعض التراكيب وماضياً فى تراكيب أخرى. وكان جواب الشرط فعل أمر مرتبط بالفاء فى تراكيب أخرى. ولم تكن "إذا" وحدها التى تقوم بالربط فى جملة الشرط بل قامت الفاء أيضاً بدور كبير فى إحداث التماسك وإحكام الربط فى هذه الجمل.

١- المصدر السابق، ص ١٧٠.  
٢- المصدر السابق، ص ١٧٠.  
٣- المصدر السابق، ص ١٦٩.

"إذا" أداة شرط يكثر استعمالها في اللسان العربي ؛ فهي تقوم بدور الربط والتعليق، والمجازة، وهذا ما اثبتته دراسة أخرى لـ "رسالة الغفران" لأبي العلاء المعري حيث احتلت إذا فيها مركز الصدارة بين أدوات الشرط<sup>(١)</sup>.  
إن الشرطية:

"إن" ثانی أكثر أدوات الشرط استخداماً عند أبي حيان التوحيدي، وهي أم الباب للزومها معنى الشرط، وعدم خروجها عنه "وقد نقترب بلا النافية فيظن من لا معرفة له أنها إلا الاستثنائية"<sup>(٢)</sup>.  
نحو قوله تعالى:

﴿... وَلَا تَصْرَفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾<sup>(٣)</sup>.  
"إن" باعتبارها أداة من أدوات الشرط تؤدي وظيفة الربط والتعليق، وتقيم جسور التماسك النصي، وقد وردت في أنماط تركيبية متنوعة عند أبي حيان التوحيدي أبرزها:  
١- إن + فعل ماضي + فعل ماضي

نحو قوله: "وأخره مع هذا وبغيره شقاء: إن وصل هجر، وإن سأل رجع، وإن ادعى طولب، وإن استرسل غوتب"<sup>(٤)</sup>.

وفي هذا النمط التركيبي تبدو جملة الشرط في أبسط صورها فهي تتكون من فعل الشرط في زمن الماضي وفاعله محذوف، وجواب الشرط في زمن الماضي أيضاً، ولكنه مبنى للمجهول لإفادة العموم، ونائب الفاعل محذوف ويربط بين الفعل والجواب أداة الشرط

١- لغة أبي العلاء المعري في رسالة الغفران، ص ٤٨٦.

٢- معنى اللبيب، ج ١ ص ٢٩.

٣- سورة يوسف : من الآية ٣٣.

٤- الإشارات الإلهية، تحقيق د/ واد القاسبي، ص ٢٠٦.

ويتحدث أبو حيان في الفقرة عن المحروم الذي يلقى المتاعب في كل أعماله فكلما أقدم على فعل لاقى المشقة والتعب ويبدو التعليق بين فعل الشرط وجواب الشرط واضحاً.

٢- إن + فعل ماضى + فعل ماضى + جار ومجرور  
نحو قول التوحيدى: "إن نظر نظر من طرف خفي، وإن نطق نطق بلسان عبي  
وإن هم هم بقلب مستبى، وإن نهض نهض بكاهل ملوى، وإن جسر جسر بطباع غوى، وإن  
أوى أوى إلى ركن وهى"<sup>(١)</sup>.

وهذا التركيب الشرطى قريب من التركيب السابق، ولكنه يتميز بشيئين

الأول: جواب الشرط هو عينه فعل الشرط

الثانى: الجار والمجرور الذي يلي جواب الشرط وهو تعليق آخر، وزيادة في البنية أدت  
لزيادة في المعنى. يصف أبو حيان في الفقرة السابقة حاله وقد أقبل عليه  
العيد، بعد شهر رمضان وهو فى أسوأ حال، وهو يعبر عن آلامه، وما آل إليه  
حاله كعادته فى جمل قصيرة مسجوعة ونمط تركيبى متكرر

٣- إن + فعل ماضى + فاعل + مفعول + فعل ماضى + فاعل + مفعول به  
نحو قول التوحيدى: "وإن عصيتك عثيتنا"<sup>(٢)</sup>، ونحو قوله: "إن عصيتك  
أحرقتنا"<sup>(٣)</sup>.

وهو تركيب شرطى على الرغم من استيفائه جميع الأركان لكنه تركيب يتميز  
بالقصر للاعتماد على الضمائر التى تمثل كل الفاعلين وكل المفعولين فى الجمل السابقة  
وقد تكررت هذه البنية التركيبية كثيراً نحو قوله: "فما حيلة من إن أدتبتك أبليتك، وإن

١ - المصدر السابق، ص ٢٢٩.

٢ - الإشارات الإلهية، ص ١٨٧.

٣ - المصدر السابق، ص ١٨٧.

أخفيتها جَلْبَتِه، وإن غرَيْتَه حَلَيْتَه، وإن واريته أَرْيْتَه، وإن سَكَنْتَه هَجَّجْتَه...<sup>(١)</sup> وقد تكررت هذه البنية الشرطية بعد ذلك في إحدى وعشرين مرة وهذا ما يؤكد ميل التوحيدي إلى الجمل القصيرة التي يعتمد فيها على الضمائر. وتكون هذه الجمل متتابعة بنفس البناء التركيبي.

٤- إن + فعل ماضى + فاعل + جار ومجرور + فعل ماضى + فاعل + جار ومجرور  
وذلك نحو قول أبي حيان التوحيدي: "إن كَتَبْتُ عَنْهُ سِيقَ التَصْرِيحِ بِهِ، وَإِنْ صَرَّحْتُ بِهِ غَلَبَتِ الْكِنَايَةُ عَلَيْهِ"<sup>(٢)</sup>

يبدو اعتماد أبي حيان التوحيدي في هذا البناء التركيبي على حروف الجر المتصلة بالضمائر، وفي التعبير بالضمير إيجازاً وريثاً للسياق وذلك بالإضافة إلى الربط بالبناء الشرطي مما أكسب هذا التركيب ترابطاً كبيراً.

إذا نظرنا إلى الأنماط التركيبية لأساليب الشرط المتألفة لاحظنا أنها تتميز بالقصر واختصار الجمل أحياناً، والتعبير بالضمائر في أحيان أخرى، وهذه ميزة في التركيب الشرطي الذي أداته (إن) عند أبي حيان التوحيدي وهناك ميزة في تراكييب الشرط عند أبي حيان التوحيدي وهذه الميزة هي كثرة اقتران جملة الجواب بالفاء وهذا ما يزيد هذه التراكييب انسجاماً وتماسكاً.

٥- إن + فعل + فاعل + ضم + جملة اسمية  
نحو قول التوحيدي: "إِنْ قُلْتُ فَهُوَ مَصْحُوبٌ قَلْبِي، وَإِنْ أَمْسَكْتُ فَهُوَ سَاكِنٌ سِرِّي  
إِنْ قَنَحْتُ فَهُوَ الَّذِي يُورِي، وَإِنْ غَرَسْتُ فَهُوَ الَّذِي يُنْمِي، وَإِنْ سَكَتَ فَهُوَ الَّذِي يَعْبِدُ وَيُبْدِي"<sup>(٣)</sup>

١ - المصدر السابق، ص ٦٠

٢ - المصدر السابق، ص ٣٧

٣ - الإشارات الإلهية، ص ٢٩ يورى بمعنى يشعل من وري النار



ويتكرر هذا البناء التركيبى ثمانى مرات يعبر فيه التوحيدى عن فئائه فى الله وعن نعم الله عليه وأفضاله الكثيرة وفيه ارتبط جواب الشرط بالفاء لأن جملة جواب الشرط جملة اسمية.

٦- إن + فعل ماضى ناسخ + اسمه + خبره + ضم + أداة استفهام  
نحو قول التوحيدى: "إن كنت مُصاباً فأين الحزن؟ وإن كنت مستقيماً فأين الفرح والتمتع؟ وإن كنت حائراً، فأين الدليل والهادى؟" (١).

ويتكرر هذا البناء التركيبى فى الرسالة الحادية والأربعين ثلاثاً وعشرين مرة. وفى الرسالة الثالثة والأربعين، إحدى عشرة مرة، وهو ما يؤكد اعتقاده فى اعتماد أبى حيان التوحيدى على التكرار النمطى واستخدام الفاء لربط الجواب بالفعل. وفى هذا البناء التركيبى الذى يكثر فيه أبوحيان الاستفهام ما يعبر عن تعجبه من حال من يخاطبه.

٧- إن + فعل ماضى + مفعول به + ضم + إنفا + فعل مضارع + مفعول به  
نحو قول التوحيدى: "إن توعدتك فإنما يخوفك، وإن وعدك فإنما يشوقك، وإن عاتبك فإنما يشرفك" (٢).

استخدم التوحيدى فى هذا البناء التركيبى الضمير وحذف الفاعل للإيجاز واستخدم الفاء مع أداة الشرط لإحكام الربط والتماسك فى النص، وفيه يعبر عن وجوب رضا الإنسان عن كل أفعال الله سبحانه وتعالى ووجوب الطاعة والنظر فى حكمته سبحانه وتعالى من وراء هذه الأفعال.

١ - المصدر السابق، ص ٢٤٢.  
٢ - الإشارات الإلهية، ص ٩٢.

٨- إن + فعل ناسخ + اسم + خبره + ضم + أمر  
 نحو قول التوحيدى: "إن كنت تاكلأ فَنُحْ على ما أصبت به؛ وإن كنت مكروباً  
 ببالسر قُبِح فلعلك تشقى غليلك فيه، وإن كنت طالباً فَجِدْ فعساك تصل إلى بغيتك منه  
 وإن كنت واجداً فاحفظ"<sup>(١)</sup>.

وفى هذا البناء التركيبى لجملة الشرط تقتزن الغاء بالجواب الطلبى، ويتكرر البناء  
 التركيبى، فيحدث نوعاً من التعود عليه، ويحدث (إن) والغاء الترابط النصى.

٩- إن + فعل ماخى + مفعول به + فاعل + مضاف إليه + ضم + فعل أمر + جار  
 ومجرور + مضاف إليه.

نحو قول التوحيدى: "إن أَوْخَشَكَ خفاء الحكمة، فاستأنسْ بظهور القدرة، إن  
 أدهشك قضاء الألفية، فاستأنسْ إلى حد العبودية"<sup>(٢)</sup>.

نمط تكرارى للشرط فيه تقديم للمفعول على الفاعل والتوحيدى قليلاً ما يستخدم  
 هذا التقديم والتأخير.

١٠- إن + فعل ناسخ + اسم + خبره + ضم + قد + فعل ماخى  
 نحو قول التوحيدى: "إن كنت مُراداً فقد نُوديت، وإن كنت مُراداً فقد بُوديت  
 وإن كنت مُردداً فقد عوبيت..."<sup>(٣)</sup>.

يستخدم التوحيدى فى هذا النمط التركيبى الغاء فى جواب الشرط لأنه مبدوء  
 بقدر لإحداث التماسك والترابط النصى.

١ - المصدر السابق، ص ٣.  
 ٢ - المصدر السابق، ص ١١١.  
 ٣ - الإشارات الإلهية، ص ٣١٤.

11- إن + فعل ماضي + ضم + جار ومجرور  
 نحو قول التوحيدى: "إن قال فعنه وإن سكنت ففيه، وإن تحرك فله، وإن سكن فيه وإن اشتاق فإليه، وإن تهالك فعليه"<sup>(١)</sup>.  
 وهذه البنية التركيبية لا يذكر فيها التوحيدى فعل الجزاء فهى بنية ناقصة، وهذه البنية الناقصة لا يعتمد أبو حيان التوحيدى عليها غالباً، وفى رأى أن السبب فى حذف جواب الشرط هو: كون الفعل نفس فعل الشرط فى المعنى، والرغبة فى التخفيف والإيجاز والاهتمام بمن يقع عليه الفعل. وفى الفقرة السابقة يعبر التوحيدى عن صفات العارف الذى يبجله، ويهفو إليه بعد أن ذكر حبه للمريد.  
 لقد نوع أبو حيان التوحيدى فى بنية الشرط التى أداها (إن) وأهم ما يميز هذه البنية كثرة ارتباط الجواب بالفاء وذلك لأن جملة الجواب تقتضى ذلك فادى هنا إلى زيادة التماسك، والترابط فى جملة الشرط.  
 وكذلك تميزت بنية الشرط التى أداها (إن)، بظهور جملة الشرط الناقصة التى لم يذكر فيها جواب الشرط، وذلك للإيجاز، ولأن فعل الجزاء، هو فعل الشرط فى المعنى.  
 من الخطية:  
 وهى أداة من أدوات الشرط الجازمة التى وضعت للدلالة على من يعقل ثم ضمنت معنى الشرط فهى تفيد معنى المجازاة، وقد استخدمها أبو حيان باعتبارها أداة من أدوات الشرط بكثرة فى كتابه "الإشارات الإلهية" وقد عدد أبو حيان التوحيدى البنى التركيبية التى وردت فيها هذه الأداة ومن هذه البنى.

١- المصدر السابق، ص ٢١٦.

١- من + فعل ماضى + مفعول به + و + فعل ماضى + جار ومجرور + فعل ماضى + جار ومجرور + و + فعل ماضى + جار ومجرور + جار ومجرور  
وذلك نحو قول التوحيدى: "من ظن المحال وسكن إليه وقع فى الزبال ووقع عليه".<sup>(١)</sup>

وفى النمط التركيبى السابق يعطف أبو حيان التوحيدى على جملة فعل الشرط جملة أخرى، ويعطف على جملة جواب الشرط جملة أخرى أيضاً، ويستخدم فى هذا النمط حروف الجر لتعدية الفعل للمفعول به، ويستخدم الضمير لإحداث الترابط والتماسك النصى. وفى جملة الشرط السابقة يعبر أبو حيان عن الإنسان الذى يتبع هواه، ويظن بذلك أنه يبلغ مراده، ويخبره أن هذا محال لا يجب السكون إليه.

٢- من + فعل ماضى + مفعول به + اسم موصول + ظرف + مضاف إليه + ثم + قد + فعل ماضى + جار ومجرور + جار ومجرور  
نحو قول التوحيدى: "من قال كل ما عنده فقد بآء بغضب من الله".<sup>(٢)</sup>

وإذا كان فعل الشرط لازماً استخدم أبو حيان التوحيدى حرف الجر ليصل إلى المفعول به نحو قوله: "مَنْ سَكَتَ عَنْ كُلِّ مَا عِنْدَهُ فَقَدْ تَعَرَّضَ لَطَرْدِ اللَّهِ".<sup>(٣)</sup>

والتوحيدى يريد إخفاء أشياء لا يجب أن يعلمها العامة، ولا يجب أن يصرح هو بها، وفى رأيه لا بد من بعض الكلام وبعض السكوت.

١- الإشارات الإلهية، ص ٣٢.

٢- المصدر السابق، ص ١٧٥.

٣- المصدر السابق، ص ١٧٥.

٣- من + فعل ماضى + فاعل + مفعول به + مضاف إليه + ضم + لام الأمر + فعل مضارع + على + اسم موصول [جملة صلة].

نحو قول التوحيدى: "من استباح الجزع حمى قلبه فلنلتجئ إلى من مؤصوفه بعينه".<sup>(١)</sup>

يعتمد أبو حيان فى هذا التركيب على من الشرطية، والفاء لإقامة جسر الربط فى جملة الشرط كما يعتمد على زيادة المبنى فى بعض المواضع للإفادة.

٤- من + فعل ماضى + جار ومجرور + فاعل + مضاف إليه + جار ومجرور + مضاف إليه + ضم + لام الأمر + فعل مضارع + مفعول به + مضاف إليه.

نحو قول التوحيدى: "من انتفى عنه علم الغيب بقوايح الرّيب، فليستأنف أوائل التوحيد".<sup>(٢)</sup>

وقد يغير التوحيدى قليلاً فى جملة فعل الشرط فى هذا النمط التركيبى والملاحظ أن أبا حيان التوحيدى لا يكرر بنية الشرط التى تكون أدواتها "من" على عكس "إذا" و"إن" كما يستخدم الفاء كثيراً مع "من" لربط جملة الجزاء بجملة فعل الشرط.

واستخدم التوحيدى من أدوات الشرط أيضاً "لو" فى أشاط تركيبية مختلفة نحو قوله: "لو علمت ما قد نزل بك، وما صبّ على هامتك، وما أحاط بك من شقائق الملت الدنيا صراحاً على نفسك".<sup>(٣)</sup> ونحو قوله: "لو انكسرت لرجونا لك الانجبار ولو افتقرت لطمعنا لك فى اليسار ولو ضللت لتعينا لك فى الإرشاد".<sup>(٤)</sup>

١- الإشارات الإلهية، ص ٢٢٦.

٢- المصدر السابق، ص ٢٢٦.

٣- المصدر السابق، ص ٤١.

٤- الإشارات الإلهية، ص ١٥١.

ولو حُرِف امتناع فامتناع الانجبار لعدم الكسر وامتناع طلب اليسار لعدم الفقر. ومن أدوات الشرط التي استخدمها التوحيدي أيضاً "لولا" نحو قوله: "لولا منائحهُ قَبْلَكَ ما عرفته، ولولا أنك عرفته ما وصفته، ولولا أنك وصفته ما اشتقت إليه ولولا أنك اشتقت إليه ما تهالكت عليه".<sup>(١)</sup>

"لولا" تدخل على جملتين اسمية فعلية لربط امتناع الثانية بوجود الأولى<sup>(٢)</sup> فأبو حيان التوحيدي يربط بين امتناع وجود المعرفة وبين وجود المنائح، وكذلك امتناع وجود الوصف مع وجود المعرفة، وكذلك امتناع وجود الشوق مع وجود الوصف لله سبحانه وتعالى.....

ومن أدوات الشرط التي استخدمها التوحيدي أيضاً: "مهما" نحو قوله: "مهما فعلت بنا فلا تفضحنا على رؤوس الأشهاد".<sup>(٣)</sup>

"ومهما" أداة من أدوات الشرط تستعمل استعمال (ما)، وتكون لغير العاقل وقد اختلفوا في بساطتها وتركيبها، كما اختلفوا في اسميتها وحرفيتها<sup>(٤)</sup> وفي جملة الشرط السابقة ربطت مهما بين فعل الشرط وجواب الشرط وقوت الغاء هذا الربط لتحقيق التماسك في النص.

لقد اعتمد أبو حيان التوحيدي على أدوات الشرط لتحقيق الترابط والتماسك في النص، وتنوعت الأنماط التركيبية لكل أداة من أدوات الشرط وكان أكثر الأدوات استخداماً عنده هي "إذا" وتلتها "إن" ثم "من" ومن الأدوات التي استخدمها التوحيدي أيضاً "لو" و"لولا" و"مهما" ومما يميز استخدام التوحيدي لبنية الشرط كثرة الغاء

١ - المصدر السابق، ص ٦٣.

٢ - معنى اللبيب، ص ٣٠١.

٣ - الإشارات الإلهية، ص ٥٨.

٤ - معنى اللبيب، ص ٣٦٢.

الرابطة بين فعل الشرط وفعل الجزاء مما زاد من تلاحم النص وتماسكه، كما تميزت جملة الشرط عند التوحيدي بتكرار النمط التركيبي لها بطريقة متتالية زيادة في التفسير والتوضيح، وكثيراً ما كان فعل الجزاء هو فعل الشرط، وكثيراً ما يبدأ في جملة شرط مما انتهى إليه في جملة سابقة عليها.

وقد اعتمد التوحيدي على الضمائر في جملة الشرط سواء ضمائر الفاعلية أم المفعولية؛ لتحقيق الإيجاز وتوكيد الربط والتماسك النصي. ويمكن القول إن أدوات الشرط من الأدوات البارزة التي اعتمد عليها التوحيدي في (الإشارات الإلهية) لتحقيق التماسك النصي.

---

### الفصل الثالث

دراسة المستوى الدلالي في كتاب

"الإشارات الإلهية"





## المبحث الأول

### علم الدلالة مفهومه ونظرياته

#### مفهوم علم الدلالة:

علم الدلالة هو " تلك الفرع الذي يدرس الشروط الواجب توافرها في الرمز حتى يكون قادراً على حمل المعنى".<sup>(١)</sup> فهو العلم الذي يتناول المعنى بالشرح والتفسير، ويهتم بمسائل الدلالة وقضاياها.

يطلق عليه في الإنجليزية "semantics"، أما في العربية فيعصم يسميه علم الدلالة - وتضبط بفتح الدال وكسرهما - ويعصم يسميه علم المعنى... ويعصم يطلق عليه اسم " السيمانتيك " أخذاً من الكلمة الإنجليزية أو الفرنسية .<sup>(٢)</sup>

فعلم الدلالة يهتم بالرمز اللغوي المفرد، والرمز اللغوي المركب، كما أن علم الدلالة "يعنى بتتبع التغير الدلالي لهذه الرموز اللغوية بسرور الزمن ويصاحب ذلك عنايته بالأسباب المؤدية إلى هذا التغير كما يعنى بدراسة العلاقات الدلالية بين هذه الرموز"<sup>(٣)</sup>. وهناك علاقة وثيقة بين " علم الدلالة " وغيره من فروع اللغة حيث لا يمكن الفصل بينهما. فكما تستعين علوم اللغة الأخرى بالدلالة للقيام بتحليلاتها يحتاج علم الدلالة لأداء وظيفته - إلى الاستعانة بهذه العلوم

وإذا كان علماء اللغة يقسمون الدرس اللغوي إلى أربعة مستويات هي المستوى الصوتي، المستوى الصرفي، المستوى النحوي، والمستوى الدلالي. فإن هذه المستويات الأربعة

١- علم الدلالة، د/احمد مختار عمر، ط٤، القاهرة، عالم الكتب، ١٩٩٣م، ص ١١.

٢- المرجع السابق، ص ١١.

٣- علم الدلالة دراسة نظرية وتطبيقية، د/ فريد عوض حيدر، القاهرة، مكتبة الأديب، ٢٠٠٥م، ص ٦.

لا يتفصل بعضها عن بعض وإذا حدث هذا الفصل أثناء إجراء التحليل اللغوي لمستوى واحد أو أكثر فإن الباحث يستعين بمعطيات المستويات الأخرى.

وعلم الدلالة semantics يستخدم ما يبدو من الخصائص الصوتية والصرفية والتركيبية للخطاب أثناء عملية التحليل الدلالي للكشف عن الخصائص الدلالية للكلمة أو التركيب.

ويعد علم الدلالة أهم مستويات الدرس اللغوي الأربعة، فهو غاية كل هذه المستويات، فالهدف من اللغة " إيصال الرسائل اللغوية، بحيث يتم فهمها، وهذا الفهم هو الهدف من اللغة بصفة عامة، والمسئول عن الفهم هي الدلالة في المقام الأول، وما يسبقها من رموز صوتية أو صيغ صرفية، أو تراكيب نحوية هي خدم للدلالة، ووسائل للإعراب عنها وبيانها<sup>(١)</sup>.

وهذا ما يؤكد الدكتور محمود السعران الذي قال عن علم الدلالة: " هو غاية الدراسات الصوتية، والفونولوجية والنحوية، والقاموسية إنه قمة هذه الدراسات<sup>(٢)</sup>."

وإذا كنا لا نستطيع الفصل بين علم الدلالة وغيره من فروع اللغة فإن هناك صلة وثيقة بين علم الدلالة.

وعلم الرموز Semiotics فعلم الرموز " هو الدراسة العلمية للرموز اللغوية وغير اللغوية باعتبارها أدوات اتصال<sup>(٣)</sup>."

١ - علم الدلالة دراسة نظرية وتطبيقية، ص ١٦.  
٢ - علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، د/محمود السعران، ط ٢، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٩٢، ص ٢٦١.  
٣ - علم الدلالة، د/ أحمد مختار نصر، ص ١٤. من أمثلة الرموز غير اللغوية رؤية السحاب الكثيف الداكن في السماء يدل على قرب نزول المطر - الإشارات الجسمية - الزغاريد تدل على البهجة - التصفيق يدل على الإعجاب ومن الممكن أن يتأنيب كل حاسة من الحواس الإنسانية نظام من العلامات الاصطناعية ذات الدلالة وهي تكون سمعية إذا خلطت الآن - وبصرية إذا خلطت البصر - ولمسية إذا خلطت اليد ... إلخ.

فهو يهتم بجميع أنواع الرموز أو الدوال بما فيها الرموز اللغوية، أما علم الدلالة فهو يختص بدراسة الرموز اللغوية باعتبارها ذات أهمية خاصة بالنسبة للإنسان ومن ثم كان علم الرموز أعم من علم الدلالة، وكانت القوانين التي يكتشفها علم الرموز قابلة لأن تطبق على علم اللغة الذي يعتبر فرعاً من فروع علم الرموز.

وإذا كنا لا نستطيع الفصل بين علم الدلالة وعلوم اللغة الأخرى من صوت، وصرف ونحو، ومعجم، وإذا كانت علاقة علم الدلالة بعلم الرموز هي علاقة الجزء بالكل فإن علم الدلالة يرتبط بكثير من العلوم الأخرى كالفلسفة والمنطق فما يزال الفلاسفة حتى الآن يدرسون العلاقة بين اللغة والواقع.

كما يرتبط علم الدلالة بعلم النفس \* الذي عالج الجانب الذاتي للغة<sup>(١)</sup>، واختلاف الناس في إدراكهم للكلمات، وتحديد ملامحها الدلالية، كما اهتم علم الدلالة بمعرفة عادات الناس الاجتماعية، والاتصالات القائمة بينهم والوسائل المستخدمة في هذا المجال.

**العلاقة بين الرمز ومعناه، أو بين الدال والمدلول:**

تنقسم العلاقة بين الرموز ومعانيها إلى ثلاثة أنواع<sup>(٢)</sup>:

١- **النوع الأول:** العلاقة الطبيعية، كدلالة حمرة الوجه على الخجل، وتقلص المعدة على الجوع.

١- علم الدلالة، ص ١٦.

٢- علم الدلالة دراسة نظرية وتطبيقية، ص ٢٣.  
أشار الدكتور تمام حسان إلى نوعين آخرين من العلاقة بين الدال والمدلول أو بين الرمز ومعناه: الأولى علاقة توهم بين العرفية والطبيعية وهي الموجودة في سماع الشعر والغناء فالعلاقة العرفية لأن الشعر والغناء يعتمد على نصوص أدبية مركبة من كلمات ذات دلالة عرفية معجمية والعلاقة الطبيعية موجودة في الموسيقى والإيقاع الذي يعتمد على دلالة النغمة دلالة طبيعية والعلاقة الثانية التي أشار إليها الدكتور تمام حسان هي "النفسية المبهمة" ويمثل لها بالمصطلحات اللغوية فهي بين اللغويين علاقة عرفية وعند الجاهل علاقة نفسية مبهمة

٢- النوع الثاني: العلاقة الخلقية. كدلالة الدخان على وجود النار، ودلالة النبات على وجود الماء.

٣- النوع الثالث: العلاقة العرفية: بمعنى أن تكون العلاقة قائمة على تعارف الناس ووضعهم للمعاني بإزاء الألفاظ ويدخل الجانب الأكبر من رموز اللغة تحت هذا القسم.

وقد شغلت العلاقة بين الكلمة وما تدل عليه باعتبارها رمزاً للمفكرين واللغويين في كل زمان ومكان، واتخذت لنفسها أحياناً صورة القضايا الدينية أو الأدبية أو اللغوية. أنواع الدلالات اللغوية:

تتميز اللغة بأنها ظاهرة شديدة التعقيد ولابد من تكاتف الجهود والمناهج في تحليلها وقد قسمها العلماء إلى مستويات، وكل مستوى من مستوياتها له خصائصه العامة التي تفيد في فهم الدلالة اللغوية "وهم يعلمون يقيناً أن اللغة كيان واحد لا يمكن الفصل بين محتوياته فجميع العناصر اللغوية تتفاعل معاً وتتأزر في تحقيق مقاصد". لغوية، ولا يمكن استبعاد جانب دون جانب، لأن اللغة بناء يشد بعضه بعضاً، وتهاوى جانب منه يقوض أركانها<sup>(١)</sup>.

يتميز الرمز اللغوي عن غيره من الرموز بقابليته للتحليل، ذلك لأن له طبيعة سمعية في المستوى الصوتي، وطبيعة شكلية في المستوى الصرفي، وله سمات تركيبية يكشف عنها المستوى النحوي، وللرمز اللغوي سمات دلالية يكشف عنها المعجم، وكذلك فإن للرمز اللغوي جانباً سياقياً ودلالة اجتماعية يؤخذان في الاعتبار عند التحليل.

١ - التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، د/ محمود عكاشة، القاهرة، مكتبة النهضة، ٢٠٠٢م، ص ٩.

وهكذا تتنوع الدلالات بتنوع مستويات الدرس اللغوي<sup>١</sup> فإن الدلالة لها جانب صوتي يطلقون عليه الدلالة الصوتية، وجانب صرفي يطلق عليه الدلالة الصرفية، وجانب نحوي يطلق عليه الدلالة النحوية، وجانب معجمي يطلق عليه الدلالة المعجمية. وجانب سياقي يطلق عليه الدلالة السياقية<sup>(٢)</sup>.

#### ١- الدلالة الصوتية،

الدلالة الصوتية هي التي تتحقق من تأليف مجموع أصوات الكلمة المفردة وتسمى بالعناصر الصوتية الرئيسية التي يرمز لها بالحروف الأبجدية كما تتحقق من مجموع تأليف كلمات الجملة وطريقة أداؤها الصوتي، ومظاهر هذا الأداء، وتسمى بالعناصر الصوتية الثانوية<sup>(٣)</sup>.

فالدلالة الصوتية مستمدة من طبيعة الأصوات فإذا حدث حذف لصوت من كلمة أو زيادة لصوت أو تبديل أدى ذلك لاختلاف الدلالة.

ويعد ابن جني من رواد الدراسة الدلالية الصوتية حيث اكتشف وجود صلة بين الأصوات وما ترمز إليه وعقد لذلك باباً في كتابه "الخصائص" أطلق عليه اسم "باب في إمساس الألفاظ أشباه المعاني".

يقول ابن جني: "ومن ذلك قولهم: النضح للماء ونحوه، والنضح أقوى من النضح قال سبحانه وتعالى:

﴿ فِيهِمَا عَيْنَانِ كَضَاحَتَانِ ﴾<sup>(٤)</sup>.

١ - علم الدلالة دراسة نظرية وتطبيقية، ص ٢٩.

٢ - التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، ص ١٤.

٣ - سورة الرحمن : الآية ٦٦.

فجعلوا الحاء لرقعتها - للماء الضعيف، والحاء - لغلظها - لما هو أقوى منه. ومن ذلك القدّ طولاً والقطّ عرضاً وذلك لأن الماء أحصر للصوت وأسرع قطعاً له من الدال فجعلوا الماء المناجزة لقطع الغرض. لقربه وسرعته، والدال المماثلة لما طال من الأثر. وهو قطعه طولاً<sup>(١)</sup>.

ويقول ابن جنى ومن ذلك قولهم: "خَضَمَ وقَضَمَ فالخضم لأكل الرطب، كاليطبخ والقبّاء، وما كان نحوهما من المأكول الرطب. والقضم للصلب اليابس، قضمت الدابة شعيرها"<sup>(٢)</sup>.

يبرهن ابن جنى على علاقة الصوت بالدلالة ويقدم لذلك نماذج عديدة ليؤكد أنهم كثيراً ما يجعلون أصوات الحروف على سمت الأحداث المعبر بها عنها، فيعدلونها ويحتذونها عليها. ويقول: "إن ذلك أكثر ما نقدره، وأضعاف ما نستشعره"<sup>(٣)</sup>. وإذا كان الإبدال أو الإحلال الصوتي يؤدي إلى اختلاف الدلالة فإن الدلالة الصوتية تعتمد على نواح صوتية أخرى كالنبر والتنعيم.

### ٢- الدلالة الصرفية،

ويقصد بالدلالة الصرفية تلك الدلالة التي يعرب عنها معنى الكلمة، فهي دلالة مأخوذة من الأوزان والصيغ المجردة كأوزان الأفعال، والمصادر، والمشتقات، والتصغير والنسب. والمتكلم يتحكم في تصريف الكلمة الأصلية بالزيادة أو بالنقصان أو بنقل الزمان فمثلاً عندما تدخل الهمزة على الفعل الثلاثي فإنها قد تفيد التعدية نحو: "أخرج المعلم الطالب"، وقد تفيد السلب نحو "شكا إليه فأشكاه" أى سلبه شكواه وقد تفيد الهمزة دلالات

١ - الخصائص، ابن جنى، ت ٣٩٢ هـ، تحقيق محمد علي النجار، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٩م ج ١ ص ١٠٠.  
٢ - المرجع السابق، ص ١٥٩.  
٣ - المرجع السابق، ص ١٥٩.

أخرى في بداية الفعل الثلاثي ومن أمثلة التحكم في تصريف الكلمة زيادة الألف والسين والتاء في أول الفعل للدلالة على الطلب ومن أمثلة نقل الزمان كلمة "الضرب" التي تنصرف إلى وجوه مختلفة فالماضي "ضرب" والحاضر "يضرب" والمستقبل "سيضرب" والأمر "اضرب" ويمكن تقسيم الوحدات الصرفية ذات الدلالة إلى نوعين<sup>(١)</sup>:

#### ١- النوع الأول:

الأوزان الصرفية: مثل أوزان الأفعال، والمصادر، والمشتقات - وأوزان جمع التكسير والتصغير.

#### ٢- النوع الثاني:

الواصق وهي السوابق prefixes، واللواحق suffixes والدواخل infixes وهي التي تدخل في صلب أو بنية الكلمة لتحقيق معانٍ أو المشاركة في الدلالة. ومن أمثلة السوابق: حروف المضارعة، وهمزة التعدية، ومن أمثلة الدواخل الف التكسير وياء التصغير، والف فاعل، ومن أمثلة اللواحق: ياء النسب، وياء الإضافة، وتاء التانيث، وألف التثنية، وواو الجماعة.

وقد عقد ابن جني في الخصائص باباً تحدث فيه عما يلحق الكلمات من حروف وتأثير ذلك على المعنى<sup>(٢)</sup>.

#### ٣- الدلالة النحوية:

النحو والدلالة يتكاتفان معاً على بيان النص وتفسيره فقد أصبح الدرس الحديث يتجه إلى عدم التفرقة بين الجانب النحوي والجانب الدلالي.

١ - التماثل اللغوي في ضوء علم الدلالة، ص ٦١.  
٢ - الخصائص، ج ١ ص ٢١٦، باب في الرد على من ادعى على العرب عذبتها بالألفاظ وإغفلها المعاني.



\*فهناك تفاعل بين العناصر النحوية والعناصر الدلالية، فكما يمد العنصر النحوى العنصر الدلالى بالمعنى الأساسى فى الجملة الذى يساعده على تمييزه وتحديدده، يمد العنصر الدلالى العنصر النحوى كذلك ببعض الجوانب التى تساعد على تحديدده وتمييزه، فبين الجانبين أخذ وعطاء وتبادل تأثيرى مستمر<sup>(١)</sup>.

\*وهناك محاور ترتكز عليها الجملة التى تعد صحيحة نحوياً ودلالياً فى اللغة<sup>(٢)</sup>.

وهى:

وظائف نحوية بينها علاقات أساسية، ومفردات يتم الاختيار بينها لشغل هذه الوظائف النحوية، وعلاقات دلالية متفاعلة بين الوظائف النحوية والمفردات المختارة مع الأخذ فى الاعتبار السياق الذى ترد فيه الجمل

إن المعنى يُكتسب من ترتيب الكلمات وتآليفها بطريقة مخصوصة ومن ثم رأى بعض علماء اللغة المحدثين أن الجملة لا الكلمة هى أهم وحدات المعنى والدلالة التركيبية تنشأ من العلاقة بين وحدات التركيب، وتستمد من ترتيب هذه الوحدات على نحو يوافق القواعد وتنقسم هذه الدلالة إلى قسمين.

١ - دلالة نحوية عامة، وهى المعانى النحوية العامة التى يسمونها معانى الجمل أو الأساليب<sup>(٣)</sup> مثل دلالة الجمل والأساليب على الخير أو الإئتشاء، وعلى الإثبات أو النفى أو التأكيد، أو الطلب وهذه المعانى النحوية العامة تحصل غالباً باستخدام الأدوات كأدوات الاستفهام والنهى، والاستثناء، والنداء... إلخ.

١ - النحو والدلالة، ص ١١٣.

٢ - المرجع السابق، ص ٥٢.

٣ - علم الدلالة دراسة نظرية وتطبيقية، ص ٤٣.

٢- دلالة نحوية خاصة: "وهي مجموعة من المعانى النحوية الخاصة أو معانى الأبواب المفردة كالفاعلية، والمفعولية، والإضافة إلخ" (١) وكل كلمة تقع فى باب من هذه الأبواب تؤدي معنى الباب فقد تؤدي الكلمة معنى الفاعلية أو معنى المفعولية... إلخ. "وعن طريق هذه الدلالات المحددة لهذه الأبواب يمكن التمييز بين كلمات اللغة" (٢).

فمن الكلمات ما يصلح للقيام بوظيفة من الوظائف، ومنها ما لا يصلح للقيام بهذه الوظيفة، فبعض الكلمات كالظروف مثلاً لا تصلح للقيام بوظيفة الفاعل ومن ثم تقسم الكلمات إلى مجموعات.

#### ٤- الدلالة المعجمية.

يقوم علم المعاجم على دراسة المعنى المعجمي للكلمة أو ما يطلق عليه الدلالة المعجمية، والدلالة المعجمية هي: "دلالة الكلمة التي استخدمت بها في المجتمع سواء أكان المعنى حقيقياً في أصل الوضع، أم مجازياً منقولاً عن معنى حقيقي" (٣) والمعنى المعجمي يتكون من عناصر رئيسية ثلاثة هي (٤):

١- ما تشير إليه الكلمة في العالم الخارجي Designation

٢- ما تتضمنه الكلمة من دلالات، أو ما تستدعيه في الذهن من معانٍ connotation.

٣- درجة التطابق بين العنصر الأول والثاني rang of application.

١ - اللغة العربية معناها ومبناها، ص ١٧٨.

٢ - علم الدلالة دراسة نظرية وتطبيقية، ص ٤٦.

٣ - التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، ص ١٥٩.

٤ - الكلمة دراسة لغوية ومعجمية، د. حلمي خليل، ط ٢، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٦م، ص ١٠٦.

ويستخدم الدكتور إبراهيم أنيس<sup>(١)</sup> مصطلح الدلالة المركزية للعنصر الأول، وهي دلالة مشتركة يعرفها كل أفراد المجتمع أو معظمهم. ويستخدم مصطلح الدلالة الهامشية للعنصر الثاني، وهي دلالة تختلف تبعاً لتجارب الأفراد، وخبراتهم، وما ورثوه عن آباؤهم وأجدادهم ويمكن القول بأنها دلالة فردية ذاتية.

أما درجة التطابق بين الدالتين المركزية والهامشية، فهي ما يدرسه علماء المعاجم تحت عنوان العلاقات الدلالية كالترادف، والمتشرك اللفظي، والأضداد، والدلالة المعجمية لا تكون في الكلمات المفردة فقط بل تكون في كل التراكيب التي تشكل وحدة دلالية متماسكة<sup>(٢)</sup> فالعجم يبحث معنى الكلمة المفردة، والتراكيب الاصطلاحية، والمثل، والقوالب اللفظية التي تشكل وحدة معنوية، ويبحث كذلك في المعاني السياقية، ويذكر شواهد توضح المعنى السياقي، ويبحث كذلك المعنى الحقيقي، والمعنى المجازي، ويسوق للمعنى المجازي شواهد توضحه<sup>(٣)</sup>.

وتتميز الدلالة المعجمية بأنها دلالة عامة ومتعددة وغير ثابتة فللكلمة.

معنى عام في المعجم، "ذلك لأنها ليست في سياق محدد إذ السياق هو الذي يحدد هذا المعنى ويقيد<sup>(٤)</sup>".

والكلمة صالحة للدخول في سياقات متعددة، فيعطى كل سياق معنى غير

المعنى الذي تأخذه في سياق آخر ولتعدد النصوص والعصور والسياقات يتعدد المعنى، كما

١ - دلالة الألفاظ د. إبراهيم أنيس، ط٧، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٨٥م، ص ١٠٦ وما بعدها.  
من الأمثلة التي توضح الفرق بين الدلالة المركزية والدلالة الهامشية كلمة "بحر" فدلالته المركزية المجرى الواسع المملوء بالماء وهذه هي الدلالة المشتركة بين أفراد المجتمع لهذه الكلمة، وقد يسمعون بعض الأفراد في المجتمع ولا يكون لها ظلال من الدلالات الخاصة لديهم، وقد يسمعون فرد من هذا المجتمع فتثير في نفسه الخوف لتجربة سابقة معه وقد يسمعون فرد آخر من المجتمع فتثير في نفسه مشاعر السعادة والسرور لخبرة سابقة عده بالبحر. فالدلالة المركزية دلالة يشترك فيها أغلب أفراد المجتمع أما الدلالة الهامشية في تختلف من فرد إلى آخر حسب المفرد من التجارب والخبرات فالأولى دلالة عامة ومشتركة والثانية دلالة خاصة وفردية.

٢ - التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، ص ١٥٩.

٣ - علم الدلالة دراسة نظرية وتطبيقية، ص ٥١.

تتميز الدلالة المعجمية بأنها غير ثابتة لأنها عرضة للتغيير، "فيصيبها التعميم أو التخصص أو الانتقال وقد تسمو دلالتها وقد تنحط وهذا التغيير يدرسه علماء اللغة تحت ما يسمى بالتغيير الدلالي" (١).

إن دلالة بعض الكلمات قد تكون غامضة والسبب في ذلك هو "سقوط هذه الكلمات من معجمنا اليومي، فغاب مدلولها عن الذهن، ولم تتلق عنها الأجيال الجديدة معلومات من خلال لغة الخطاب اليومي المقدمة إليها، فإذا عادت مرة أخرى إلى المسرح اللغوي شكلت غموضاً على المتلقى الذي يريد أن يتعرف عليها أول مرة" (٢).

وقد سلك علماء المعاجم عدة طرق في تفسير المعنى المعجمي (٣) من هذه الطرق التفسير بالمرادف وهو نظير اللفظ في المعنى ويعد أكثرها انتشاراً والتفسير بالمغايرة، وهو ضد المعنى والتفسير بالعبارة أو الجملة أو التعريف وتصدر العبارة غالباً بكلمة "أي" أو "يعنى" والتفسير بالمجاز الذي يذهب إلى المعنى المجازي لبعض الكلمات ومن أشكال التفسير تفسير الكلمة "بتظيرها في لغة أجنبية إن لم يوجد ما يوضحها أو مقابلها الدقيق في العربية" (٤).

والتفسير بالسياق والتفسير السببي وهو "الذي يورد سبب المعنى أو يعلله" (٥) والتفسير بالصورة وهو من ابتداء المعاجم الحديثة التي ترفق باللفظ صورة توضح معناه.

١ - المرجع السابق، ص ٥٩.

٢ - التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، ص ١٦١.

٣ - التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، من ص ١٦١ وما بعدها.

٤ - وهذا مذهب المحدثين في بحث مفهوم المصطلحات و تعريفها وكان القدماء يذكرون الكلمة الأعمية إن كانت هي الأصل قبل التعريف فاللفظ الدخيل قد يشرح بذكر أصله ومعناه في لفته.

٥ - مثل كلمة "السيد" قيل إن سبب تسميته بهذا الاسم أن الناس يلجئون إلى سواده وهذا مذهب المحدثين في بحث مفهوم المصطلحات و تعريفها وكان القدماء يذكرون الكلمة الأعمية إن كانت هي الأصل قبل التعريف فاللفظ الدخيل قد يشرح بذكر أصله ومعناه في لفته.

##### ٥- الدلالة السياقية،

"وهي الدلالة التي يعينها السياق اللغوي، وهو البيئة التي تحيط بالكلمة أو العبارة أو الجملة، وتستمد أيضاً من السياق الاجتماعي وسياق الموقف"<sup>(١)</sup>.

وهذا يوضح أهمية السياق سواء أكان السياق لغوياً أم غير لغوي في تحديد دلالة الكلمات فالمناسبة التي تقال فيها الكلمات والمقام بكل عناصره من متكلم ومستمع وظروف محيطة يسهم في إيضاح دلالة الكلمة لذلك نجد اللفظ الواحد يأتي في سياقات لغوية مختلفة بمعانٍ مختلفة<sup>(٢)</sup>.

وتتميز الدلالة السياقية بأنها دلالة محددة في الأغلب الأعم بخلاف الدلالة المعجمية، فالسياق يحدد الدلالة فينبغي عنها صفة العموم، وصفة التعدد وصفة عدم الثبات التي تعد من خصائص الدلالة المعجمية.

والتوليديون لا يهتمون بالسياق ولا يحفلون به في إمداد الجملة بالمعنى ويجعلون البنية العميقة - والسطحية إلى حد ما - هي كل شيء في إمداد الجملة بالمعنى يقول أستاذنا الدكتور محمد حماسة: "إن السبب في ذلك أن التحويليين يريدون دراسة اللغة دراسة علمية قائمة على اللغة ذاتها، ولهذا يهتمون الموقف أو المقام الذي تقال فيه الجمل وليس لأن المقام لا أهمية له في تحديد معاني الجمل، بل لأن هذا العنصر يضيف صعوبة إضافية لمنهج التحليل اللغوي المنظم وهو عنصر تصعب دراسته بشكل علمي منظم"<sup>(٣)</sup>.

١ - علم الدلالة دراسة نظرية وتطبيقية، ص ٥٦.  
٢ - مثل ذلك كلمة "التوايد" تختلف باختلاف السياق اللغوي والسياسي الاجتماعي فإذا ذكر الطبيب لفظ "التوايد" في سياق وذكر مهندس الكهرباء اللفظ نفسه في سياق آخر وذكر لغوي اللفظ نفسه في سياق آخر ستكون الدلالة مختلفة.  
٣ - النحو والدلالة، ص ٥٢.

ولا أرجح منطق التوليديين ؛ فالسياق مهم للغاية في دراسة المعنى ولا يمكن تهيمشه وإن كان في هذا صعوبة فإن البحث العلمي قادر على التغلب على كل ما يواجهه من صعوبات.

#### التغير الدلالي:

يطلق مصطلح التغير الدلالي على التغير الذي يطرأ على معاني الكلمات على مرّ الزمن، وهذا التغير الدلالي 'يحدث تدريجياً في أغلب الأحوال، ولكنه قد ينتهي آخر الأمر بتغير كبير في المعنى' (١) ولهذا التغير الدلالي أسباب، وسمات وأشكال.

#### • أسباب التغير الدلالي:

من أهم أسباب التغير الدلالي الحاجة إلى التعبير عن معانٍ مستحدثة لم تكن موجودة، ويتم سد هذا الاحتياج عن طريق استحداث ألفاظ جديدة أو الاقتراض من لغات أخرى وهناك وسيلة ثالثة وهي أن يلجأ أبناء اللغة إلى الألفاظ القديمة ذات الدلالات المندثرة، فيحيون بعضها، ويطلقونه على مستحدثاتهم ملتزمين في هذا أدنى ملائمة (٢) ويعد التطور الاجتماعي والثقافي من أسباب التغير الدلالي والشاهد على هذا التغير الذي رصده اللغويون في اللغة العربية بسجي، الإسلام، حيث أدى ذلك إلى تغيرات دلالية كبيرة في كثير من الألفاظ ومثال ذلك 'اتفاق مجموعة فرعية ذات ثقافة مختلفة على استخدام ألفاظ معينة في دلالات تحددها تماشي مع الأشياء والتجارب والمفاهيم الملائمة لهئتها أو ثقافتها' (٣). وتعد الأسباب العاطفية والنفسية (٤) من أسباب التغير الدلالي فتحظر اللغات استخدام بعض الكلمات لما لها من إحياءات مكروهة، أو لدلالاتها

١ - علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، د/ محمود السمران، ط٢، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٩٢م، ص ٢٨٠.

٢ - علم الدلالة، ص ٢٣٨.

٣ - المرجع السابق، ص ٢٣٩.

٤ - المرجع السابق، ص ٢٣٩.

على ما يستقبح ذكره وتسهم مشاعر التفاؤل والتشاؤم في تجنب ألفاظ معينة واستخدام غيرها. فقديمًا أطلق العرب لفظ مفازة على الصحراء تفاؤلاً وتجنباً للكلمة مهلكة، وأطلقوا على اللديخ لفظ سليم تفاؤلاً بشفاؤه، ومن أسباب التغير الدلالي الانحراف اللغوي الذي يعد من باب المجاز، وتقوم المجامع اللغوية، والموهوبون من أصحاب المهارات الخاصة كالشعراء والأدباء بدور كبير في عملية خلق المعنى وابتداعه ويعد هذا من الأسباب الواعية لتغير المعنى.

#### \* سمات التغير الدلالي.

يتميز التغير الدلالي بأنه يسير ببطء وتدرج، فتغير مدلول الكلمة مثلاً لا يتم بشكل فجائي سريع، بل يستغرق وقتاً طويلاً، ويحدث عادة في صورة تدريجية فينتقل إلى معنى آخر قريب منه، وهذا إلى ثالث متصل به..... وهكذا دواليك حتى تصل الكلمة أحياناً إلى معنى بعيد كل البعد عن معناها الأول»<sup>(١)</sup>.

والتطور الدلالي مقيد بالزمان والمكان فمعظم ظواهره يقتصر على بيئة معينة وعصر خاص، ولا نكاد نعثّر على تطور دلالي لحق جميع اللغات الإنسانية في صورة واحدة ووقت واحد»<sup>(٢)</sup>.

وعندما يحدث التطور الدلالي فإن أثره يظهر عند جميع أفراد هذه البيئة ويتميز التغير الدلالي بأنه يسير بطريقة آلية في معظم الأحيان لا دخل فيه لإرادة الإنسان مثل سقوط علامات الإعراب في اللهجات العربية المعاصرة، ولكن لا يحدث هذا في كل الأحيان ففي مجال الاصطلاح نجد أهل التخصص يتواضعون على نقل دلالة اللفظ

١ - علم اللغة، على عبد الواحد وافي، ط٩، القاهرة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، ١٩٨٤م، ص ٢١٤.  
٢ - المرجع السابق، ص ٢١٧.

واستخدامه. كما يتميز التغير الدلالي بأنه يخضع لقوانين دلالية كالتخصيص والتعميم والانتقال<sup>(١)</sup>.

وهذه القوانين صارمة لا يستطيع أحد إعاقتها أو تغيير ما تؤدي إليه مثال ذلك الجهود الجبارة المبذولة لحماية اللغة العربية والمستندة إلى الدين والتي حاولت محاربة ما يطرأ عليها من تطوير وتغيير، ولكنها لم تحل دون تطور اللغة.

• أشكال التغير الدلالي،

يظهر التغير الدلالي في عدة أشكال أبرزها:

١- توسيع المعنى:

وذلك عندما يحدث الانتقال من معنى خاص إلى معنى عام "ويعنى توسيع المعنى أن يصبح عدد ما تشير إليه الكلمة أكثر من السابق"<sup>(٢)</sup>.

من ذلك استخدام لفظ "الآثم" وهو لفظ في الأصل يطلق على المرأة التي لا زوج لها ثم توسع في دلالتها فعبّر بها عن الرجل الذي لا زوجة له بالإضافة لعناها الأصلي ومن باب توسيع المعنى استخدام أسماء الأعلام لتدل على الصفات مثل لفظ "حاتم"، ويطلق على كل كريم، ولفظ "فرعون" ويطلق على كل متكبر.

٢- تضيق المعنى:

ويفسر بعكس ما فسره توسيع المعنى، فالكلمة تصبح بمرور الزمن دالة على بعض ما كانت تدل عليه من قبل، فتتحول دلالة الكلمة من التعميم إلى التخصيص وتكثر هذه الظاهرة في مجال المصطلحات العلمية، فكلمة (أمر) تعنى في بيئة الحاسيات "بيان

١ - علم الدلالة دراسة نظرية وتطبيقية، ص ٧٤.  
٢ - علم الدلالة دراسة نظرية وتطبيقية، ص ٢٤٢.



بعملية يطلب إلى الحاسب تنفيذها والكلمة عند العرب بمعنى الطلب وهو ضد النهى وهو معنى عام<sup>(١)</sup>.

٣- انتقال الدلالة:

والفرق بين هذا النوع والنوعين السابقين كون "المعنى القديم أوسع أو أضيق من الجديد في النوعين السابقين، وكونه مساوياً له في النوع الحالي"<sup>(٢)</sup>.

وأمثلة نقل المعنى كثيرة منها التعبير عن أحد أعضاء البدن باسم عضو آخر مثل استخدام كلمة ( صدر أو نحر )، ومثل استخدام كلمة ( بيت ) للدلالة على المسكن ثم أطلقت على بيت الشعر ولفظ ( الهمج ) وهو ذباب صغير مثل البعوض ويطلق اللفظ على رعاع الناس.

٤- رقي الدلالة:

ويطلق عليها أيضاً "التغير التسمي" وهو من أنواع التغير في المعنى "ويطلق على ما يصيب الكلمات التي كانت تشير إلى معانٍ هينة أو ضعيفة أو وضعية نسبياً ثم صارت تدل في نظر الجماعة الكلامية على معانٍ أرفع أو أشرف"<sup>(٣)</sup>.

كانتقال كلمة "بيت" في العربية من الدلالة على المسكن من الشعر إلى البيت الضخم المتعدد الطوابق الذي نعهده في المدن.

٥- انحطاط الدلالة:

ويطلق عليه أيضاً "التغير الانحطاطي" أو الخافض وهو يسير في عكس اتجاه رقي الدلالة "وهو يصدق على الكلمات التي كانت دلالتها تعد في نظر الجماعة نبيلة أو رفيعة أو قوية نسبياً ثم تحولت هذه الدلالات فصارت دون ذلك رتبة"<sup>(٤)</sup>.

١ - المرجع السابق، ص ٧٥.

٢ - المرجع السابق، ص ٢٤٧.

٣ - علم اللغة مقدمة للقرىء العربي، ص ٢٨٠.

٤ - المرجع السابق، ص ٢٨٠.

وأكثر هذه الكلمات تدور حول الجنس، والفخر الطبقى، والموضوعات التي تثير الاشتزاز وذلك لأن الاسم الأول يصيبه الابتذال وتتعطف عنه الجماعة في جيل من الأجيال فتصنع اسماً آخر يصيبه ما أصاب الأول<sup>(١)</sup> لذلك نجد الألفاظ الدالة على هذه المعاني تتعدد وتتغير.

#### ٦- التحول نحو المعاني المضادة،

من أشكال تغير المعنى تحول المعنى إلى ضده، وقد أطلق على ذلك مصطلح "الأضداد" وهي ظاهرة شائعة في أكثر اللغات ويقسرها اللغويون ذلك "بأن الكلمة استخدمت في عصر لأحد المعنيين ثم استخدمت في عصر تال للمعنى المضاد وهذا يرجع إلى ناحية نفسية"<sup>(٢)</sup>.

فنحن عندما نفكر في شيء أو نميزه فإن أول ما يستدعيه تفكيرنا هو ضد الشيء من ذلك كلمة "الجَوْن" للدلالة على الأبيض والأسود.

وقد ذكر أستاذنا الدكتور أحمد مختار عمر أن المبالغة من أشكال تغير المعنى وهي مسئولة عن الاصطلاحات الخادعة في وسائل الإعلام "حتى إنها لا تلبث أن تؤدي إلى عكس المقصود منها نحو قولك: هو سعيد بشكل مخيف، ورائع بكل بساطة"<sup>(٣)</sup>.

#### نظريات دراسة المعنى،

يوجد في مجال البحث اللغوي العديد من النظريات التي اهتمت بوضع منهج معين لدراسة المعنى وقد نتج عن اختلاف هذه المناهج اختلاف النظرة إلى المعنى، من هذه

١ - المرجع السابق، ص ٢٨٠.  
٢ - علم الدلالة دراسة نظرية وتطبيقية، ص ٨٦.  
٣ - علم الدلالة دراسة نظرية وتطبيقية، ص ٢٥٠.

النظريات: النظريتان الإشارية والتصورية، والنظرية السلوكية، ونظرية السياق، ونظرية الحقول الدلالية، والنظرية التحليلية أو ما يطلق عليه نظرية "التحليل التكويني" وسوف أشير إلى ملامح بعض هذه النظريات.

#### ١- النظرية السياقية للمعنى:

تعتمد هذه النظرية في دراستها للمعنى على السياق ويعود الفضل إلى رائد من رواد المدرسة الإنجليزية في علم اللغة الحديث يدعى فيرث Firth في صياغة نظرية كاملة لدراسة المعنى تقوم على الوظيفة الاجتماعية للغة، ولهذا يصرح فيرث Firth بأن المعنى لا ينكشف إلا من خلال تسبيق الوحدة اللغوية أى وضعها في سياقات مختلفة<sup>(١)</sup>. وقد وضع فيرث أركاناً ثلاثة يقوم عليها منهجه في دراسة اللغة وهي<sup>(٢)</sup>:

١- يقوم كل تحليل لغوي على سياق الحال أو المقام.

٢- وجوب تحديد بيئة الكلام المدروس.

٣- يجب تحليل الكلام إلى عناصره ومكوناته الأولى.

يتضح مما سبق أن دراسة المعنى من خلال نظرية السياق تتطلب تحليلاً للسياقات، والمواقف التي ترد فيها الوحدة اللغوية، سواء أكانت هذه السياقات لغوية أم غير لغوية.

١ - علم الدلالة، ص ٦٨.

٢ - الكلمة دراسة لغوية معجمية، د/ حملي خليل، ط٢، الاسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٦م، ص ١٥٨.

\* الركن الأول الذي يقوم عليه تحليل المعنى عند فيرث هو سياق الحال، أو المقام مع ملاحظة كل ما يتصل به من عناصر و ظروف وملابسات، كـ شخصية المتكلم، السامع، والمُشاهد، وثقافتهم، والعوامل الاجتماعية، والمناخية المرتبطة بالسلوك اللغوي وقت الكلام وتأثير الكلام على السامعين.

\* الركن الثاني تحديد بيئة الكلام المدروس وعدم الخلط بين لغة وأخرى أو لهجة وأخرى أو بين مستوى ثقافي واجتماعي وآخر فيجب أن تكون اللغة مقصورة على مستوى ثقافي واحد. ومستوى كلامي واحد.

\* الركن الثالث: تحليل الكلام إلى عناصره ومكوناته الأولى باستخدام معطيات فروع علم اللغة المختلفة من صرف، وصوت، ونحو، ومعجم وهذا في اعتبارهم يزدى إلى كشف جزء من المعنى ولكن الدلالة الكاملة لا تتضح إلا في السياق أو المقام.

وقد اقترح رواد النظرية السياقية تقسيم السياق إلى أربع شعب وهي<sup>(١)</sup>:

١- السياق اللغوي linguistic context

٢- السياق العاطفي emotional context

٣- سياق الموقف situation context

٤- السياق الثقافي cultural context

ويرى أحد الباحثين أن في هذا التقسيم تفتيتاً وتكلفاً لا حاجة للدرس اللغوي إليه ويقول "إن السياق نوعان لا يتفصلان: سياق لغوي، و سياق الحال، والأول يعتمد على الكلام المنطوق، والثاني يعتمد على الظروف والملابسات المحيطة بالحدث الكلامي وهذه الظروف الملازمة للحدث الكلامي تشمل بقية أنواع السياق"<sup>(٢)</sup>.

ولا أرجح هذا الرأي فتحدد نوع الظروف والملابسات المحيطة بالحدث الكلامي تؤثر بلا شك في تحديد وبيان المعنى بدقة ولا أعتقد أن هذا من باب التكلف غير المفيد.

إن نظرية السياق تشكل ركناً مهماً من أركان علم الدلالة لأن التحليل اللغوي للنص أو الكلام لا يعطينا إلا المعنى الحرفي الظاهري وهو معنى خالٍ من المحتوى الاجتماعي والتاريخي ومنعزل عما يحيط بالنص أما المنهج السياقي فيتميز بأنه أولاً، لم يخرج عن دائرة اللغة<sup>(٣)</sup> وبذا نجا من النقد الموجه إلى جميع المناهج السابقة (الإشاري

١ - علم الدلالة، ص ٦٩. والمقصود بالسياق اللغوي: البيئة اللغوية التي تميط بالكلمة أو العبارة أو الجملة - السياق العاطفي: هو السياق الذي يتولى الكشف عن المعنى الوجداني والذي يختلف من شخص لآخر وهو يحدد درجة القوة والضعف في انفعال المتكلم مما يقتضى توكيداً أو مبالغة أو اعتدالاً فمثلاً كلمة " يكره " تختلف عن كلمة يهين مع اشتراكهما في أصل المعنى.

- سياق الموقف ويسمى سياق الحال والمقصود به الموقف الخارجي الذي جرى فيه التفاعل بين شخصين أو أكثر يشمل زمن المحادثة ومكانها والعلاقة بين المتحادثين والقيم المشتركة بينهما والكلام السابق للمحادثة مثال ذلك استخدام كلمة يرحم كتل على تسميت العاطس أو في حال آخر طلب الرحمة للميت - وأما السياق العاطفي فهو السياق الذي يكشف عن المعنى الاجتماعي باختلاف البيئات الثقافية في المجتمع يؤدي إلى اختلاف دلالة الكلمة من بيئة إلى أخرى فكلمة " جنز " تستخدم عند اللغويين بمعنى وعند الزراع بمعنى آخر وعند عالم الرياضة بمعنى آخر

٢ - علم الدلالة دراسة نظرية وتطبيقية، ص ١٦٣.

٣ - علم الدلالة دراسة نظرية وتطبيقية ، ص ٧٣.

التصوري، السلوكي) كما أنه "عالج الكلمات باعتبارها أحداثاً وأفعالاً وعبادات تقبل الموضوعية والملاحظة".<sup>(١)</sup>

نظرية الحقول الدلالية.

تعتمد هذه النظرية على فكرة أن المعاني لا توجد منفردة في الذهن بل توجد مترابطة مع بعضها، فالحقل الدلالي يتكون من مجموعة من مفردات اللغة تربطها علاقات دلالية معينة وتشارك جميعها في التعبير عن معنى عام واحد كالكلمات الدالة على النبات أو الأفكار أو الحيوان أو غيرها.

وإذا أردنا فهم كلمة من هذه الكلمات، لابد لنا من فهم مجموعة الكلمات المتصلة بها دلاليًا، فهذه النظرية تتصل في كثير من جوانبها بفكرة العلاقات الدلالية، ذلك لأن علم اللغة الحديث "زعزع الفكرة التي كانت سائدة من قبل، والتي كانت تنظر إلى الكلمات على أنها وحدات دلالية، ومعجمية مستقلة ومتناثرة، لا صلة بينها ولكن بعض العلماء اثبتوا الصلات الدلالية بين الكلمات".<sup>(٢)</sup>

ولا تخرج هذه العلاقات الدلالية عن "التراصف والاشتغال أو التضمين، وعلاقة الجزء بالكل والتضاد والتنافر".<sup>(٣)</sup> وتهدف نظرية الحقول الدلالية إلى تنظيم الكلمات في مجالات، أو حقول دلالية، والكشف عن العلاقات الموجودة بينها، فهناك مجالات تتصل بالأشياء المادية: (كالنبات)، (والحيوان)، (والإنسان)، وهناك مجالات أخرى غير مادية "كالدين"، و"الفن" وغيرهما.

١ - المرجع السابق، ص ٧٣.  
٢ - الكلمة دراسة لغوية معجمية، ص ١٤٣.  
٣ - علم الدلالة، ص ٩٨.

فإذا "أردنا أن نحدد بدقة دلالة الكلمة في هذه المجالات أو الحقول يجب أن نبدأ أولاً بتحديد العلاقات الدلالية التي ترتبط بها الكلمات فيما بينها داخل هذا المجال أو ذاك لأن الكلمة طبقاً لهذه النظرية لا تتحدد قيمتها الدلالية في نفسها، وإنما تتحدد بالنسبة لموقعها الدلالي في داخل مجال "دلالي معين" (١).

ويتفق أصحاب هذه النظرية على جملة مبادئ منها:

- ١- لا وحدة معجمية عضو في أكثر من حقل.
  - ٢- لا وحدة معجمية لا تنتمي إلى حقل معين.
  - ٣- لا يصح إغفال السياق الذي ترد فيه الكلمة.
  - ٤- استحالة دراسة المفردات مستقلة عن تركيبها النحوي (٢).
- ويمنّ نماذج الحقول الدلالية "ألفاظ القرابة" والألوان" و"الدين" و"الأصوات" والأساطير والخرافات" و"التجارة" وأعضاء البدن. وغيرها.
- وتختلف حجوم الحقول الدلالية ومستوى الكلمات فيها. وقسم ( أولمان ) Ullmann الحقول إلى أنواع ثلاثة هي:

- ١- الحقول المحسوسة المتصلة ويمثلها نظام الألوان.
  - ٢- الحقول المحسوسة ذات العناصر المنفصلة ويمثلها نظام العلاقات الأسرية.
  - ٣- الحقول التجريدية ويمثلها ألفاظ الخصائص الفكرية (٣).
- وهذه الحقول غير منفصلة وليس هناك ما يمنع من التبادل بينها. فقد ترتبط مجموعة من الألفاظ ذات مجال دلالي معين بمجموعة أخرى من الألفاظ ذات مجال دلالي

١ - علم الدلالة، ص ١٤٤.  
٢ - المرجع السابق، ص ٨٠.  
٣ - المرجع السابق، ص ١٠٧.

آخر\* بحيث تكشف الدراسة الدلالة لكل مجموعة على حدة أن هناك ارتباطاً دلالياً بين هذه المجموعة المختلفة من الكلمات<sup>(١)</sup>.

وبكنا بذلك الحصول على سلسلة من الحلقات عن طريقها نقف على بنية اللغة الدلالية التي تختلف باختلاف التجارب والثقافة للمجموعة اللغوية.

يجب أن نذكر أن هناك شبهة بين معاجم الحقول الدلالية الحديثة ومعاجم الموضوعات القديمة في اللغة العربية فكلاهما يقسم الأشياء إلى موضوعات، وكلاهما يعالج الكلمات تحت كل موضوع، وكلاهما سبق في جمع الكلمات الخاصة بموضوع واحد، ودرستها تحت عنوان واحد، ومن أمثلة المعاجم العربية القديمة (المخصص) لابن سيده و(الألفاظ) لابن السكيت. إن أهم ما يميز نظرية الحقول أو المجالات الدلالية أنها حرصت على السياق وجعلته من ضمن اهتماماتها عند دراسة المعنى، واهتمت بالدلالة النحوية بالإضافة لعنايتها بالعلاقات الدلالية، وقد أمدتنا هذه النظرية بقائمة من الكلمات لكل موضوع على حدة، مما يمدنا بالتمييزات الدقيقة لكل لفظ ويعين الإنسان على اختيار كلماته بدقة، وقد وضعت هذه النظرية "مفردات اللغة في شكل تجميعي تركيبى ينفي عنها التسبب المزعوم"<sup>(٢)</sup>.

"لذلك تعد نظرية المجالات الدلالية من أهم النظريات التي فرضت نفسها على تحليل المفردات"<sup>(٣)</sup>.

١ - الكلمة دراسة لغوية ومعجمية، ص ١١٤.

٢ - علم الدلالة، ص ١٢٢.

٣ - منهج البحث اللغوي، د/محمود سليمان بالقوت، ط١، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٠م، ص ٢٨٦.

### ٣- نظرية "التحليل التكويني":

يرى أصحاب هذه النظرية إمكانية تحديد معنى الكلمة من خلال مكونات أو ملامح دلالية تميزها عن غيرها من الكلمات، فهذه النظرية عبارة عن "وسيلة أو تقنية تحدد البنية الداخلية للكلمة والمتمثلة في العناصر أو المكونات الدلالية components semantic المميزة للكلمة، التي يمكن استنباطها من وجودها في عدة سياقات"<sup>(١)</sup>.

وبعبارة أخرى فإن نظرية التحليل التكويني componential analysis للمعنى هي عبارة عن منهج في الدرس الدلالي للمفردات أساسه تحليلها إلى مجموعة محددة من العناصر الأساسية التي تكون منها<sup>(٢)</sup>.

وهذا يعني أن معنى الكلمة عند أصحاب هذه النظرية عبارة عن مجموعة من الملامح الدلالية المستنبطة مع أخذ السياق في الاعتبار، ويجب أن نلاحظ أن المعاني الدلالية التي يرصدها اللغوي قد تختلف عن الملامح الدلالية التي يرصدها المتكلم العادي<sup>(٣)</sup>. وعن طريق هذه النظرية يمكن أن نفرق بين مجموعة من الكلمات المترادفة أو ذات الملامح المشتركة، وقد ظهرت هذه النظرية على يد الأنثروبولوجيين الذين استلهموها من علم وظيفة الأصوات phonology الذي يهتم بتحديد السمات النطقية للفونيم<sup>(٤)</sup>.

ثم انتقل هذا المنهج لعلوم إنسانية أخرى ومنها علم الدلالة، فالتحليل التكويني للكلمات يشبه إلى حد كبير التحليل الفونولوجي للأصوات، وهناك من اعتبر هذا التحليل

١ - التحليل الدلالي، ص ١٠٣.

٢ - منهج البحث اللغوي، ص ٢٨٧.

٣ - قد تختلف الملامح الدلالية التي يرصدها اللغوي عن تلك التي يرصدها المتكلم العادي فعلى سبيل المثال يميز المتكلم بين الجري والمشي على أساس ملمح السرعة وقد لا يكون هذا صحيحاً فقد نرى شخصاً يمشي أسرع من شخص آخر يجرى وفي هذه الحالة لا تكون السرعة هي الملمح الدلالي الصحيح الذي يفرق بين الحركتين بل الملمح الدلالي الصحيح هو شكل الحركة - من رفع القدمين أو عدم رفعهما عن الأرض.

٤ - التحليل الدلالي، ص ١٠٣.



"امتداداً لنظرية الحقول ومحاولة لوضع النظرية على طريق أكثر ثباتاً. ومع ذلك فمن الممكن قبول نظرية الحقول دون التحليل إلى عناصر والعكس"<sup>(١)</sup>.

حيث يمكن أن نقول إن مجموعة من الكلمات تشكل حقلاً، وتلك علاقات دلالية متنوعة بينها دون أن نشير إلى مرحلة تعيين العناصر التكوينية لكل كلمة كذلك يمكن أن نقوم بتحليل الكلمة إلى عناصر تكوينية دون الاهتمام بأى دور لفكرة الحقول.

ويأخذ الاتجاه التحليلي في دراسة معاني الكلمات مستويات متدرجة على النحو التالي.

١- تحليل كلمات كل حقول دلالي، وبيان العلاقات بين معانيها.

٢- تحليل كلمات المشترك اللفظي إلى مكوناتها أو معانيها المتعددة.

٣- تحليل المعنى الواحد إلى عناصره التكوينية المميزة<sup>(٢)</sup>.

لقد أصبح التحليل التكويني أحدث الاتجاهات الرئيسية في دراسة المعنى والذي تبلور في النصف الثاني من القرن العشرين لدى كاتس وفودر fodor.Katez تلميذ تشومسكي Chomsky<sup>(٣)</sup>، وقام هذان اللغويان بتحليل معنى الكلمة اعتماداً على السياق وتقوم نظريتهما في أساسها على تشذير كل معنى من معاني الكلمة إلى سلسلة من العناصر الأولية. مرتبة بطريقة تسمح لها بأن تتقدم من العام إلى الخاص وكل معنى للكلمة يحدد عن طريق تتبع الخط من (المحدد النحوي) إلى (المحدد الدلالي) إلى (المميز) ويظل المرء متجهاً نحو التشذير حتى يحقق القدر الضروري من التوصيف والشرح<sup>(٤)</sup>.

١ - علم الدلالة، ص ١٢١. يبدأ القيام بتحليل المعنى إلى عناصر تكوينية بعد الانتهاء من تحليل الحقول الدلالية وحشد الكلمات داخل كل حقول.

٢ - علم الدلالة، ص ١١٤.

٣ - التحليل الدلالي، ص ١٠٤.

٤ - علم الدلالة، ص ١١٤. المقصود بالمحدد النحوي هو أن تكون الكلمة اسماً أو فعلاً أو صفة أو جمعا أو مفردا والمقصود بالمحدد الدلالي هو أن تكون الكلمة إنسان، حيوان، نبات، ذكر، أنثى، - أما المميز فهو المعنى الغشائي المستنبط من السياق. وقد وجه نقد لهذه النظرية بسبب تمييزها دون حاجة بين المحدد الدلالي والمميز وبسبب عدد المحددات الدلالية وترتيبها وما في ذلك من تعقيد، ولكن هناك من أثبت عليها ودافع عنها وقد وصفت بأنها أحسن تجربة لتحليل المعنى إلى مكونات صغرى، وذكر أولمان Ullman أنها لعبت دوراً هاماً في تطوير السيميائية التركيبية.

وعلى الرغم من نجاح منهج التحليل التكويني لمعنى الكلمة في حل مشكلة معنى الكلمة فإنه مازالت هناك بعض الصعوبات التي تقتل بتحديد معاني الكلمات مثل "الألوان والروائح والمشاعر التي تفتقر إلى ما يعيننا على تحديد الملامح أو المكونات الدلالية المميزة"<sup>(١)</sup>. هذا بالإضافة إلى كثرة التشابك والتداخل بين معاني الكلمات واختلاف وجهات النظر في عملية التحليل.

ومن نماذج التحليل التكويني، التحليل التكويني لكلمات القرابة<sup>(٢)</sup>

المكونات الشخصية	أب	أم	عم	عمة	أخ	أخت	ابن	ابنة	ابن العم	زوجة	عم
الجنس	ذكر	أنثى	ذكر	أنثى	ذكر	أنثى	ذكر	أنثى	ذكر	أنثى	ذكر
الجيل (١+)	١+	١+	١+	١+	١+	١+	١+	١+	١+	١+	١+
الانتماء (مباشر م)	١+	١+	١+	١+	١+	١+	١+	١+	١+	١+	١+
القرابة دم = د مصاهرة = ص	د	د	د	د	د	د	د	د	د	د	د

هناك خطوات إجرائية لتحديد العناصر التكوينية<sup>(٣)</sup> لكي نصل إلى الشكل النهائي السابق لتحديد العناصر التكوينية للمعاني حيث نقوم باختيار مجموعة من المعاني تبدو الصلة بينها قوية كالألفاظ القرابة، ثم نحدد الملامح التي تستخدم للتمييز، وهي بالنسبة لألفاظ القرابة: الجنس، الجيل، الانتماء المباشر، وقرابة الدم أو المصاهرة. وبعد ذلك نحدد الملامح التشخيصية لكل معنى على حدة، وتوضع بعد ذلك تلك الملامح في شكل جدول كالسابق.

ومن خلال هذا الجدول نستطيع أن نحدد المكونات أو الملامح الدلالية التي تحملها كل كلمة من الكلمات التي تمثل القرابة بالنسبة للمتكلم فكلمة "أب" تحمل مكونات

١ - التحليل الدلالي، ص ١٠٩.  
٢ - علم الدلالة، ص ١٢٣.  
٣ - المرجع السابق، ص ١٢٢.

الذكورية، وهي من جيل أكبر بالنسبة للمتكلم، ودرجة الاتصال بينها وبين المتكلم مباشرة وبينها وبين المتكلم قرابة عن طريق الدم. أما كلمة "أم" فهي تحمل مكونات الأنوثة، وهي من جيل أكبر بالنسبة للمتكلم، ودرجة الاتصال بينها وبين المتكلم مباشرة وهي قرابة عن طريق الدم. مع ملاحظة أن معنى "أب" يتباين مع "أم" في أن "أب" ذكر و"أم" أنثى.

وسوف تعتمد دراسة المستوى الدلالي في كتاب الإشارات الإلهية، علي نظرية "الحقول الدلالية"، حيث إنها تعتبر من أهم النظريات التي اهتمت بدراسة المستوى الدلالي للغة، وهي تقوم علي مفهوم التصنيف والتبويب<sup>١</sup>، وتعتمد علي جانبين آخرين هما التدرج Hierarchy، وتداعي المعاني "Meaning Associative"<sup>(١)</sup>.

فهذه النظرية تعتمد علي ما أودع في العقل البشري من قدرة علي تداعي المعاني إذ إن الحقل الدلالي يتكون من مجموعة من مفردات اللغة تخضع في مجموعها لمعني واحد عام تدور في فلكه "فما أشبه مفردات اللغة - عند خضوعها للدراسة طبقاً لهذه النظرية بمجموعات النباتات التي تنتمي كل مجموعة منها إلى فصيلة نباتية، يشترك أفرادها في سمات مشتركة"<sup>(٢)</sup>.

وتتميز نظرية الحقول الدلالية، بالإضافة لمحاولتها ضم مفردات اللغة في حقول دلالية معينة بأنها حريصة علي أخذ السياق في الاعتبار، فهي تضم إلى أهميتها أهمية نظرية السياق، كما تهتم هذه النظرية بالدلالة النحوية للكلمة، وكذلك تهتم بالعلاقات الدلالية بين الكلمات كالترادف، والاشتراك اللفظي، والتضاد، وعلاقة الجزء بالكل... وغيرها، وعن طريق هذه النظرية يمكننا الوقوف علي البنية الدلالية لكل لغة، والتي تختلف من لغة إلى أخرى باختلاف الثقافة والتجارب.

١ - التحليل الدلالي إجراءاته ومناهجه، ص ١٢٥ .  
٢ - علم الدلالة دراسة نظرية وتطبيقية، ص ١٧٤ .

## المبحث الثاني

الفاظ الحياة الصوفية في كتابهم (الإشارات الإلهية)  
في ضوء نظرية « الحقول الدلالية »

يتميز الأدب الصوفي بأنه أدب مشبوب العاطفة يقظ المشاعر، صادق الإحساس "وربما كان سبب إغراب ألفاظهم ونظرياتهم، وأفكارهم حضور القلب، والمشاهدة وهما اللذان يجعلان الصوفي من المقربين الذين يرقبون خواطرهم، حتى ليخرج كل خاطر يخطر بقلب الصوفي وكأن الحق يخاطبه، أو كأنه يخاطب به الحق" (١).  
فالإشارة والمصطلح الصوفي ينبعان من باطن التجربة الصوفية لا من خارجها، وذلك لحاجة اقتضتها طبيعة هذه التجربة، وطبيعة هؤلاء الذين انصهروا فيها.  
والصوفية "لم يضعوا تلك الإشارات التي اصطلاحوا عليها فيما بينهم لأنفسهم فإنهم يعلمون الحق الصريح في ذلك، وإشأ وضعوها منعاً للدخيل بينهم حتى لا يعرف ما هم فيه شفقة عليه" (٢).

لقد سئل الصوفي الكبير ابن عطاء " ما بالكم أيها المتصوفة قد اشتققتكم ألفاظاً أغربتم بها علي السامعين، وخرجتم بها عن اللسان المعتاد، فهل هذا لتمويه أولستر عوار المذهب؟"  
فقال ابن عطاء: ما فعلنا ذلك إلا لغيرتنا علي المذهب، ولعزته علينا كيلا يشير بها غيرنا (٣) وأنشد:

إنّا أهل العبارة ساءلونا      أجبناهم بأعلام الإشارة  
نشير بها فنجعلها غموضاً      تقصر عنه ترجمة الإشارة

١ - الموسوعة الصوفية، د/ عبد المنعم الحنفي، القاهرة، مكتبة مدبولي، ٢٠٠٣م، ص ٦٢٣.  
٢ - التصوف النفسي، د/ عامر النجار، القاهرة، الهيئة العامة للكتاب، ٢٠٠٢م، ص ١٢٩.  
٣ - الموسوعة الصوفية، ص ٦٢٢.

والصوفي لا يقف كثيراً عند حدود اللفظ الذاتي الذي يعيش به بين الناس، فكما حطم الحواجز بين الأشياء في الواقع فجعل منها عالماً واحداً يذوب بعضه في بعض، كذلك كان شأنه مع اللغة ومدلولاتها وألفاظها، حيث انزاحت قوالب الألفاظ وتداخلت لتتحول جميعاً إلى "نغم واحد في فم الصوفي يحمل أشواقه، ومواجهه، ويجسد تطلعاته، وتصوراتهِ ورؤاه" (١).

فليس من هموم الصوفي أن يكون منطقاً جارياً مع منطق الناس، بل علي العكس من ذلك، فهو يعبر عما يشعر به من مواجيد وأشواق، ولواعج فيجري علي لسانه كل ما يطرق قلبه من خواطر، فمقولات الصوفية معظمها صادرة عن أحوال غلب الوجد فيها عليهم. والتعبير الصوفي يرتقي برقي درجات السالكين حتى يصل إلى الذروة حين يكون خطاباً للعارف أو العالم "وقد أحصى بعضهم هذه المصطلحات والألفاظ فبلغت مائة أو نحوها، وكان في الإمكان حصرها قبل أن يتوسع ابن عربي فجعل من الإشارات بحراً لجيا لا ساحل له، فإنه اخترع من التفصيلات يفوت الحصر والإحصاء" (٢).

وإذا طالعنا كتاب "الإشارات الإلهية" وجدناه ثرياً بتلك المصطلحات، والعبارات والإشارات، والألفاظ التي تتميز بدلالاتها الخاصة لدي الصوفية.

فهو كتاب سار فيه التوحيدي علي النهج الصوفي في التعبير، وفي هذا القسم من البحث ندرس الألفاظ الحياة الصوفية في هذا الكتاب من خلال عدة مجالات فرعية تتشابه وتتداخل كلمات كل مجال منها مع بعضها عن طريق مجموعة من العلاقات الدلالية المحددة لتكون في النهاية المجال الدلالي العام الخاص بالألفاظ الحياة الصوفية في هذا الكتاب.

١ - لطائف الأعلام، عبد الرازق القاشقري، القاهرة، الهيئة العامة للكتاب، ٢٠٠٤م، ج ١ ص ٢٧.  
٢ - التصوف النفسي، ص ١٢٧. من هذه التوسعات التي استخدمها ابن عربي استعمال اسم هند لتدل علي مكان هبوط آدم، واسم ليلي يرمز بها إلى الحاجة واسم سليمي يرمز بها إلى الحكمة السليمانية القلمية وكلمة عذرا يرمز بها للحكم وكل حروف الغزل والسبب والتشبيب منقولة إلى الإشارات الصوفية والحب الإلهي.

## المجال الدلالي الهرمي الأول الألفاظ الدالة على مقاماته الصوفية

للسوفي مجموعة من المقامات تتحقق عنده بعد القيام بصنوف من المجاهدات والرياضات التي يبينها الشارع وعين تعوتها وأزمانها، وما ينبغي لها، وشروطها التمامية والكمالية الموجبة صحتها، فحينئذ يكون صاحب مقام حيث أنشأ صورته كما أمر<sup>(١)</sup>.

ومن هذه المقامات: الصبر والشكر والتوكل والخوف والرجاء والإحسان والصدق والوجد..... الخ

وبيكنا رصد ما ورد من ألفاظ في كتاب "الإشارات الإلهية" في إطار هذا المجال الدلالي فيما يلي:

- الصبر،

الصبر لفظ يعبر عن مقام عند الصوفية يعني "حبس النفس عن الشكوى إلى غير الله والركون إليه"<sup>(٢)</sup> وهو من المقامات التي تنقطع وتنزول إذا تم الحساب، وللصبر درجات كثيرة "وهو يشمل جميع المقامات والأخلاق والأعمال والأحوال، فإن جميع ذلك لا يتحقق إلا بحمل النفس على الثبات في التوجه إلى تحققه، وعلي مقاساة الشدة في تصحيحه، وتنقيحه، فلا يخرج

١ - التتويجات المكية، لابن عربي، بيروت، دار صفير، د.ت، ج ٢، ص ٢٨٥.  
- من المقامات ما هو مشروط بشرط فإذا زال الشرط زال المقام كالورع لا يكون إلا في المحذور أو المتشابه، ومن المقامات ما هو ثابت إلى الموت ويؤول بعد الموت كالتوبة، ومن المقامات ما يصحب العبد في الآخرة إلى أول دخول الجنة كبعض المقامات المشروطة من الخوف والرجاء، ومن المقامات ما يدخل الجنة معه.  
- وقد بين ابن عربي الفرق بين الحال والمقام فالحال هو ما يرد على القلب من غير تعمل ولا اجتلاب وهو غير دائم، أما المقام فيأتي بالتصميل والتكسب، ويتصف بالنوام والمقام عنده هو المرتبة الأعلى والأرفع.  
٢ - المرجع السابق، ص ٢٠٦.

قل علي كرم الله وجهه: الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، لا جسد لمن لا رأس له، ولا إيمان لمن لا صبر له. وكان سهل يقول: الصالحون في المؤمنين قليل، والصالحون في الصالحين قليل، والصالحون في الصالحين قليل، وقيل لسفيان الثوري رضي الله عنه ما فضل الأصل قل: الصبر عند الابتلاء قوت القلوب ج ١ ص ٢٩٤ - ٤٠١.

شيء عن الصبر لأنه أعم المقامات حكماً وأشمل الأخلاق أثراً<sup>(١)</sup> ورد "الصبر" في الإشارات الإلهية مقترناً "بالرضا" نحو "وارض وأصبر"<sup>(٢)</sup> "وإننا رضييت صابر قريك متقبلاً"<sup>(٣)</sup> وورد لفظ الصبر مقترناً بلفظ العزائم في "عزائم الصبر"<sup>(٤)</sup> وفي الصبر عناء وهدفه إرضاء الله سبحانه وتعالى نحو: "صبرنا علي أننا هم من أجلك"<sup>(٥)</sup> "ألا صابر علي البلوي لأجل الله"<sup>(٦)</sup> ورد لفظ الصبر حاملاً دلالة الوقاية والجنة نحو: "واتخذ الصبر جنة فالخملب عظيم"<sup>(٧)</sup> أما إذا تبدلت أحوال الناس، وابتعدوا عن الطريق الصحيح فالصبر مرض "القول ثمويه، الرأي معكوس، الشكر تملق، الصبر علة، الابتداء غرور"<sup>(٨)</sup>.

#### - الشكر،

"الشكر في اللغة: الثناء علي المنعم بما يدل علي أن الشاكر قد عرفه، واعترف له بها ويحسن موقعها عنده من حضور قلبه له لأجل ذلك، وقيل الشكر، ملاحظة المرء لما أنعم الله به عليه من إعطائه ما ينبغي، وصرف ما هو من المكروه كذلك"<sup>(٩)</sup>.

١ - لطائف الأعلام، ص ٥٣، ٥٤.  
 - قل إبراهيم الخواص رحمه الله: هرب أكثر الخلق من حمل ثقل الصبر فالتجئوا إلى الطلب والأسباب واعتمدوا عليها وكفها لهم أرباب. اللع لأبي نصر السراج، ص ٧٦.  
 ٢ - الإشارات الإلهية، ص ٢٤٩.  
 ٣ - المصدر السابق، ص ٢٤٩.  
 ٤ - المصدر السابق، ص ١١٤.  
 ٥ - المصدر السابق، ص ٨٤.  
 ٦ - المصدر السابق، ص ٩٥.  
 ٧ - المصدر السابق، ص ٢٤١.  
 ٨ - المصدر السابق، ص ١٢٨.  
 ٩ - لطائف الأعلام، ج ٢ ص ٤١.  
 - الشكر أحد أقسام الأخلاق التي هي لطالب الحق بمنزلة الأركان للصلوات وأول الأركان للصبر ثم الشكر لأن في الصبر الثبات علي الطاعة وفي الشكر الاعتراف بهتمام المنعم.  
 - والشكر مقامان شاهدين: أعلاهما مقام شكور وهو الذي يشكر علي المكروه والشدة، والمقام الثاني من الشكر أن ينظر العبد إلى من هو دونه ممن فضل هو عليه في أمور الدنيا وأحوال الدين، فثبت القلوب، ص ٤٠٦ - ٤٢١.  
 - الشكر: قل يشعر بتعظيم المنعم بسبب كونه منعماً وذلك الفعل إما فعل قلب أعني الاعتقاد أو فعل لسان أعني الذكر. كشف اصطلاحات الفنون للكهنتوي، ج ٤ ص ١١٢.

وقد ورد لفظ الشكر مقترناً بطلب المزيد من العطاء " وأطلب مزيداً بالشكر علي ما نولك " (١) ونحو " اشكر وأطمع " (٢) ونحو الاستشهاد بقوله تعالى: "لئن شكرتم لأزيدنكم" (٣) وكما استخدم التوحيدي الفعل الماضي وفعل الأمر والمصدر من المادة (شكر) فإنه استخدم اسم الفاعل أيضاً " فكان لآلائه من الشاكرين ولنعمه من المستحقين ولفضله من الذاكرين " (٤).

وقد يكون الشكر لله الواحد القهار علي نعمه وآلائه " وأشهد آلائه راعياً لحقه فيها بالشكر " (٥) وقد يكون الشكر للمخلوق الذي يقدم الخير " اقبل نصيحتي بالشكر " (٦) " وإنا كان التوحيدي قد قرن بين الشكر والطمع في المزيد من العطاء، وكذلك بين الشكر والنعمة، فإنه ربط أيضاً بين الشكر والتلذذ والاستمتاع بآلائه، " تتلذذ بالشكر الذي هو مطلوب الخلق " (٧) " وإنا تابع لك المزيد من النعمة، فاعلم أنك معرض للشكر " (٨) ويفرن التوحيدي بين الشكر والخداع فحقيقة وجوهر الشكر عنده مرتبطة بطلب المزيد من العطاء، فإننا اكتفي الإنسان بشكر النعم الموجودة دون طلب الزيادة فقد خدعه الشكر، " وإنا خدعك الشكر برؤية النعم عن طلب المزيد فانتفض بذلك عن رؤية المتعم " (٩)، وإنا ابتعد الناس عن الحق ولم يدركوا حقيقة الشكر أصبح الشكر مذبذباً وصار متلفاً.

- ١ - الإشارات الإلهية، ص ١١١.
- ٢ - المصدر السابق، ص ٢٤٩.
- ٣ - سورة إبراهيم آية ٧.
- ٤ - الإشارات الإلهية، ص ١٧٢.
- ٥ - المصدر السابق، ص ١٢٥.
- ٦ - المصدر السابق، ص ٢٦٩.
- ٧ - المصدر السابق، ص ٧٤.
- ٨ - المصدر السابق، ص ٢.
- ٩ - المصدر السابق، ص ١٧٠.



## - التوكل:

التوكل مقام من مقامات الصوفية ويعني "اعتماد القلب على الله مع عدم الاضطراب عند فقد الأسباب الموضوعة في العالم التي من شأن النفوس أن تركز إليها، فإن اضطرب فليس بمتوكل، وهو من صفات المؤمنين".<sup>(١)</sup>

ويبين لنا التوحيدي معنى التوكل فقال: "يا هذا: عُد بنا إلى آخر مدي التوكل... آخر مدي التوكل غنية صاحبه برؤية المتوكل عليه".<sup>(٢)</sup> "والسكون إليه توكل".<sup>(٣)</sup> فالتوكل نوع من السكون إلى الله سبحانه وتعالى: ويصف التوحيدي التوكل بأنه حصن وحماية للمؤمن فيقول "التوكل حصن المؤمن".<sup>(٤)</sup>

ويقرن التوكل بالخوف فيقول "يا هذا توكل وخف".<sup>(٥)</sup> فإنك إذا توكلت خائفاً آمنك كافياً".<sup>(٦)</sup>

ويذكر التوحيدي أن للتوكل على الله شروطاً منها ذكر نعمه وأفضاله "يا هذا: أمتد لك ريك لتشتاق إليه، وأشهر آلاءه للتوكل عليه".<sup>(٧)</sup>

## - الخوف:

مقام الخوف هو مقام الحيرة، وهو مقام يصحب العالم بالله والخائف هو "الذي يعلم ما

١ - التلويحات المكية، ج ٢ ص ١٩٩.

يقول ابن عربي:

من يتخذ رب العباد وكيلًا

سلك الصراط وكان أقوم قبالًا

سئل أبو تراب النخشي رحمه الله عن التوكل فقال: التوكل طرح البدن في العبودية، وتعلق القلب بالربوبية، والطمانينة إلى الكفيلة. وسئل أبو الوفاء المصيري رحمه الله عن التوكل فقال: ترك تكبير النفس والاتخايع من الحول والقوة. وسئل الجنيد عن التوكل فقال: اعتماد القلب على الله تعالى للمع لآبي نصر السراج ص ٧٨.

٢ - الإشارات الإلهية، ص ١٠٨.

٣ - المصدر السابق، ص ١١٥.

٤ - المصدر السابق، ص ٢٣٨.

٥ - المصدر السابق، ص ٢٤٩.

٦ - المصدر السابق، ص ٢٤٩.

٧ - المصدر السابق، ص ٢٣٤.

هو التجلي، وما هو الذي يرى يوم القيامة، وهو الذي يعلم أن أهل النار لهم نجل يزيد في عذابهم كما أن لأهل الجنة تجلياً يزيد في نعيمهم<sup>(١)</sup> والخوف عند التوحيدي وقاية وحرز<sup>(٢)</sup> لأن معك توحيداً تضيق عنه الأرض والسماء وخوفاً هو حرز<sup>(٣)</sup>.

وقد سبق ذكر أن التوحيدي قرن بين التوكل والخوف، وكذلك قرن بين لفظي (الخوف) والرجاء نحو "وإذا خفنا منك فامزج خوفنا منك برجائنا فيك"<sup>(٤)</sup> "زِنْ رجاءك بالخوف وزنا عدلاً"<sup>(٥)</sup> وقد قرن التوحيدي بين الخوف والأمن "تؤمن خائفاً شخوفاً آمناً"<sup>(٦)</sup> "غَيْبُ خَوْفِنَا فِي أَثْنَاءِ أَمْنِنَا"<sup>(٧)</sup> ويقترن الخوف بسببه وهو الوعيد "ألا خائف من وعيد الله"<sup>(٨)</sup> "الوعيد يُخَوِّفُكَ وَأَنْتَ لَا"<sup>(٩)</sup>.

وردت ألفاظ مرادفة للفظ الخوف مثل (الخشية)، (والرعب) نحو "فاجتهد أن تكون في يقظتك ومنامك ناظراً إلى الله بالخشية والحياء"<sup>(١٠)</sup>، وقوله "أي قرار لرعوب"<sup>(١١)</sup>.

- الرجاء:

"هو مقام مخوف يحتاج صاحبه إلى أدب حاضر حاصل، ومعرفته ثابتة لا يدخلها شبهة"<sup>(١٢)</sup> وقد ذكر عبد الرزاق القاشاني "أن الرجاء أنواع: منه رجاء المجازاة، ورجاء

١ - الفتوحات المكية، ج ٢ ص ١٨٤.

٢ - الخوف حال من مقام العلم، وقد جمع الله تعالى للخائفين ما فرقه على المؤمنين وهو الهدى والرحمة، والعلم والرضوان... فالخوف اسم جامع لحقيقة الإيمان، وهو علم الوجود والإيقان وهو سبب اجتنب كل نهى قل أبو محمد سهيل: كمال الإيمان العلم، وكمال العلم الخوف قوت القلوب: ج ١، ص ٤٥٧ - ٥٠٢.

٣ - الإشارات الإلهية، ص ٢٦٨.

٤ - المصدر السابق، ص ٢ من علامة صحة الرجاء في العبد كون الخوف باطلاً في رجائه، لأنه لما تحقق برجاء شيء خاف فوته لعظم المرجو في قلبه وشدة اغتباطه به. قوت القلوب، ج ١، ص ٤٢٨.

٥ - المصدر السابق، ص ١٧٢.

٦ - المصدر السابق، ص ١٩١.

٧ - المصدر السابق، ص ٢٠٨.

٨ - المصدر السابق، ص ٩٥.

٩ - المصدر السابق، ص ١٤٨.

١٠ - المصدر السابق، ص ٧٩.

١١ - المصدر السابق، ص ٣٢.

١٢ - الفتوحات المكية، ج ٢ ص ١٨٥.

أرباب الرياضات ، ورجاء أرباب القلوب <sup>(١)</sup> .

وقد وردت كلمة (رجاء) مقترنة بالغفـ "لأن معك رجاء هو فوز" <sup>(٢)</sup> ومقترنة باليأس نحو "اليأس معك أرواح من الرجاء في سواه" <sup>(٣)</sup> وذلك في سياق بيان أن أسوأ الأحوال مع الله سبحانه وتعالى هي أفضل من أفضل الأحوال مع غيره، وهذه هي اللذة الحقيقية وقد وردت كلمة (رجاء) مطابقة لكلمة (يأس) "فَقَلْبُ يا إلهنا: رجاءنا علي ياسنا" <sup>(٤)</sup> كما وردت مقترنة (بالطمأنينة) نحو "وإذا سما بك الرجاء إلى الطمأنينة، فاهبط إلى ساحة الخوف بالقلق" <sup>(٥)</sup> .

ويتحقق رجاء أرباب القلوب في قول التوحيدي "وأقررت أعيننا بالنظر إلى وجهك وحقق آمالنا في شري دار عرك، وصدقت رجاءنا بما أسلفتنا من فضلك" <sup>(٦)</sup> .

١ - لطلعت الأعلام، ج ١ ص ٤٨٣ .  
- رجاء المجازاة يعني به الرجاء الذي يبحث العامل على الاجتهاد، وتلذذ عند الخدمة، ويوجب له سماحة نفسه بترك الملاهي وهو ما يتوقعه من المجازاة علي قيامه بالأمر الذي وعد بالثواب عليه وترك النهي الذي توعد بالعقاب علي فعله... أما رجاء أرباب الرياضات فهو تصفية القلوب لتستند بذلك لقاء المحبوب بما يحملون علي أنفسهم من المجاهدات لها علي ترك ما يوفقها، وملاذاتها، هذا النوع من الرجاء ضعيف أيضاً، أما رجاء أرباب القلوب فهو لقاء المحبوب الحق لأن الرجاء للشئ إنما يكون وقت الغيبة، ولأن الأمر عند هذه الطلقة إنما يليق علي المحذور والمشاهدة صال الرجاء عندهم من المراتب الإلهية.  
- قال أبو بكر الوراق: الرجاء ترويح من ألم قلوب الخائفين ولولا ذلك ثلثت نفوسهم، ونهلت عقولهم الدم من ٩١ - ٩٢ .

٢ - الإشارات الإلهية، ص ٢٦٨ .  
٣ - المصدر السابق، ص ١٥٧ .  
٤ - المصدر السابق، ص ٢٠٨ .  
٥ - المصدر السابق، ص ١٧٠ .  
٦ - المصدر السابق، ص ٨ .  
- عرفت الجرجاني الرجاء فقال: الرجاء الطمع في الأجل. التعريفات ص ٢٤١ .

#### - الوجد،

\* الوجد عند الطائفة عبارة عما يصادف القلب من الأحوال المغنية له عن شهوده الحاضرين، وقد يكون الوجد عندهم عبارة عن شدة الحزن في القلب<sup>(١)</sup>.

ويحدد التوحيدي معنى الوجد في قوله \* الوجد يرتفع عن تحديده بنظم لفظ، وترتيب حرف، لأنه صوت من حضرة الحق<sup>(٢)</sup>.

ويربط التوحيدي بين الوجد والذكر، ويحدد العلاقة بينهما \* إذا ذكرته فاذكره وإجداً به، وإذا وجدته فجدّه ذاكراً له، علي أن الذكر وجد ولكن من ناحية العبادة، والوجد ذكر أيضاً، ولكن من ناحية الاستفادة، والوجد مستغرق للصفات كلها بالمحو والذكر مستغرق للسمات كلها بالزهو، فإذا اصطرع الذكر والوجد كانت الغلبة للوجد، لأن الذكر قد يذكر وهو غير واجد، والواجد لا يجد إلا وهو ذاكراً<sup>(٣)</sup>.

وقد استخدم التوحيدي في الفقرة السابقة المصدر (وجد)، اسم الفاعل (واجد) وفعل الأمر (جد) والفعل المضارع (يجد) وقد وضع التوحيدي دلالة لفظ (الوجد) من خلال عقد مقارنة بينه وبين لفظ (الذكر) والوجد درجات \* فارتق في معارج الوجد إلى نهاية مُسَلَّمَةٍ<sup>(٤)</sup> واقترن لفظ الواجد بلفظ التلذذ نحو \* تَلَذُّذُ الْوَاجِدِ<sup>(٥)</sup>.

١ - الفتوحات المكية، ج ٢، ص ٥٣٧.

- وهناك فرق بين الوجد والتواجد يقول ابن عربي: التواجد: استدعاء الوجد لأنه تعمل في تحصيل الوجد، فإن ظهر علي صاحبه بصورة الوجد فهو كاذب، مراد، متعلق لا حظ له في الطريق، ومن حقيقة الوجد أن يأتي علي القلب بختة، فالوجد كسب والتواجد تكسب.

ولا مقام لله حكيم وساطع	إن التواجد لا حصل فحمله
وماله من طريق القوم ميزان	يزري بصاحبه في كل طائفة
والنقص ما فيه في التحقيق رجحان	بل ذمه القوم لما كان منقصه

فالوجد لهيب يتأجج من شهود عارض مقل.

٢ - الإشارات الإلهية، ص ١٩٧.

٣ - المصدر السابق، ص ١٩٦.

٤ - المصدر السابق، ص ١٦٩.

٥ - المصدر السابق، ص ٢٣٤.

## - التوحيد:

التوحيد مقام من مقامات الصوفية يعني " التعمل في حصول العلم في نفس الإنسان أو الطالب بأن الله الذي أوجده واحد لا شريك له في الوهيته والوحدة صفة الحق، والاسم منه الأحد والواحد " (١).

ورد (التوحيد) لفظاً ومعني كثيراً في (الإشارات الإلهية) وهذا ما دفع أستاذنا الدكتور مصطفى الشكعة إلى ترجيح أن ذلك هو السبب في تلقيب أبي حيان بالتوحيدي فاللفظ التوحيدي وعباراته تفيض توحيداً وإيماناً بالله.

ويوضح التوحيدي معني التوحيد فيقول: " التوحيد نور الله في قلب العبد " (٢).  
و"التوحيد حياة النفوس" (٣). " ومثْنُ التوحيد مشاهدة الواحد بالضمير المعتقد علي الآخر علي مباينة كل ما سواه " (٤).

وتوحيد العارف عند التوحيدي " تضيق عنه الأرض والسماء " (٥) وهو توحيد " لا يشويه إشراك " (٦) وقد ورد اللفظ يحمل هذه الدلالة.

من الألفاظ التي وردت مصاحبة للفظ التوحيد لفظ (علياء) نحو " إذا سما بك العزُّ إلى علياء التوحيد فتقدَّس قبل ذلك عن كل ماله رسم في الكون، وأثر في الحس " (٧) ولفظ

١ - التوحيدات المبكية، ص ٢٨٨.

٢ - فالتوحيد هو اعتقاد الروحانية له سبحانه وتعالى وهو علي مراتب: توحيد العظمة، توحيد الخاصة، توحيد الخاصة الخاصة.

٣ - لفظ الأعلام، ص ٣٦٧.

٤ - قال الجنيد رحمه الله: التوحيد هو الخروج من ضيق رسوم الزمانية إلى سعة فناء السرمديّة، وقال الثبلي رحمه الله: من

اطلع على ذرة من علم التوحيد ضحك عن حمل بقلته لثقل ما حمل، وقال معناه والله أعلم: أن السموات والأرض

وجميع ما خلق الله عز وجل يتصاعق في عينه عندما يشاهد بقله بالحوار التوحيد من عظمة الله عز وجل. اللع لأبي نصر السراج، ص ٤٩ وما بعدها.

٥ - الإشارات الإلهية، ص ٢٣٨.

٦ - المصدر السابق، ص ٢٣٧.

٧ - المصدر السابق، ص ١٠٧.

٨ - المصدر السابق، ص ٢٦٨.

٩ - المصدر السابق، ص ١.

١٠ - المصدر السابق، ص ٢٤٣.

أوائل " فليستأنف أوائل التوحيد " (١) ولفظ (مُصاص) " مُصاص التوحيد " (٢) ولفظ (غيب) " إذا تَرَكْتُمُوا لك بغيب التوحيد على أَلحان المعرفة فاشخصن عن مكانك " (٣) ولفظ (أَلحان): " وإذا نَعَم لك بأَلحان التوحيد فامطرب عليها بأصناف التمجيد " (٤) ولفظ (حقائق) " وإن كانت أعمالنا قاصرة عن غايات حقائق التوحيد والمعرفة فنسألك أن لا تُرُدَّ علينا هذه الثقة بك " (٥) كما ورد لفظ (التوحيد مقتربنا بلفظ (المعرفة) نحو: " قد سمعت فنوناً من القول في المعرفة والتوحيد " (٦) والتوحيد هبة من الله سبحانه وتعالى للإنسان: " وهبت لنا من توحيدك " (٧) لذلك علينا أن نفرح بهذه الهبة " ألا مسرود بتوحيد الله " (٨) ونطلب من الله سبحانه وتعالى المثوبة علي توحيدك " ذَوَّقْنَا حلاوة الثقة بكرمك ، وهبئ مؤونتنا على توحيدك " (٩) ولفظ (الواحد) يحمل دلالة المولي سبحانه وتعالى وقد ورد في شواهد التوحيدي من القرآن الكريم قوله تعالى: " أَلَزَيْتَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ " (١٠) وفي شواهد من الشعر (١١):

قالوا سررت بيوم العيد ؟ قلت لهم ولا علمت به والواحد الصمد

١ - المصدر السابق، ص ٢٢٧.

٢ - المصدر السابق، ص ٦٦.

٣ - معاصم التوحيد: أي خلاصة التوحيد.

٤ - الإشارات الإلهية ، ص ٢٤٢.

٥ - المصدر السابق، ص ١٧٦.

٦ - المصدر السابق، ص ١.

٧ - وردت كلمة أصلاً في بعض النسخ أصارنا، وأعتقد أن الأصل أفضل، فهي التي تقصر عن الوصول لمحقق التوحيد.

٨ - المصدر السابق، ص ٢١٨.

٩ - المصدر السابق، ص ٢.

١٠ - المصدر السابق، ص ٩٥.

١١ - سورة يوسف، آية ٣٩.

١٢ - الإشارات الإلهية، ص ٢٢٩.

ورد اسم الفاعل (الموحدين) للدلالة على الإنسان الذي يشهد بالوحدانية لله سبحانه وتعالى نحو "موحدين لك عارفين بك" (١).

- التصوف:

وهو مقام من مقامات الصوفية ومعناه "الوقوف مع الآداب الشرعية ظاهراً، وباطناً وهي الأخلاق الإلهية، ويقال للتصوف ببرزاء إتيان مكارم الأخلاق، وتجنب سفاسفها وقالوا: التصوف حسن الخلق وتزكية النفس بمكارم الأخلاق" (٢).

وقد ورد لفظ (التصوف) عند التوحيدي حاملاً دلالة قريبة من الدلالة السابقة حتى إن التوحيدي يحدد دلالة التصوف بأنه (التذلل للحق سبحانه وتعالى بكافة ألوان الطاعات وأشكالها يقول التوحيدي: "التصوف اسم يجمع أنواعاً من الإشارة، وضروباً من العبارة وجملة التذلل للحق" (٣) لذلك يعتبر التوحيدي التصوف طريقاً يسلك "ببوح البلاغة على طريق التصوف" (٤).

وسالك هذا الطريق هو (الصوفي) وجمع هذا اللفظ على (الصوفية) وقد ورد هذا اللفظ وهو يحمل الدلالة السابقة في قوله: "أعظم بأجمل تحية سائر نبي الفضل من الصوفية فإنهم ملوك الدنيا وسادة الآخرة" (٥).

١ - المصدر السابق، ص ٥٧.

٢ - لطائف الأعلام، ج ١ ص ٣٢١.  
- وقيل التصوف هو التخلق بالأخلاق الإلهية، وهو تصفية القلب من موازنة البرية، ومفارقة الأخلاق الطبيعية وإخماد الصفات البشرية. كثافت اصطلاحات الفنون، ج ٤ ص ٢٤٣.

٣ - وقيل حقيقة التصوف قاء صفة العبد، وقفاء صفة العبد تكون بقاء صفة الحق. كثف المحبوب، ج ١ ص ٢٣٢.  
٤ - الإشارات الإلهية، ص ١١٣.

٥ - المصدر السابق، ص ١٢٨.  
- وردت هذه العبارة في تحقيق الدكتور عبد الرحمن بدوي ص ١٥٦ بكيفية مخالفة وهي: بفتح البلاغة على طريق التصوف، وفي رأيي هو الصواب.

٥ - المصدر السابق، ص ١٢٦.  
- الصوفي: عند أهل التصوف فإن بنفسه باق بالله تعالى مستخلص من الطوائع متصل بحقيقة الحقائق. كثف اصطلاحات الفنون ج ٢ ص ٢٤٢.  
- وقيل: الصوفية هم أولئك الذين تجردت أرواحهم من كثرة البشرية وسفوا من الآفات النفسية وخلصوا من الهوى. كثف المحبوب للهجويري ج ١ ص ٢٣٦.

#### - الصدق:

الصدق مقام من مقامات الصوفية يدل على شدة وصلابة في الدين \* وعند الطائفة الصدق هو الموافقة للحق في الأقوال، والأفعال والأحوال، ولا شك أن ذلك لا يتم إلا ممن كمل في قوة ضبطه لنفسه في جانبي العلم والعمل<sup>(١)</sup>.

وقد ورد لفظ (الصدق) يحمل هذه الدلالة كما ورد مقترناً بلفظي (المحبة) و(الإخلاص) نحو " ثبتت المحبة بالصدق، وجل في أثناء الصدق بالإخلاص " <sup>(٢)</sup> ولذلك وجد التوحيدي للصدق شأراً نجني وفوائد لا تنكر "التأيد أن تلمثن إلي خطرات الحق مجتنباً ثمرات الصدق " <sup>(٣)</sup>.

ولكى يصل الإنسان إلي هذه الثمار فعليه الوصول لديار الصدق أو مساكن الصدق يقول التوحيدي " قَدِّم قدمك إلي ديار الصدق ومساكنه " <sup>(٤)</sup>.

وورد تركيب \* لسان الصدق \* للدلالة على ظاهر الصدق أو مظهره \* فلفظي إنه ليحلو العشق ويطلب الحديث وتُجمل المقالة ويحسن الذكر وينشر لسان الصدق في الآخرين <sup>(٥)</sup> ويستخدم التوحيدي أيضاً تركيب \* مواد الصدق \* للدلالة على حقيقة الشيء وأصله \* إن هذا الحق جاد بمواد الصدق <sup>(٦)</sup>، واستخدم التوحيدي تركيب (روائد الصدق) والرائد هو دليل القوم ومرشدهم وحامل البشري لهم وهو الذي لا يكذب قومه، ولذلك استخدم التوحيدي

١ - لطف الأعلام، ج٢ ص ٥٨.  
 قيل لابي يزيد السطاسي ما اسم الله الأعظم الذي به تنقل الأشياء قلل أروني الأصغر حتى أرىكم الأعظم ما هو إلا الصدق.  
 وخذ أي اسم شئت لسماء الله كلها عظيمة.  
 فلولا الصدق ما كان الوجود  
 ٢ - الإشارات الإلهية، ص ٦٦.  
 ٣ - المصدر السابق، ص ٢٢٩.  
 ٤ - المصدر السابق، ص ١٩١.  
 ٥ - المصدر السابق، ص ١٢٨.  
 ٦ - المصدر السابق، ص ١٢٨.



هذا التركيب للدلالة على العلامات الصادقة التي لا تخدع " كانوا إذا بَرَزُوا لك صفحات وجوههم رأيت تباشير الخير عليهم وروايد الصدق معهم" (١).

ويقرن التوحيد بين لفظي (الصدق) و (الهدى) في سياق إنكار محاسن الشخص البعيد عن الحق والرشد " ولا في حركاتك هُذَي الصادقين، ولا في كلماتك صدق المهتدين" (٢).

- الزهد:

وهو من مقامات الصوفية الذي يعني إسقاط الرغبة في الشيء بالكلية فالزهد "إمسك النفس عن اشتغالها بملذ البدن وقواها إلا بحسب ضرورة تامة" (٣).

وقد ورد لفظ (الزهد) يحمل هذه الدلالة كما ورد اسم الفاعل (زاهد) مع ضده (راغب) وذلك في سياق التوبيخ والتقريع للإنسان المقل على الدنيا ويهرجها المعرض عن الآخرة ونعيمها " أيها الراغب في العاجلة، الزاهد في الآجلة" (٤).

وللزاهد سمات سلوكية وشكلية خاصة وهذا ما عبر عنه التوحيدي بقوله " وليس على وجهك سحناء الزاهدين" (٥).

١ - المصدر السابق، ص ٩٥.

٢ - الإشارات الإلهية، ص ١٩٩.

٣ - لطائف الأعلام، ج ١ ص ٥٠٩.

- الزهد هو لغة الإعراض عن الشيء استغناء له من قولهم: شيء زهيد، وقال الجنيد: الزهد خلو القلب من الأملاك.

والقولب من التبع أي الطلب. كشف اصطلاحات الفنون ج ٣ ص ١٠٧.

- قال ابن عيينة: حد الزهد أن يكون شاكرًا عند الرخاء صابرًا عند البلاء.

- قال الفضيل بن عياض رحمه الله: الزهد من القناعة فكانت الدنيا عذبة هي الحرص والشر.

- وقال الثوري: الزهد هو قسر الأمل، فكانت الدنيا عذبة بطول الأمل. قوت القلوب ج ١ ص ٥١١.

٤ - الإشارات الإلهية، ص ٢٠٤.

٥ - المصدر السابق، ص ١٩٩.

- قيل الزاهد: هو من لا يأخذ من الدنيا إلا قوتًا.

- وقيل الزاهد: الذي شغل نفسه بما أمره مولاه وترك شغله عن كل ما سواه كشف اصطلاحات الفنون ج ٣ ص ١٠٨.

وورد الفعل "تَرْغَبُ" مبني للمجهول، وكذلك "تُرْهِدُ"، وذلك لإظهار التناقض الذي يعيشه الإنسان "شام مُطلقاً وتكَلَّفُ مستطاعاً وتَرْغَبُ زاهداً، وتُرْهِدُ راعياً"<sup>(١)</sup>.  
- الشوق:

ويعنون بمقام الشوق "قواصف قهر المحبة بشدة ميلها إلى إلحاق المشتاق بمشوقه والعاشق بمشوقه"<sup>(٢)</sup> فهو هبوب القلب إلى غائب.

وقد ورد لفظ (شوقي) يحمل دلالة شدة الرغبة في فضل الله نحو "على أن شوقي إلي محاسن فضلك وغرائب علمك وظواهر خلقك وبدائع فطنتك"<sup>(٣)</sup>.

كما وردت ألفاظ (تشويك)، (شوقتنا) للدلالة أيضاً على شدة الرغبة نحو "اللهم لا تحرمنا هذه المقامة فإنك أنطقتنا بوصفها، وشوقتنا إليها بذكرها، فبحرمة إنطالقك لنا بوصفها ويزمام تشويكك إيانا إياها إلا أنعمت بالنار بالقرار معك"<sup>(٤)</sup>.

ولكن شدة الشوق والرغبة في هذا السياق تكون لحال ومقام معين، رغب فيه الصوفي وعشقه وتغني به، وقد يكون الشوق للذات الإلهية نفسها والتطلع لرؤية وجه الله الكريم نحو قول التوحيدي "وأغز في أضعاف ذلك إلي من له الأمر القويم، فلعله ييسر ما قد طال الشوق إليه"<sup>(٥)</sup> والشوق قد يكون لغاية مجهولة نحو قول التوحيدي: "إذا هفا بك الشوق إلي غاية مجهولة فارق في معارج الوجد إلى غاية مُسَلَّمة"<sup>(٦)</sup>.

١ - المصدر السابق، ص ١٩١.

٢ - لطائف الأعلام، ج ٢ ص ٤٥.

٣ - قيل للعراق كلهم مقام الشوق وليس لهم مقام الاشتياق ومن دخل في حال الاشتياق هام فيه حتى لا يرى له أثر ولا قرار، وقيل الشوق حب الموت مع الراحة، وقال ابن عطاء حين سئل عن الشوق: اشتراق الأحشاء، وتلهب القلوب وتقطع الأكباد.

٤ - سئل بعضهم عن الشوق فقال: هيمان القلب عند ذكر المحبوب وقال آخر: الشوق نار الله تعالى لشملها في قلوب أوليائه. اللمع، ص ٩٥.

٥ - الإشارات الإلهية، ص ١٢٧.

٦ - المصدر السابق، ص ٨.

٧ - المصدر السابق، ص ١٢٧.

٨ - المصدر السابق، ص ١٦٩.

- الإحسان،

" الإحسان اسم جامع لجميع أبواب الحقائق وهو أن تعبد الله كأنك تراه " (١) وقد ورد لفظ إحسان يحمل دلالة تفضل الله على عباده " وألیم شعثنأ بضروب إحسانك واحتّم أعمالنا برحمتك وغفرانك " (٢) كما ورد لفظ (إحسان) مع الفعل الماضي (أَحْسَنَ) في سياق تذكير العبد بفضل الله عليه " وأحسن إليك بأحسن الإحسان " (٣) ونحو " أي آلائه قد نشرت ، أم أي إحسانه ذكرت " (٤).

وورد لفظ (الإحسان) يحمل دلالة حسن عبادة العبد لربه نحو: " اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مَا نَسْأَلُ، لَا مِنْ ثِقَةٍ بَبِيضٍ وَجْهِهِ عِنْدَكَ... وَسَوَإِلِفِ إِحْسَانِنَا قَبْلَكَ " (٥) وورد لفظ (المحاسن) يحمل دلالة الصفات الحمودة في الإنسان. والأخلاق الفاضلة وذلك في سياق وصف الشيخ الذي ارتفعت عليه الفضائل وحنّت له القلوب " لا زالت المحاسن تحبو إليك " (٦).

- اليقين

وحكم اليقين " سكون النفس بالمتيقّن أو حركتها إلي المتيقّن، وهو ما يكون الإنسان فيه على بصيرة أي شيء كان " (٧) فالإنسان يسكن ويطمئن لما غاب عنه بناء على ما حصل الإيمان به وارتفع الريب عنه.

- ١ - لطائف الأعلام، ج ١ ص ١٧٧.
- وصدق التوجه هو مقام الإحسان فتكون قفماً بوظائف الجودية مع شهودك لئلا يقول ابن عربي في مقام الإحسان وصدق التوجه: إنما هو أرض عاكسة، فحيد الله كلك تراه في ذلك بحيث تصير على ما يلقى بجلاله تعالى.
- ٢ - الإشارات الإلهية، ص ١٩٠.
- ٣ - المصدر السابق، ص ١٩١.
- ٤ - المصدر السابق، ص ٢٠٠.
- ٥ - المصدر السابق، ص ١.
- ٦ - المصدر السابق، ص ١٩٥.
- ٧ - الفتوحات المكية، لابن عربي ج ٢ ص ٢٠٤.
- قال أبو يعقوب النهرجوري رحمه الله: إذا استكمل العبد حقائق اليقين صلب البلاء عنده نعمة والرجاء يقيناً.
- قال بعض المارفين: أول مقام اليقين الثقة بما في يد الله والإيمان بما في أيدي الناس.
- قال الجنيد: اليقين ارتفاع الشك. التمع ص ١٠٢ وما بعدها.

وقد ورد لفظ (اليقين) يحمل دلالة أعلي من الإيمان فالإنسان متى تحرر من عيوب النفس، وأمراضها جاء "اليقين تلوا الإيمان" (١) فاليقين مقام من مقامات العارفين. وورد لفظ (إيقاناً) يحمل الدلالة السابقة نحو "ومعك إيقانٌ يزيد على كل زَيْن" (٢) كما ورد فعل الأمر (تَيَقَّنْ) يحمل دلالة الثبات "أخلص وتيقن" (٣)، ويقرن التوحيدي بين (اليقين) و(الظن) في مواضع كثيرة وذلك للدلالة على الإحاطة والعموم نحو "خيرك المحيط بنا حسب ظننا وبقيننا" (٤) وفي سياق إظهار الضيق والغضب من اختلاط الأمور وعدم وضوحها "وأها لنفس منبت بهوى شديد... بين ظن موسوم بيقين" (٥) وكذلك يقترن لفظ (اليقين) بلفظ قريب من معناه ودلالته هو (العلم) "فكرٌ يخالطه جهل وجنون ويفارقه علم ويقين" (٦) وكذلك لفظ (حق) نحو "وهناك تشقُّ الجَنب شقاً وتجد ما تجد يقيناً وحقاً وتثال ما تناله عياناً ونوقاً" (٧).

- اليقظة،

اليقظة أول منازل السائرين.. "لكون السلوك لا يصح مع عدمها إذ كان معناها الانتباه من سنة الغفلة والنهوض من ورطة الفترة اعتباراً بأهل البلاء وتفرغاً للشكر على النعماء" (٨).

ورد لفظ (اليقظة) دالاً على حالة الانتباه التي يجب على الإنسان أن يحياها دائماً

١ - الإشارات الإلهية، ص ٢٤٧.

٢ - الإشارات الإلهية، ص ٢٦٨.

٣ - المصدر السابق، ص ٢٤٩.

٤ - المصدر السابق، ص ٢٢٩.

٥ - المصدر السابق، ص ٢٤٠.

٦ - المصدر السابق، ص ٢٤٠.

٧ - المصدر السابق، ص ٢٢٩.

٨ - لطائف الأعلام، ج ٢ ص ٤٠٤.

- وقيل اليقظة: هي اللهم عن الله في زجره. التعريفات ص ٢٤٤.

١٣ حفظ باليقظة نفسك \* (١) \* فاجتهد أن تكون في يقظتك ومنامك ناظراً إلى الله بالخشية والحياء \* (٢).

وقد استخدم التوحيدي لفظ (نوم) مطابقاً للفظ (يقظة) \* حَرَّمَ على بالك أن يلم به الهَوِينَا وَالْفُتُونُ وَإِنَّا حَلُمْت بِمِرَاك فِي النُّومِ فَتَعَلَّلْ بِهِ فِي الْيَقَظَةِ \* (٣) وقد ورد لفظ (الغفلة) بحمل دلالة مضادة لدلالة (اليقظة) \* الْغَفْلَةُ غَلْبَةٌ وَالْأَحْدَاثُ سَالِيَةٌ \* (٤) ورد اسم الفاعل (مستيقظ) يحمل دلالة الإنسان المتصف باليقظة وذلك في سياق النفي والتوبيخ للإنسان الذي حجب عن هذه الصفة \* وَلَا فِي أَوْقَاتِكَ مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّكَ مِنَ الْمُسْتِيقْظِينَ \* (٥) كما ورد اسم الفاعل (غافل) وذلك في سياق التنبيه والتفريع نحو \* انتبه يا غافل \* (٦).

ويورد اسم الفاعل (متغافل) \* أَيُّهَا الْمُتَغَاوِلُ عَنْ حَظِّهِ \* (٧) وذلك أيضاً في سياق التفريع والتوبيخ مع قصد الغفلة أما استخدام اسم الفاعل (غافل) تكون الغفلة فيه بغير إرادة من الإنسان.

- ١ - الإشارات الإلهية، ص ١٢٣.
- ٢ - المصدر السابق، ص ٧٩.
- ٣ - المصدر السابق، ص ٦.
- ٤ - استخدم الدكتور عبد الرحمن بنوي تحبير حلمين بدلاً من حلمت واعتقد أن استخدام الدكتور وداد القاسبي لكلمة حلمت هو الأقرب لأنها تتناسب النوم واليقظة.
- ٥ - المصدر السابق، ص ١٤٤.
- ٦ - المصدر السابق، ص ١٩٩.
- ٧ - المصدر السابق، ص ٢٠٥.
- ٨ - المصدر السابق، ص ١٤٠.

## المجال الدلالي الفرعي الثاني الألفاظ الدالة على المصطلحات الصوفية

- المعرفة،

\* في اصطلاح الطائفة: عبارة عن إحاطة العبد بعينه، وإدراك ما له وما عليه<sup>(١)</sup>.  
ورد لفظ (المعرفة) يحمل دلالات متعددة قام التوحيدي بتفسيرها وشرحها نحو " المعرفة مصباح القلب"<sup>(٢)</sup> " المعرفة الفوز بالقدس"<sup>(٣)</sup> " معرفة الله روضة من رياض العقل"<sup>(٤)</sup> .  
عمّق المعرفة سكون النفس إلى المعروف بما لا يلبس النفس من الأئس<sup>(٥)</sup> .  
وفي سياق الحديث عن المعرفة الإلهية يقول التوحيدي " يا هذا: رياض الأئس زاخرة وحنائق المعرفة ناضرة، ويحار النعيم زاخرة"<sup>(٦)</sup> . يا هذا: إذا ترئموا لك يغيب التوحيد على ألمان المعرفة فاشخصن عن مكائلك"<sup>(٧)</sup> وقد ورد لفظ (المعرفة) مقترناً بالنسب إلى لفظ (الإله) نحو " فأما المعارف والإلهيات وما في حوزتها ويجري في جملتها فما يحل أن تكابرني عليها"<sup>(٨)</sup> كما يقترن لفظاً (المعرفة) و(التوحيد) وذلك لأن التوحيد ناتج عن

١ - لطائف الأعلام، ج ٢ ص ٣٢١ .  
هناك أنواع من المعرفة فالمعرفة الحقيقية: هي الجامعة بين معرفة النفس ومعرفة الرب وهناك المعرفة العيانية: وهو ما يحصل من الشهود لمن فجاء الحق بتجل غير منضبط .  
- والمعرفة على ثلاثة أوجه: معرفة إقرار ومعرفة حقيقة ومعرفة مشاهدة .  
وسل بعضهم عن المعرفة قل: تحقيق القلب ببلجات وحدانيته بكامل صفاته وأسمائه؛ فقه المتفرد بالعر والقدرة والسلطان .  
قل الشبلي: ومن علامة المعرفة أن يرى نفسه في قبضة العزة، ويجري على تصاريق القدرة ومن علامة المعرفة المحبة لأن من عرفه أحبه. المص لأبي نصر السراج، ص ٥٦ وما بعدها .  
٢ - الإشراف الإلهية، ص ٢٢٨ .  
٣ - المصدر السابق، ص ٢٣٧ .  
٤ - المصدر السابق، ص ٢٣٧ .  
٥ - المصدر السابق، ص ١٠٧ .  
٦ - المصدر السابق، ص ٣٠٢ .  
٧ - المصدر السابق، ص ٢٤٢ .  
٨ - المصدر السابق، ص ٦٤ .

معرفة سليمة وعميقة بالله \* وإن كانت أعمارنا قاصرة عن حقائق التوحيد والمعرفة  
فنسألك ألا ترد علينا هذه الثقة بك<sup>(١)</sup>.

وورد لفظ (العلم) مرادفاً للفظ (المعرفة) \* العلم شعور الروح<sup>(٢)</sup> \* إذا توالي عليك  
هاتف العلم فاعلم أنك محتوث على العمل<sup>(٣)</sup> \* وورد اسم الفاعل (عارف) للدلالة على  
الإنسان المتصف بصفة المعرفة \* وإن كنت عارفاً فأين انيسامك<sup>(٤)</sup> \* وهذه المعارف  
بهذه النعوت هي ستلايم قلوب العارفين في الترقى إلى ساحة الربوبية<sup>(٥)</sup> \* نصفها صفة  
العارفين بك<sup>(٦)</sup> \* ويقصد الدنيا \* اسلكنا في سبيل مرضاتك على شمائل العارفين بك<sup>(٧)</sup>.

ورد لفظ (الجهل) مطابقاً للفظ المعرفة في قوله \* ما أشنع الجهل في وقت  
العلم<sup>(٨)</sup> \* وورد اسم الفاعل (جاهل) في قوله: \* نصحبها صحبة الجاهلين<sup>(٩)</sup> أي  
الدنيا.

وكذلك ورد لفظ (العرفان) مصدراً مرادفاً لكلمة المعرفة نحو: \* إذا زخرفت لك العين  
شاهد الوجدان ، فاستند أنت إلى ركن العرفان<sup>(١٠)</sup>.

- ١ - المصدر السابق، ص ١.
- ٢ - الإشارات الإلهية، ص ٢٢٧.
- ٣ - المصدر السابق، ص ٢.
- ٤ - المصدر السابق، ص ٢٩١.
- ٥ - المصدر السابق، ص ١٠٢.
- ٦ - المصدر السابق، ص ٣٥٧.
- ٧ - المصدر السابق، ص ٣٠٠.
- ٨ - قال أبو يزيد البسطامي حين سئل عن صفة العارف: لون الماء لون إنله إن سببته في إباء أبيض خلته أبيض، وإن  
سببته في إباء أسود خلته أسود. التمع ص ٥٧.
- ٩ - المصدر السابق، ص ٣٥٧.
- ١٠ - المصدر السابق، ص ١٧١.

- الإراحة.

الإرادة هي "لوعة في القلب" <sup>(١)</sup> ويبين التوحيدي دلالة (الإرادة) فيقول "الإرادة تصوّر القلب" <sup>(٢)</sup> واللفظ شرة الإرادة" <sup>(٣)</sup> ويرد لفظ (الإرادة) مرادفاً لـ (الاختيار) "إذا استعرقك رؤية الاختيار فالتفت إلي واد أحكام الاضطرار" <sup>(٤)</sup> كما ورد لفظ الإرادة مطابقاً للفظ (الاضطرار) ويرد لفظ (الإرادة) والمقصود به الإرادة الإلهية "والي إرادتك انتهينا" <sup>(٥)</sup> ومن الألفاظ التي وردت مطابقة للفظ (الإرادة) لفظ (التسليم) وإن كنت من أهل القصة فتجزع بالتسليم مرارة الغصة" <sup>(٦)</sup> ويستخدم التوحيدي الفعل (أردت) في أسلوب الشرط بمعنى الرغبة في القيام بأفعال معينة "إذا أردت ذكر الحق فانس ما سواه وإذا أردت قزيه فابعد عن كل ما عداه، وإذا أردت المكانة عنده فذغ ما تنهواه لما تراه، وإذا أردت الدعاء إليه فميز مالك مما عليك في دعواه" <sup>(٧)</sup> وورد لفظ الإيراد مطابقاً للفظ الإصدار "ماجت الأحوال بين الإيراد والإصدار" <sup>(٨)</sup>.

- الإشارة.

هي الإخبار من غير الاستعانة بالتعبير باللسان، وقيل "ما يخفي على المتكلم كشفه بالعبرة للطفة معناه" ، قال أبو علي الروزباري رحمه الله: "علمنا هذا علم إشارة فإذا

١ - لطف الأعلام، ج ١ ص ١٨٩.  
الإرادة في اللغة نزوع النفس وميلها للفعل بحيث يحملها عليه ومن أنواعها عند الصوفية إرادة الطبع ومتعلقها الحظ النفسي وإرادة الحق ومتعلقها الإخلاص. ومنها إرادة التمني.  
- قال الجنيد: الإرادة أن يعتقد الإنسان الشيء ثم يعزم عليه ثم يريد، والإرادة بعد صدق التنية.  
- وقيل الإرادة: الإقبال بالكيفية على الحق والإعراض عن الخلق وهي ابتداء المحبة. كشف اصطلاحات الفنون ص ٣٢ وما بعدها.  
٢ - الإشارات الإلهية، ص ٢٢٩.  
٣ - المصدر السابق، ص ٢٣٨.  
٤ - المصدر السابق، ص ١٦٩.  
٥ - المصدر السابق، ص ٢٣٩.  
٦ - المصدر السابق، ص ١١١.  
٧ - المصدر السابق، ص ٨٥.  
٨ - المصدر السابق، ص ٢٤٢.



صار عبارة خفي<sup>(١)</sup>.

وقد ورد لفظ (الإشارة) يحمل هذه الدلالة في عبارات التوحيدي \* هذا رمز وراءه رمز وإشارة فوقها إشارة<sup>(٢)</sup>، \* تغنى العبارة وتزول الإشارة<sup>(٣)</sup> \* أجعل علمنا كله بك وتقدسنا كله لك، وثناءنا كله عليك، وإشارتنا كلها إليك<sup>(٤)</sup>، \* كثرت العبارة فحقق الإشارة<sup>(٥)</sup>.

وقد كثر ورود لفظ (الإشارة) مقترنا بلفظ (العبارة) والكلمتان متضادتان، وهي طريقة التوحيدي المتكررة في إبراز المعاني وتوضيحها \* أيها المبدلُ بالعبارة هل لك حقيقة في الإشارة<sup>(٦)</sup> وقوله \* إشارتك أنكد من عبارتك، وعبارتك أفسد من إشارتك<sup>(٧)</sup> - البوادي والخوافي،

بين لفظي (البوادي) و (الخوافي) طباق ويقترن اللفظان دائماً في التعبير نحو قول التوحيدي \* ثم أين أنت عما وراء ذلك مما لا يبدو إلا بإذن الحق الذي أخفي الخوافي في البوادي، وأبدي البوادي في الخوافي، ثم حكم البوادي على أنها الخوافي، وعكس الخوافي على أنها البوادي<sup>(٨)</sup> والسياق الذي ورد فيه اللفظان سياق يبين \* عظيم قدرة الله سبحانه وتعالى.

١ - اللعم، لآبي نصر السراج الطوسي، تحقيق: د/ عبد العظيم محمود، طه عبد الباقي سرور، القاهرة، دار الكتب الحديثة، ١٩٦٠، ص ٤١٤.

- علم الصوفية علم إشارة وهو علم إشارة لأن مشاهدات القلوب ومكتشفات الأسرار لا يمكن العبارة عنها على التحقيق، بل تعلم بالمنازلات والمواعيد، ولا يعرفها إلا من نازل تلك الأحوال وحل تلك المقامات ويقال فلان صاحب إشارة أي كلامه مشتمل على الطلقات والإشارات و علم المعارف، والإشاريون هم المشتغلون بعلم الإشارة من علوم الصوفية التي تسمى علوم الأحوال ومنها علوم المشاهدات والمكتشفات.

٢ - الإشارات الإلهية، ص ١٧٥.

٣ - المصدر السابق، ص ١٩٨.

٤ - المصدر السابق، ص ٢٢٠.

٥ - المصدر السابق، ص ٢٢٧.

٦ - المصدر السابق، ص ٢٢١.

٧ - المصدر السابق، ص ٢٠٠.

٨ - الإشارات الإلهية، ص ٦.

وورد لفظ (الباطن) مرادفاً للفظ (الخوفي) نحو قول التوحيدي " فَاكْدُذْ نَفْسَكَ أَنْتَ بِيَوَادِي الْبَاطِنِ " (١).

- البسط والقبض،

يقول ابن عربي " اعلم وفقك الله أن البسط عند الطائفة عبارة عن حال الرجاء في الوقت... والبسط عندنا حال حكم صاحبه أن يسع الأشياء ولا يسعه شيء، وحقيقة البسط لا تكون إلا لرفع المنزلة رفيع الدرجات " (٢).

والمقصود بالقبض " وارد يرد على القلب مما يوجب إشارة إلى عتاب أو تأديب فيحصل في القلب لا محالة قبض لذلك " (٣).

وقد ورد اللفظان يحملان تلك الدلالة نحو " لك أحوالٌ في قبضك وبسطك " (٤) ويستخدم التوحيدي فعلي (القبض) و (البسط) وهما من أفعال الله سبحانه وتعالى مع عباده نحو " وَعَتَدَ مَثْوَاكَ، وَهُوَ مَالُكَ وَمَصْرُفُكَ، وَهَادِيكَ وَكَافِكَ وَفِي عَالِهِ يَبْسُطُكَ وَيَقْبِضُكَ " (٥).

وورد اسم الفاعل (متبسط) للدلالة على الإنسان الذي يتصف بصفة البسط نحو " فإنَّ المعنى الذي به أكَاتَبَكَ مُتَبَسِّطًا هُوَ الَّذِي بِهِ أُنْقَبِضُ عَنْكَ مُسْتَجِيبًا " (٦).

١ - المصدر السابق، ص ١٧١.

٢ - التلويحات المكية، ج ٢ ص ٥١١.

٣ - لطائف الأعلام، ج ٢ ص ٢٦٦.

- البسط والقبض مضافان: والبسط لغة: التوسعة وبسط الشيء أي نشره وتبسط العثر: قوله وفي القرآن الكريم الله يقبض ويبسط وإليه ترجعون والقبض حال الخوف في الوقت فالقبض والبسط منزلان من منازل السائرين إلى الله سبحانه وتعالى.

- قال الجنيد رحمه الله في معنى القبض والبسط: يعين الخوف والرجاء، فالرجاء يبسط إلى الطاعة والخوف يقبض عن المعصية. اللمع ص ٤٢٠.

- ورد أن القبض وارد يرد على القلب يوجب الإشارة إلى غياب وتأديب، والبسط حال من يسع الأشياء ولا يسعه شيء. التعريفات ص ٢٣٦.

٤ - الإشارات الإلهية، ص ٧٩.

٥ - المصدر السابق، ص ٢٤٣.

٦ - الإشارات الإلهية، ص ١٢٥.

- الصوي:

وهو ميل النفس إلى مقتضيات الطبع وإعراضها عن أحكام الشرع<sup>(١)</sup> وقد ورد اللفظ يحمل دلالة الميل عن الصواب والبعد عن الحق في قوله: "احتط لنفسك بالرجوع إلى قلب مستلم من الهوى"<sup>(٢)</sup> إذا رصدك الهوى بتسويله فاجتنبه سائله بالرّد<sup>(٣)</sup> وقد ورد هذا اللفظ في سياق التنفير والإعراض عن الهوى لأنه آفة كبرى "اسمع بأفة أخرى: الهوى مركبي والهدى مطلبي، فلا أنزل عن مركبي، ولا أنا أصل إلى مطلبي"<sup>(٤)</sup>.

- الظاهر والباطن:

ورد لفظ الظاهر يحمل دلالة ما يصح وجوده وظهوره لغير الحق أما باطن الشيء فهو حقيقته وأصله وجوهره واللفظان يردان متطابقين نحو "إننا أراحوك من لوازم الظاهر فاكثرت نفسك أنت ببوادي الباطن"<sup>(٥)</sup> وإننا استعجمت عليك مراسم الظاهر فأثرتها بحجج الباطن<sup>(٦)</sup> وينقسم البشر إلى فئتين، فئة اقتنعت بالظاهر ورضيت به، وفئة بحثت عن جواهر الأشياء وحقائقها، ولم تكتف بالظاهر وقد عبر التوحيدي عن ذلك بقوله "إن كنت مع الظاهر فأين الأدب وإن كنت مع الباطن فأين الطرب"<sup>(٧)</sup>.

- السكر والسحو:

"الصحو رجوع الإحساس بعد غيبة حصلت عن وارد قوي"<sup>(٨)</sup> أما السكر فهو "غيبة بوارد قوي، والمراد بالغبية عدم الإحساس فمن غاب بوارد قوي سمي سكران... فإذا عاد من

١ - لطف الأعلام، ص ٣٧٢.

٢ - الإشارات الإلهية، ص ١٧٤.

٣ - المصدر السابق، ص ١٧٠، ومعنى اجتنبه: أي قبله بما يكره.

٤ - المصدر السابق، ص ١٢٩.

٥ - المصدر السابق، ص ١٧١.

٦ - المصدر السابق، ص ١٧٠.

٧ - المصدر السابق، ص ٢٠٥.

٨ - لطف الأعلام، ج ٢ ص ٥٥.

سكره سمي صاحباً<sup>(١)</sup> وقد ورد اللفظان يحملان تلك الدلالة نحو \* لكتك في سكرتك عامه وفي صخوتك من حمارك وآله<sup>(٢)</sup> وقوله \* فكركه نهضة وصحبه سكر ونصحه مكر<sup>(٣)</sup> اللهم إنا في سكرة من وأرداتك<sup>(٤)</sup>.

- أحوال،

\* ويشيرون بها إلى الواردات التي يحصل بعضها من ثمرات الأعمال الصالحة الخالصة من الأكدار، وبعضها من المواهب الإلهية الخارجة عن العمل والاكْتِسَاب<sup>(٥)</sup> والأحوال منازل ينزل فيها السائرون.

وقد ورد لفظ الحال يحمل دلالة منازل السائرين \* فاستكّت عما تقلّبت فيه بعدك من أحوال لا تحصى بلفظ<sup>(٦)</sup> وقوله: \* سهو قد غمرني وحال قد تبني وبني<sup>(٧)</sup>.

ويورد لفظ (الحال) دالاً على الصورة والهيئة \* هو العالم بالحال إن شاء قلمع وإن شاء بَلْع<sup>(٨)</sup>. \* وهذه الإشارة وإن كانت محدّثة للناس في النُفُس الضعيفة فإنها مبشرة بعظم الحال<sup>(٩)</sup>.

١ - المرجع السابق، ص ٢٥.  
- الصحو والسكر معاً قريب من معنى الغيبة والحضور. غير أن الصحو والسكر أقوى وأتم، وأقهر من الغيبة والحضور. اللّمع ص ٤١٦.  
٢ - الإشارات الإلهية، ص ٢٥٠. التردد في الضلال، عمه عنها: أي تردد وتغير واسم الفاعل عامه.  
٣ - المصدر السابق، ص ١٧١.  
٤ - المصدر السابق، ص ١٠.  
٥ - فليسكن عند الصوفية: دهن يُلحَق من المحب في مشاهدة جمال المحبوب، فجاء: كشف اصطلاحات الفنون، ج ٣ ص ١٦٢.  
٥ - لطائف الأعلام، ج ١ ص ١٧٦.  
- حكى عن الجنيد رحمه الله: أنه قال: الحال نازلة تنزل بالقلب فلا تدوم. اللّمع ص ٦٦.  
- ويمض الشايخ يقولون: الحال البقاء والدوام لأنها إذا لم تكن موصوفة بصفة البقاء لا تكون حالاً ألا ترى أن المحبة والشوق والقبض والبسط كلها أحوال. كشف اصطلاحات الفنون ج ٢ ص ١٢٠.  
٦ - الإشارات الإلهية، ص ١٢٥.  
٧ - المصدر السابق، ص ١٣١.  
٨ - الإشارات الإلهية، ص ١٣٢.  
٩ - المصدر السابق، ص ٥.

- فقر -

هو البراءة من الملك... بحيث يصير القلب نقياً من جميع الآثار الكونية \* (١) فالفقر رجوع إلي الحقيقة. ورد لفظ الفقر يحمل دلالة البراءة من جميع الآثار الكونية نحو " فإنه إن رأى فقرك رحمك " (٢) \* ووردت صيغة المبالغة (فقير) للدلالة على الإنسان الشديد النقاء من الآثار الكونية نحو: " ألسنت جامعا لأطرافك، مُقْبِلًا على شأنك، فقيراً إلي فقير يطلع عليك " (٣) .

- النعمة -

النعمة نوعان: نعم ظاهرة وهي ما يظهر لكل أحد خيره ونفعه مثل صحة الأجسام وسعة الرزق، والخلاص من الشدائد. والنعمة الباطنة وهي الكمالات المعنوية التي هي مثل الإيمان، والتقوى، وجوده الفهم، (٤) . وقد ورد لفظ (نعم) مفرداً مرادفاً لكلمة (أيادي) نحو " يا هذا أخص أركان نعمته عندك، وأصناف أيديه قبلك " (٥) وورد لفظ (نعم) جمعاً نحو " إذا خدعت الشكر برؤية النعم عن طلب المزيد فانتف بذكر عن رؤية المنعم " (٦) واللفظ يحمل دلالة العطاء والتفضل من الله سبحانه وتعالى على عبادة وورد اسم الفاعل (منعم) يحمل دلالة المولي القدير سبحانه وتعالى فالإنعام من صفات الله سبحانه وتعالى " رؤية المنعم " (٧) وورد الفعل المضارع (تنعم) ولكن بمعنى الاستمتاع

١ - لطف الأعلام، ج ٢ ص ٢١١.  
٢ - الإشارات الإلهية، ص ١٢٤.  
٣ - المصدر السابق، ص ١٢٦.  
٤ - لطف الأعلام، ج ٢ ص ٣٥٦.  
٥ - الإشارات الإلهية، ص ٢٤٨.  
٦ - الإشارات الإلهية، ص ١٧٠.  
٧ - المصدر السابق، ص ١٧٠.

والسعادة نحو " وهب لك حياة بها تحس وتلذّذ وبها تعيش وتنعم " (١) وورد لفظ (اللاء) مرادفاً للفظ (نعم) نحو " ثم وهب لك إسمائنا يذكرك ويذكر أسمائنا، ويصف الاء " (٢).  
- الحقيقة:

الحقيقة هي مشاهدة الربوبية بمعنى أنه تعالى هو الفاعل في كل شيء والمقيم له، لأن هويته قائمة بنفسها مقيمة لكل شيء سواء (٣) وورد لفظ الحقيقة يحمل هذه الدلالة " يا هذا أما تري فنون الإشارة إلي غايات الحقيقة " (٤).  
وورد اللفظ يحمل دلالة جوهر الشيء أو جوهر الإنسان نحو " غص في أعماقها مُحصلًا لحقيقتك " (٥).

ولفظ الحقيقة يعني الثبات فحقيقة الشيء كنهه وخلاصته؛ لذلك استخدم التوحيدي هذا اللفظ مفرداً ومجموعاً ومقترناً ببعض الكلمات (كالتعريف) و(التفويض) و(التوحيد) نحو " إذا ادعى عليك الحال بشواهد التمويه فابرز أنت بحقائق التعريف والتنزيه " (٦)، " إذا كتوك بمطالب التعريض فاسترح أنت بحقائق التفويض " (٧) " وإن كانت أعمارنا قاصرة عن غايات حقائق التوحيد والمعرفة " (٨).

١ - المصدر السابق، ص ٢٤٨.

٢ - المصدر السابق، ص ٢٤٨.

٣ - لطائف الأعلام، ج ١ ص ١٢٤.

٤ - فالحقيقة سلب آثار أوصافك تلك بلوصافه بقه الفاعل بك فوك ملك لا أنت. التعريفات ٢٢٧.

٥ - الإشارات الإلهية، ص ١٧٢.

٦ - المصدر السابق، ص ١٧٢.

٧ - الإشارات الإلهية، ص ١٧١.

٨ - الحقيقة عند الصوفية ظهور ذات الحق من غير حجاب التعينات ومحو الكثرات الموهومة في نور الذات. كشف اصطلاحات الفنون ج ٢ ص ٨٦.

٩ - المصدر السابق، ص ١٧١.

١٠ - المصدر السابق، ص ١.

- الخاصّة:

المشاهدة في اصطلاحهم عبارة عن شهود الحق من غير تهمة.. و الشاهد ما تعطليه المشاهدة من الأثر في قلب المشاهد<sup>(١)</sup> وقد ورد لفظ (الشاهد) يحمل هذه الدلالة نحو " إذا لاح لك شاهد الحق منك فواصيله بشاهده فيك " (٢).

وورد لفظ (الشهادة) يحمل دلالة المشاهدة بالعين نحو " والثقة في الخير قبل الشهادة بالعيان " (٣) وورد اسم المفعول " مشهود " يحمل دلالة الشيء المشاهد بالعين نحو: " وإدراك الغائث بلا رسم معهود ولا أثر مشهود ولا دليل قاطع " (٤) وورد الفعل (شهد) بمعنى اعترف نحو " شهدنا بالتقصير " (٥).

وورد الفعل (أشهد) يحمل دلالة الرؤية " انتهيت إلي حال لم أشهد فيه إلا الرؤية " وقد ورد لفظ (شاهد) مضافاً إليه لفظ الوجدان " إذا زخرقت لك العين شاهد الوجدان فاستنذ أثت إلى ركن العزقان " (٦).

- الطمأنينة:

الطمأنينة سكنون أمن فيه استراحة وأنس (٧) وعند أهل الطائفة هناك أنواع من الطمأنينة فهناك طمأنينة العامة وطمأنينة الخاصة وطمأنينة خاصة الخاصة..

١ - لطائف الأعلام، ج ٢ ص ٣٥.  
- المشاهدة حضور بمعنى قرب وهي حل رفيعة وهي من لوقح زيفات حقائق اليقين وتقضي حل اليقين. اللع ص ١٠١.  
- أما الشاهد فقد قال أبو بكر الواسطي: الشاهد الحق، والشهود الكون قل عز وجل وشاهد ومشهود. اللع ص ١١٥.  
- ويقول الشاهد عن أهل التصوف هو التجلي كشأن اصطلاحات القنون ج ٤ ص ٩٨.  
٢ - الإشارات الإلهية، ص ١٧٠.  
٣ - المصدر السابق، ص ٢٤٧.  
٤ - المصدر السابق، ص ١٠.  
٥ - المصدر السابق، ص ٣٣٩.  
٦ - المصدر السابق، ص ١٧١.  
٧ - لطائف الأعلام، ج ٢ ص ٨٤.  
- الطمأنينة حل رفيع وهي لحد رجح عظه وقوى إيمانه، ورسخ علمه، وصفا ذكره، وثبت حقيقته. اللع ص ٩٨.

ورد لفظ الطمأنينة يحمل دلالات تدور كلها في فلك السعادة والراحة والفرح نحو  
 \*طمأنينة هي كثر\*<sup>(١)</sup>، إذا سَمَا بك الرجاء إلى الطمأنينة فاهبط إلى ساحة الخوف  
 بالقلق\*<sup>(٢)</sup>، فإن راح القلب وهبته الأرواح وطمأنينة النفوس في قبول النصائح ورفض  
 القبائح\*<sup>(٣)</sup>.

وورد الفعل تطمئن يحمل دلالة السكون للشيء والفرح به \*تطمئن إلى خطرات الحق  
 مجتنباً شررات الصدق\*<sup>(٤)</sup> ورد لفظ (الخوف) مطابقاً للفظ الطمأنينة نحو \*وإذا خفنا  
 فامزج خوفنا منك برجائنا فيك\*<sup>(٥)</sup>.

- الغيب:

\* الغيب كل ما ستره الحق عن الخلق\*<sup>(٦)</sup>.

ورد لفظ الغيب يحمل دلالة الشيء الخفي عن الناس \*فلعل نسيماً الأسحار يعبث بهذه  
 الأرواح المتهتكة ويتميز بهذه الصفات المشتركة؛ فنكر على خرائن الغيب بالذهب\*<sup>(٧)</sup>  
 واستخدم التوحيدي تركيب (الغيب المكنون) في \*هنا قديتك نبأ غريب استنبط من الغيب  
 المكنون\*<sup>(٨)</sup> وتركيب (الغيب المكنون) يشار به عند الصوفية إلى كنه الذات الإلهية "الذي هو  
 أبطن كل باطن ويطون، كما علمت لا تشهد، ولا تعلم، ولا تفهم، ولا تدرك"<sup>(٩)</sup> وورد اسم الفاعل

١ - الإشارات الإلهية، ص ٢٦٨.  
 ٢ - المصدر السابق، ص ١٧٠.  
 ٣ - المصدر السابق، ص ٢٦٩.  
 ٤ - المصدر السابق، ص ٣٣٩.  
 ٥ - المصدر السابق، ص ٢.  
 ٦ - لطائف الأعلام، ج ٢ ص ١٨١.  
 ٧ - الإشارات الإلهية، ص ٨.  
 ٨ - الإشارات الإلهية، ص ٦.  
 ٩ - لطائف الأعلام، ج ٢ ص ١٨١.



(الغائب) يحمل دلالة عدم الحضور وعدم الوجود: "واعلم أنني شاهدك وإن كنت غائباً عنك"<sup>(١)</sup> وذلك في صياغ حديث الشيخ إلى مريده.

- الحكمة:

"هي الاطلاع على أسرار الأشياء ومعرفة ارتباط الأسباب بمسبباتها، ومعرفة ما ينبغي بالشروط التي تنبغي، فمن عرف الحكمة، ويسر للعمل بها فذلك الحكيم، الذي آتاه الله الحكمة، فأحكم وضع الأشياء في مواضعها"<sup>(٢)</sup>.

ورد لفظ الحكمة يحمل دلالة الاطلاع وحسن التصرف "يا هذا تَتَقَلَّبُ مُتَعَمِّباً في هذه الرياض التي قد ازدهرت بالعلم الحق والحكمة البالغة"<sup>(٣)</sup> وورد لفظ (الحكمة) دالاً على الحكمة الإلهية وليس حكمة البشر "فَوَخَّيْكَ مَا أَفْعَلُ ذَلِكَ إِلَّا مُنَافَسَةً بِكَ وَإِلَّا اسْتِهْدَاءً إِلَيْكَ وَإِلَّا ظَهْوراً بِسَمَةِ مِنْ سَمَاتِ حِكْمَتِكَ"<sup>(٤)</sup>. "وَرُبُّ حِكْمَةٍ بَالِغَةٍ لَكَ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ"<sup>(٥)</sup>.

- الحكمة:

"وهو أعظم أركان الرياضة التي ستعرفها، وأكبر قرية تقرب بها العبد من ربه"<sup>(٦)</sup>.

١ - الإشارات الإلهية، ص ١٢٥.  
٢ - لطائف الأعلام، ج ١ ص ٤٣٢.  
- ذكر أهل السلوك أن الحكمة معرفة آفات النفس والشيطان والرياضات والحكمة المسكوت عنها عند الصوفية هي الأسرار التي لا يمكن قولها لأي إنسان كشف اصطلاحات القنون حـ ٢ ص ١٢٢.  
٣ - الإشارات الإلهية ص ٦٦٩.  
٤ - المصدر السابق، ص ١٢٩.  
٥ - المصدر السابق، ص ١٢٩.  
٦ - لطائف الأعلام، ج ١ ص ٤٦٨.  
الذكر على العموم ما يتقرب به عامه أهل الإيمان من ذكر الله تعالى إما بكلمة الشهادة لا إله إلا الله ولما يغيرها من التسيبحات والإنكار.

وقد ورد لفظ (الذكر) يحمل دلالة التمسّيح والتمجيد لله سبحانه وتعالى نحو: "قلبك نقي من الكذب ولسانك بليل بالذكر" (١)، "ذهب لك لساناً يذكره ويذكر أسماءه" (٢).

وورد اسم الفاعل (ذاكر) واسم المفعول (مذكور) في سياق الدعاء والرغبة في التقرب إلى الله سبحانه وتعالى "واكثبنا في المنيبين إليك، الذاكرين لك، المفتخرين بك المبتهجين بقُرْبِكَ المغمورين بعملائك، المذكورين بحضرتك" (٣).

- الرسم:

الصوفية يطلقون لفظ الرسم "ويريدون به كل ما سوى الله، لأن كل ما سوى الله آثار عنه" (٤).

وقد ورد لفظ (رسم) يحمل دلالة الشيء الموجود والشاهد والآخر نحو: "قصدت تذهيبك عن الواجب فإن تفصيل الأشياء واجب بحكم الرسم وقضية الشاهد" (٥)، ونحو: "وإدراك الغائت بلا رسم معهود ولا أثر مشهود" (٦) وقول التوحيدي: "وأي شرف لما لا يثبت في لحظة علي حال، له في كل آن اسم وفي كل أوان رسم" (٧).

١ - الإشارات الإلهية، ص ٢٦٨.

٢ - المصدر السابق، ص ٢٤٨.

٣ - المصدر السابق، ص ١٠.

٤ - لطائف الأعلام، ج ١ ص ٤٨٩.

اصطلاح أهل الطريق على تسميته كل ما سوى الله تعالى من الأعيان وعالم الخلق بالرسوم إذا كان آثار قدرته تعالى فإذا أطلقت الطائفة الرسوم أرادوا بها الصورة الخلقية.

٥ - الإشارات الإلهية، ص ١٣٧.

٦ - المصدر السابق، ص ١٠.

٧ - المصدر السابق، ص ١٧٣.

- اللطيفة،

اللطيفة هي \* كل إشارة رقيقة المعنى تلوح في الفهم لا تسعها العبارة، وقد تطلق بإزاء النفس الناطقة \* (١).

وقد ورد لفظ (اللطيفة) يحمل تلك الدلالة السابقة نحو: \* هو الحق المبين الفعّال لما يشاء، المصّرّف على ما يريد يفرّق والسرّ فيه تكليف ويجمع والحكم فيه تفريق، عجب ينفرّد به ولطيفة لا توجد إلا منه (٢) \* لطائفه تجلّ مضافة للخلق، وعظائم الخلق ثقل مرئوبة الى موجبات الحق \* (٣) وورد لفظ (اللطيف) يحمل دلالة الرحمة \* مثل لطفه واطّلب عطفه، فإنه إن رأي فقرّك رحمك \* (٤).

- الأنس،

\* يعبرون به عن روح القرب، وتارة عن أثر مشاهدة جمال الحضرة الإلهية في القلب \* (٥).

وقد ورد لفظ (الأنس) مقترناً بحضرة الإله عز وجل نحو قول التوحيدي: \* فَهَلُمَّ غَاغَاكَ اللَّهُ إِلَى حَضْرَةِ الْعَزِّ وَبَسَاطَةِ الْكَرَامَةِ وَمَجْلِسِ الْأَنْسِ \* (٦) ونحو \* ثم وَهَبَ لَكَ قَلْبًا جَعَلَهُ مَعِينٍ تَوْفِيقِهِ، وَمَأْوَى الْمَلْمَأَيْنَةِ بِهِ، وَكَهْفَ الْإِيمَانِ بِرَبُّوبِيَّتِهِ وَحَرَمَ الْأَنْسِ بِمَنَاجَاتِهِ \* (٧).

١ - لطائف الأعلام، ج ٢ ص ٢٥٩.

٢ - الإشارات الإلهية، ص ١٢٤.

٣ - المصدر السابق، ص ١٢٥.

٤ - المصدر السابق، ص ١٢٤.

٥ - لطائف الأعلام، ج ١ ص ٢٤٣.

٦ - حكى عن سهل بن عبد الله أنه قال: لول الأنس من العبد أن تكتسب النفس والجوارح بالعدل، ويكتسب العقل والنفس بعلوم الشرع، ويكتسب العقل والنفس والجوارح بالعمل ثم خلصا فكتسب العبد بانوار أي يستكن إليه. الجمع ص ٩٦.

٧ - سئل الجنيّد عن الأنس فقال: ارتفاع الحشمة مع وجود الهيبة. الجمع ص ٩٧.

٨ - وقال إبراهيم المارستاني رحمه الله الأنس فرح القلب بالمحبوب. الجمع ص ٩٧.

٩ - الإشارات الإلهية، ص ٢٤٩.

١٠ - المصدر السابق، ص ٢٤٨.

فلفظ (الأنس) يحمل دلالة الطمأنينة والسعادة، ولذلك يعد الأنس مطلباً للعارف \*  
 وإلى الله المرجع وإلىه المعتمد في فتح أبواب الأنس \*<sup>(١)</sup> وورد لفظ (الوخشة) يحمل دلالة  
 مطابقة لدلالة (الأنس) من ضيق وفقدان للسعادة \* فَقَدْ قُرْبَ ما تُريد لأنك لا تُصغي إلاَّ  
 إلى ناطقٍ، ولا تَلْعُ إلا على شاهدٍ ولا تَقْتَرِنُ إلا بَصُصح ولا تَسْتَنِيْمُ إلا إلى مرشدٍ وعند ذلك  
 تُحوِّلُ وحشك أنسا \*<sup>(٢)</sup>

١ - الإشارات الإلهية، ص ١٢٨.

٢ - المصدر السابق، ص ٢٤٨.

- في جلسة علمية مع أساتذتنا الجليل الدكتور: عاتق جودة أفاض علينا من معونه الذي لا ينضب أبداً فقال عن  
 تصوف التوحدي: لا أرى أن التوحدي صوفي بالمعنى الحقيقي، فتاريخ حياته وسيرته الذاتية تنبئ بغير ذلك  
 مع أنه عاصر نفراً من السوفية في أواخر القرن الرابع وأوائل الخامس. انتهى أن يكون مثلهم ولم يدرك من  
 ذلك شيئاً. والإشارات على هذا النحو: ذرية لغوية ومعرفية واسعة بالأساليب، ومجرد محاكاة لا نشعر فيها بما  
 نشعر به إذا قرأنا المواقف والمخاطبات للقرى و هيائل النور للشهزادي الحظي، ونثر العلاج الملهب  
 ومفارقات ابن سبعين العجيب، وتطبيقات البسطامي وأبي الحسين النوري لذا فالإشارات صنعة لغوية أحكم  
 ومنمها في إطار الأنواع والتقسيم ومفارقات الطبايع والمقابلة، والنفس المرسل حيناً، والمقيد بالزخرف  
 البهيم حيناً، تحذوه في ذلك رغبة لم تتحقق وميل لأبناء الدنيا حال بينه وبين الرقى الروحي الحقيقي.

## المجال الدلالي الفرعي الثالث

## الألفاظ الدالة على قوى الإنسان ومحيوها وقضائلها

وضع الصوفية تصنيفاً لقوى الإنسان، وبينوا أن هذه القوى هي: النفس، والروح والقلب، والس. وأكثر الصوفية يعتبرون " النفس مركز الشهوات والذات والأفعال الدنية ويعتبرون الروح مبدأ الحياة، والأفعال الحميدة، والقلب محل المعرفة، والسر محلاً للمشاهدة"<sup>(١)</sup>.

وقسم أهل التصوف هذه القوى إلى مستويات، وبينوا عيوب كل منها وقضائلها وأوضحوا أنه لا يمكن أن نضع حداً فاصلاً بين هذه القوى: فبينها تأثير متبادل وارتباط وثيق، والصوفي يرتقي بين هذه القوى لا شعورياً من حال النفس إلى حال القلب، ومن حال القلب إلى حال الروح، ومن حال الروح إلى حال السر.<sup>(٢)</sup>

١ - التصوف النفسي، ص ٤٣.

٢ - المرجع السابق، ص ٤٤.

- فالصوفي بعد أن يجاهد نفسه بإزالة دواعي شهواتها تزول عنها الإغرامات والاضطرابات النفسية التي تتلفها من حين لآخر فتسكن وتطمئن، ومتى سكنت النفس وطمأنت صفت وشرقت وارتقت إلى حال القلب، ثم بعد أن يمتلئ القلب بنور الإيمان، ويظهر بصديق اليقين يرتقي إلى حال الروح، وينبغي أن تلاحظ أن القلب يتوسط بين النفس والروح فهو خاضع لكليهما مثلاً وقد تغلب عليه صفت النفس تارة، ثم تغلب عليه صفت الروح تارة أخرى، ثم حين تقوى الروح وتشرق أنوارها وينبج نور اليقين تنعم الروح بالمشاهدة ومتى كان لها الشهود قد ترقى من حال الروح إلى حال السر.

- قال الجرجاني النفس ما كان معلولاً من أوصاف العبد. التعريفات ص ٢٢٧.

- جملة وصف النفس مخزون الطيش والشر، فالطيش عن الجهل والشر عن الحرص وهما قطرة النفس. قوت القلوب ج ١ ص ١٧٥.

- وينقل لنا أبو حيان التوحيدي في المقاييس قراءة أبي سليمان المنطقي لكتاب النفس لأرسطو الذي يقول فيه إن النفس قليلة للضلال والردائل والخيرات والشرور، التي تعبر من وجه في تهذيبها ويتلى ذلك من وجه آخر لطة عجيبة. المقاييس ص ٢٤٦.

## – النفس وأماها وأماها

النفس عند كثير من الصوفية أعدي عدو للإنسان بين جنبيه ويكاد الصوفية يجمعون على أن النفس مصدر كل الشرور والآثام<sup>(١)</sup> فهي سبب ظهور الأفعال المذمومة والأخلاق الدنيئة، وتتميز النفس في نظرهم بالكر والدهاء ولذلك تجب مقاومتها والنفس عند بعض الصوفية مبتلاة بصفات أربع متفاوتة<sup>(٢)</sup> أولها معاني صفات الريوية نحو الكبر، والجبرية وحب المدح، والعز، والغنى، ومبتلاة بأخلاق الشياطين مثل الخداع والحيلة والحسد والظنة ومبتلاة بطبائع البهائم وهو حب الأكل والشرب والنكاح، وهي مع ذلك كله مطالبه بأوصاف العبودية، مثل الخوف والتواضع والذل<sup>(٣)</sup>.

ورد لفظ (النفس) في الإشارات الإلهية منعوتاً بصفة الخضوع لقدرة الله وعظمته سبحانه وتعالى "النفس لقدرة خاضعة"<sup>(٤)</sup> "أفندي والله نفساً ظلت خاضعة مهينة هيبة الله"<sup>(٥)</sup>. وصفه الخضوع والركون لقدرة الله من الصفات المحمودة للنفس وإذا كانت صفة الخضوع التي تتصف بها النفس مع الذات الإلهية صفة حميدة فهناك صفة ذميمة للنفس وهي الكذب نحو قوله: "ولولا شرُّ النفس الكذوب وجماع الطمع الوثوب

١ - المرجع السابق، ص ٢٧.

- ورد لفظ النفس في القرآن الكريم كثيراً، وقد وصف الله سبحانه وتعالى النفس في كتابه العزيز بثلاث صفات: النفس المطمئنة في قوله تعالى: (إيايها النفس المطمئنة) [الفجر آية ٢٧]، وهي النفس التي انخلعت عن الصفات الدائمة وتخلقت بالصفات المحمودة وهي التي صارت مطمئنة على الدائمة على الطاعات بحيث لا تجد ميلاً إلى تركها ولا طلياً لشيء من المعاصي.

٢ - النفس اللوامة، في قوله تعالى: (ولا أقسم بالنفس اللوامة) [القيامة آية ٦]، وهي النفس التي إذا اقترعت خطيئة أو ظلمت عرفت أن الصواب في ترك ذلك، فهي تلوم نفسها عليه، لكن تجد من نفسها منازعة على الإقلاع.

٣ - النفس الأمارة، في قوله تعالى: (إن النفس لأمرارة بالسوء) [سورة يوسف آية ٥٣]، وهي النفس التي تأمر بعمل السيئات بحيث ترى أن الصواب في فعلها دون تركها [الطائف الأعلام: ج ٢، ص ٣٥٩ وما بعدها].

٤ - قوت القلوب في معاملة المحبوب، أبو طالب المكي ت ٣٨٦ هـ، القاهرة، مكتبة مصطفى الباني الحلبي، ١٩٦١، ج ١، ص ١٧٧.

٥ - الإشارات الإلهية، ص ٣٣٢.

٦ - المصدر السابق، ص ١١٤.

لكان اليقين تلو الإيمان<sup>(١)</sup> ووردت (النفس) موصوفة بالأمانة "أما العلل الواردة في الأحوال فهي عبارة عن الآفات الناشئة من النفس الأمانة"<sup>(٢)</sup> وذلك في سياق التعبير عن كون النفس مصدر الشرور، وورد لفظ (النفس) موصوفاً بالضعف نحو: "وهذه الإشارة وإن كانت مُحذرة للئس في النفس الضعيفة فإنها مُبشرة بعظم الحال"<sup>(٣)</sup>، وورد لفظ (النفس) موصوفاً بالبراءة نحو قول التوحيدي "نفسك بريئة من الشرك"<sup>(٤)</sup> وورد لفظ (النفس) مقترناً بالطمأنينة "طمأنينة النفوس في قول النصائح"<sup>(٥)</sup> والطمأنينة عنصر السعادة في النفس، وقد ورد لفظ النفس مقترناً بالفاظ تدل على الهم والكمد، والوهم نحو: "ما لبثنا إلا كَتَوَّلَم من النفس"<sup>(٦)</sup>، "بلاء اللسان أشقى لكمد النفس"<sup>(٧)</sup>، وقد ورد لفظ (النفس) بمعنى وجود الشيء نفسه نحو: "يا هذا ارحم نفسك لنفسك"<sup>(٨)</sup> وقول التوحيدي "معرفة النفس استكشاف لِحَلَّة القدس، أعني أنك إذا ألَهَجْتَ بذلك عرفت الله الذي به قوام النفس"<sup>(٩)</sup> وكثيراً ما يرد لفظ (النفس) في سياق التوجيه والنصح "إذا كان هنا خبري عن بَاطِن الأمر فَلِمَ تُخَادِع نفسك في ظاهره"<sup>(١٠)</sup> "احفظ باليقظة نفسك"<sup>(١١)</sup> يعتبر (الحسد) من الصفات أو الأخلاق التي تخص النفس وقد ورد اسم المفعول (محسود)

١ - المصدر السابق، ص ٢٤٧.  
- ورد في تحقيق الدكتور عبد الرحمن بدوي ولولا شدة النفس المكتوب، واعتقد أن استخدام شرم هو الائق فالشره شدة الحرص والإستواء.  
٢ - المصدر السابق، ص ١٠٨.  
٣ - الإشارات الإلهية، ص ٥.  
٤ - المصدر السابق، ص ٢٦٨.  
٥ - المصدر السابق، ص ٢٦٩.  
٦ - المصدر السابق، ص ٢٢٤.  
٧ - المصدر السابق، ص ٢٤٩.  
٨ - المصدر السابق، ص ٢٤٩.  
٩ - المصدر السابق، ص ١٧٤.  
١٠ - المصدر السابق، ص ٣٤٧.  
١١ - المصدر السابق، ١٢٢.

نحو "فلو أنه حين أثبتتني أمكني لَكُنْتُ بالرضا محسوداً" <sup>(١)</sup> ولفظ (الوسوسة) "نَحْ عَنْكَ أَمْسَكَ فَإِنْ فَكَّرَكَ فِيهِ وَسُوسَةٌ" <sup>(٢)</sup> ومن الألفاظ الدالة على صفة من صفات النفس لفظ (المكر) "أَوْ تَأْمَنْ فِي أَضْعَافٍ مَكْرَكَ وَيُكْرِكَ" <sup>(٣)</sup> ولفظ (الخداع) وقد ورد في قول التوحيدي "وقف حالك على الغين والجداع" <sup>(٤)</sup>.

- الروح،

في اصطلاح القوم هو اللطيفة الإنسانية المسماة عند الحكماء بالنفس الناطقة <sup>(٥)</sup>. فالروح لطيفة خفيفة سماوية، وهي تتفاوت وتتوزع من شخص لآخر، وللروح صلة بالنفس فهما مظهرها الخير والشر في الإنسان وهما متباينان كل التباين في طبيعتهما وجوهرهما "فالروح علوية سماوية لطيفة خلقت من الهواء والماء معاً.. والنفس أرضية كدرة خلقت من التراب والنار معاً" <sup>(٦)</sup>.

وقد ورد لفظ (الروح) يحمل الدلالة السابقة نحو "روحك غائص في الفكر" <sup>(٧)</sup>. "فَهَلْ عَافَاكَ اللَّهُ إِلَى حَضْرَةِ الْعَرْزِ وَيَسَاطِئِ الْكَرَامَةِ، وَمَجْلِسِ الْأَنْسِ وَسُدَّةِ الْغَنِيمَةِ وَفَضَاءِ الرُّوحِ" <sup>(٨)</sup> وورد لفظ (الروح) منعوتاً بالتهتك في سياق التحسر على الغائب، وإظهار

١ - المصدر السابق، ص ٢٤٧.

٢ - المصدر السابق، ص ١٤٥.

٣ - الإشارات الإلهية، ص ٦.

٤ - المصدر السابق، ص ٢٤٣.

٥ - لطائف الأعلام، ج ١ ص ٤٩٧.

٦ - وقد ورد لفظ الروح في القرآن الكريم يحمل دلالة السر الذي اختص به الله نفسه ووضع في الإنسان فعاش به قل تعالى: "إِذَا قَالَ رَبِّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ فَإِذَا سَوَّيْتَهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ" سورة الحجر آية ٢٩.

٧ - اختلف الأقوال في الروح فقل كثير من أرباب علم المعاني وعلم الباطن والمتكلمين: لا نعلم حقيقة ولا يصح وصفه وهو مما جهل الجاهل بعلمه مع التيقن بوجوده كشاف اصطلاحات الفنون ج ٣ ص ١٨.

٨ - التصوف النفسي، ص ٤١.

٩ - يصنف الغزالي الأرواح البشرية الثوراتية إلى خمس مراتب وهي الروح الصالح والروح الخبيث، والروح الخلق، والروح الفكري، الروح القسي. كشاف اصطلاحات الفنون ج ٣ ص ٢٢.

١٠ - الإشارات الإلهية، ص ٢٦٨.

١١ - المصدر السابق، ص ٢٤٩.



التقصير والرجاء في العدول إلى حال أفضل 'فَلَقَلْ' نسيم الأشجار يعيشت بهذه الروح المتهتكة<sup>(١)</sup> كما ورد لفظ (الروح) مقترناً بالتهالك وجداً وشوقاً لأهل العرفان 'أفدي والله روحاً تهالكْت وَجُدْتُ على أولياء الله'<sup>(٢)</sup> ومن التراكيب التي وردت 'الروح القدسي' وهو تركيب يحمل دلالة الروح النبوي الشريف عند أهل الطائفة ويختص به الأنبياء فقط 'وفيه تتجلى لواضع الغيب، وأحكام الآخرة، وجملة معارف ملكوت السماوات والأرض'<sup>(٣)</sup> وقد ورد لفظ (الروح) يحمل دلالة مغايرة تماماً والمقصود به نبي الله عيسى عليه السلام 'وقال عيسى بن مريم: وهو روح الله... للخواريين'<sup>(٤)</sup>.

وورد لفظ (روح) يحمل دلالة السعادة والفرح في قول التوحيدي 'ولا تُبعدنا بعد قريبك، ولا تكريننا بعد زوجك'<sup>(٥)</sup> ونحو: 'ستبلغ إلي حضرة ريك فتصادف روحاً وريحاناً'<sup>(٦)</sup>.

- القلب -

لا يستعمل الصوفية لفظ القلب للدلالة على ذلك العضو العضلي الأجوف الذي يقبل الدم من الأوردة ويدفعه للشرايين، بل يعنون به جوهرًا لطيفاً غير مادي تدرك به حقائق الأشياء 'فالقلب عند الصوفية هو محل المعرفة والله سبحانه وتعالى هو الذي يقذف

١ - المصدر السابق، ص ٨.

٢ - الإشارات الإلهية، ص ١١٤.

٣ - لفظ الأعلام، ج ١ ص ٤٩٨.

٤ - الإشارات الإلهية، ص ١٢٥.

٥ - ورد في كتاب اللوح للطوسي: الذي عليه أهل الحق والإسافة عندي والله أعلم: أن الأرواح كلها مخلوقة وهي أمر من أمر الله تعالى ليس بينها وبين الله تعالى سبب ولا نسبة، غير أنها من ملكه وطرعه وفي قبضته. اللوح ص ٥٥٥.

٦ - المصدر السابق، ص ٢.

٦ - المصدر السابق، ٢٦٨.

المعرفة في هذا القلب<sup>(١)</sup>.

والتوحيد يبين أن القلب محل الإدراك في قوله في سياق التوبيخ "أيها السامع بالأذن تَوْنُ القلب"<sup>(٢)</sup> فالقلب عنده هو عضو الإدراك والإحساس والمعرفة ولذلك يقول "المعرفة مصباح القلب"<sup>(٣)</sup>.

وإذا كان القلب محلاً للإيمان والمعرفة السليمة مصداقاً لقوله تعالى:

﴿إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾<sup>(٤)</sup>.

فهو أيضاً قد يشير إلى الإثم والمعصية مصداقاً لقوله تعالى:

﴿كَذَلِكَ فَتَلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾<sup>(٥)</sup>.

وقد ورد لفظ (قلب) في الإشارات الإلهية وله عدة عيوب وأمراض منها القسوة المستغاث بالله من قلب لا عهد له بالرحمة والرفقة<sup>(٦)</sup> فالقلب يقسو إذا لم يقبل الحق ولم يخضع له. ومن أمراض القلب الانشغال "إنيك بعد هذا أن تطيفت بقلان قلبي معه خطوب؛ تركني يا سيدي مشغول القلب به عاشقاً لفضله"<sup>(٧)</sup> ومن عيوب القلب سوء الظن "القلب طافح بسوء الظنون بما لعله يكون أو لا يكون"<sup>(٨)</sup> ومن أمراض القلب

١ - التصوف النفسي، ص ٦٦.

٢ - القلب عند الترمذي مركز جميع الاحساسات والانفعالات في بدن الإنسان ترد إليه جميعاً من أجهزة الجسم المختلفة فيصدرها للبين والقلب عند الغزالي جوهر عزيز وهو علة مفتاح معرفة الله سبحانه وتعالى. وفي حديث النبي صلى الله عليه وسلم: القلوب أربعة: قلب فيه سراج مزهر فذلك قلب المؤمن، وقلب أسود منكوس فذلك قلب الكافر، وقلب أغلف مربوط على غلفه فذلك قلب المنافق. قلب مصفح فيه إيمان ونفاق، فمثل الإيمان فيه كالقطة يمدّها الماء الطيب، ومثل النفاق فيه كمثل القرحة يمدّها القيح والصديد، فأَيُّ المتكئين غلبت عليه حكم له بها.

٣ - قوت القلوب، ج ١ ص ٢٣٣.

٤ - الإشارات الإلهية، ص ٣٢٤.

٥ - المصدر السابق، ص ٢٣٨.

٦ - سورة الشعراء، آية ٨٩.

٧ - سورة الحجر، آية ١٢.

٨ - الإشارات الإلهية، ص ٣٤٧.

٩ - المصدر السابق، ص ١٢٦.

١٠ - المصدر السابق، ص ٦.

التكبر " تكبرت القلوب فما تشفع " (١) ومن عيوب القلب (الخواء) " وَخَوَّتِ الْقُلُوبُ مِنْ الْفَكْرِ بَيْنَ السَّيِّئَةِ وَالْحَسَنَةِ " (٢) لقد عدد التوحيدي أمراض القلب، وفصلها، وذلك لأن القلب من مصادر المعرفة، ومراكز الإحساس، ومصادر القوي عند الصوفية، فتعمقوا في دراسته، وقد ذكروا أفضاله وميزاته كما ذكروا عيوبه وأمراضه.

وقد ورد (القلب) موصوفاً بعدة فضائل كقول التوحيدي " قلب سليم من الهوى " (٣) والقلب السليم هو الذي ليس بينه وبين قبول الحق ومحبته وإيثاره سوي إدراكه، فهو صحيح الإدراك للحق تام الانقياد له، ومن فضائل القلب النقاء.

" قَلْبُكَ يَنْقَى وَذِكْرُكَ يَنْقَى، وَقَدْرُكَ يَرْقَى " (٤) وذلك في سياق مدح الذين أنعم الله عليهم ومن فضائل القلب الاطمئنان " وَيَطْمَئِنُّ قَلْبُكَ وَيَسْلَم " (٥) ومن فضائل القلب أيضاً المودة " عَزَمَاتُ قُلُوبِنَا مَشْحُونَةٌ بِمُودَتِكَ " (٦) والحياء " أَفْدَى وَاللَّهُ قَلْباً مَا يَزَالُ خَافِقاً حَيَاءً مِنَ اللَّهِ " (٧) والتوجه إلى الله " التَّوَجُّهُ نَحْوَكْ بِالْقَلْبِ فَضْلٌ وَعِزٌّ " (٨).

ورد تركيب " أرياب القلوب " في قول التوحيدي: " وأرياب القلوب ونور العقول، وأهل المحبة يملكهم اللائح " (٩) يحمل دلالة أهل التصوف وفي إطلاق هذا التركيب عليهم دلالة علي تميزهم عن غيرهم بقلوبهم؛ فالقلب عند الصوفي ليس من هذا العالم لكنه من عالم الغيب، فهو في هذا العالم غريب، وهذا ما جعل للقلب أسراراً يقول التوحيدي " ومن لم

- ١ - المصدر السابق، ص ١٤٣.
- ٢ - المصدر السابق، ص ١٤٢.
- ٣ - الإشارات الإلهية، ص ١٧٤.
- ٤ - المصدر السابق، ص ٢٨٣.
- ٥ - المصدر السابق، ص ٢٤٩.
- ٦ - المصدر السابق، ص ٢٢٠.
- ٧ - المصدر السابق، ص ١١٤.
- ٨ - المصدر السابق، ص ١٥٩.
- ٩ - المصدر السابق، ص ١٥٨.

يصلح لخدمة الملوك لم يُؤهل لأسرار القلوب<sup>(١)</sup>. ورد لفظ صدر والمقصود به القلب " اللهم رَوِّحْ صدورنا بنسيم وُكِّكَ " (٢)، استخدم التوحيدي لفظ (الفؤاد) للدلالة على دلالة القلب " يا هذا: فؤادي وطرفي قد سبَّبا لي ختفي " (٣).

ومصاحبة لفظ (الفؤاد) للفظ (الطرف) تتفق مع ما يراه الصوفية من كون (الفؤاد) و (الطرف) موضعين للبصر والمعرفة " إني رأيت الفؤاد محشواً بالمعرفة " (٤) ويتميز الفؤاد بالركة " الكناية هُمنسُ الفؤاد " (٥).

- السر.

السر يطلق علي أمرين أحدهما: أمر خفي ضد العلانية، والآخر القلب، وهذا من باب إطلاق لفظ الحال علي المحل<sup>(٦)</sup>. ورد لفظ (السر) يحمل دلالة الأمر الخفي نحو " إذا استكثمتك الملك سرُ المملكة فلا تشافيه في ملَّيه من يعرضك للهلكة " (٧) ونحو " إن كنت مكروياً بالسر فبُخ فلعلك تشفي غليلك " (٨) ونحو " سر مكتوم " في قوله: " فإنك بحمد الله مشتمل على شأن عظيم ومحيط بسر مكتوم " (٩) وورد لفظ (سر) مصحوباً بضده وهو (الجهر) " سري وجهري " في قول التوحيدي: " تجلَّتْ عندك خالصةُ سري وجهري " (١٠).

١ - المصدر السابق، ص ٢٤٨.

٢ - المصدر السابق، ص ٦٥.

٣ - الإشارات الإلهية، ص ٢٧٠.

يرى الحكيم الترمذي: أن الفؤاد موضع المعرفة والخواطر والرؤية، فيقول: مثل الفؤاد من القلب كمثل الحنقة من سواد العين، وهذا الفؤاد موضع المعرفة وموضع الخواطر، وموضع الرؤية.

٤ - المصدر السابق، ص ١٠.

٥ - المصدر السابق، ص ٢٣٩.

٦ - لطف الأعلام، ج ٢ ص ١٤.

- السر يطلق فيقال: سر العلم بإزاء حقيقة العالم به، وسر الحال بإزاء معرفة الله فيه، وسر الحقيقة ما تقع به.

٧ - الإشارات الترمذيات ص ٢٣٧.

٨ - الإشارات الإلهية، ص ١٧٠.

٩ - المصدر السابق، ص ٣.

١٠ - المصدر السابق، ص ١٢٨.

١١ - المصدر السابق، ص ٢٤٥.

أو (الإعلان) نحو " دق سرك عن الأسرار والإعلان " (١)، واستخدم التوحيدي المصدر (إسرار) وقد ورد لفظ (السر) يحمل دلالة (القلب) نحو قول التوحيدي: " رأيت السر مطمئناً بالوعيد " (٢) وقوله: " املأ أسرارنا بغرائب برك وخيرك " (٣) وورد الفعل (سار) أي أخبر بسر نحو قول التوحيدي " إذا سارك بعقبيه فقد صانك علي علانية غيره " (٤).

- العقل:

العقل ما يكون به التفكير والاستدلال، والتمييز بين الحسن والقبيح، والخير والشر وعند الصوفية للعقل درجات: عقل فطرة، عقل حجة، عقل تجربة، عقل موروثة (٥). والعقل عندهم هو الذي يفهم عن الله أمره ونهيه ومواعظه، ووعدته ووعدته ويفهم مراده من الأشياء علي قدر ما يوفقه (٦).

وقد ورد لفظ (العقل) يحمل دلالة العضو الذي يكون به التفكير والاستدلال نحو " يزي أغراضاً ترتفع بلمفاتها عن تصور إدراك عقله " (٧) وقوله " إذا فتك العقل بدقائق البحث فاستقبله بحقائق التسليم " (٨) ونحو " فشاو عقلك وإلا فاستنصع أو ثق الناس

١ - الإشارات الإلهية، ص ٢٤٥.

٢ - المصدر السابق، ص ١٠.

٣ - المصدر السابق، ص ١٦٦.

٤ - المصدر السابق، ص ١٧٠.

٥ - التصوف النفسي، ص ١٠٥.

٦ - عقل الفطرة: أول مقامات العقل وهو الذي يخرج به الصبي والرجل من صفة الجنون فيعمل ما يقال له فيميز بين الخير والشر، ويعرف به الكرامة من الهوان.

٧ - العقل المحجة: وهو الذي به يستحق العبد من الله تعالى الخطاب فإذا بلغ الحلم يتأكد نور العقل.

٨ - عقل التجربة: وهو أرفع الثلاثة وأفضلها لأنه يصير حكيمًا بالتجارب.

٩ - عقل موروثة: وصفته أن يكون الرجل كبيراً عاملاً حكيمًا، وقد انتهى بولد سفيه لا ينتفع من صحبتته فيموت هذا الرجل فيورث الله تعالى ببركته عقله ونوره وضيائه لهذا السفيه فيتغير حاله.

١٠ - الكلام عن العقل مضطرب جدًا، خاصة إذا تراءى بتجديده من وفر الله حظه منه، وصيغ كله أو بعضه به، وليس ظاهرة ويلفته فيه. المقامات ص ٢٣٥.

١١ - يقول التوحيدي في المقابلة الرفيعة والخمسين عن العقل: انظر إلى من فقد ولم يوهب له شيء منه كيف يرفض ويختل، ويعدى، ويستزل، ويهرب منه، ويستوحش من قربه ومكانه. المقامات ص ٢٢٤.

١٢ - الإشارات الإلهية، ص ١٥٨.

١٣ - الإشارات الإلهية، ص ١٧٠.

من نفسك \* (١) وورد لفظ العقل مصاحباً للفظ القلب لكونهما من أنواع القوي لدى الإنسان نحو "أرياب القلوب ونووالعقول" \* (٢).

وعقل الإنسان له حدود يقف عندها، وذلك إذا اتصل الأمر بالقدرة الإلهية فهنا لا مجال للعقل وقد ورد لفظ العقل موصوفاً بالجهل نحو: "فَإِنِّي فَارِقُهُ مُسْتَوْجِشاً مِنْهُ مُتَعَجِّباً مِنْ أَحْلَاقِهِ ، حَزْناً عَلَى عَقْلِهِ ؛ لَأَنِّي وَجَدْتَهُ تَارِكاً لِأَحْكَامِ الْمَرْوَةِ ، جَاهِلاً بِحَقُوقِ الدَّعْوَى" \* (٣). كما يتصف العقل بالنقصان وعدم التمام نحو "إِذَا تَأَجَّكَ الْحَقُّ بِمَا يَدِقُّ عَنِ الْفَهْمِ فَلَا تُحَاكِمُهُ إِلَى نَقْصِ الْعَقْلِ" \* (٤).

وورد لفظ العقل في سياق ذكر نعم الله الكثيرة على عبادة " وهب لك عقلاً به وصلك بنفسه" \* (٥) وورد لفظ العقل يحمل دلالة وحلقة الاتصال بين العبد وربه نحو " والعقل رسول الحق" \* (٦) واستخدام التوحيدي (لفظ الفهم) يحمل دلالة العقل نحو " أَيْنَ الْفَهْمُ الَّذِي بِهِ تُمْلِكُ الْوَجُوهَ وَالنَّوَاصِي" \* (٧) ورد لفظ (لب) مرادفاً (للعقل) نحو " الحمد لله الذي عَنَتَ لَهُ الْوُجُوهَ ، وَخَازَنَتْ فِي كُنْهِهِ الْأَكْتَابُ" \* (٨).

- ١ - المصدر السابق، ص ٩.
- ٢ - المصدر السابق، ص ١٥٨.
- ٣ - المصدر السابق، ص ١٢٦.
- ٤ - المصدر السابق، ص ١٧٠.
- ٥ - المصدر السابق، ص ٢٤٨.
- ٦ - المصدر السابق، ص ٢٣٨.
- ٧ - المصدر السابق، ص ٢٥٢.
- ٨ - المصدر السابق، ص ١٢٣.

لم يرفض جميع الصوفية إنهام العقل في تحصيل المعرفة، ولكن أغلبهم قرر ضرورة استنشاء العقل بالإيمان، وربما أرادوا بذلك أن العقل يصل بالإنسان إلى غاية محددة قد تصلح في ذاتها أن تكون بدءاً في سلم الإيمان.

- اللب: مادة النور الإلهي. التعريفات ص ٢٤٣.

## المبحث الثالث ،

### العلاقات الدلالية بين الفاظ الحياة الصوفية هي « الإشارات الإلهية »

إذا كانت دراستنا للمستوى الدلالي في كتاب " الإشارات الإلهية " تعتمد على نظرية " المجالات الدلالية " فإن هذه النظرية لا تقوم على فكرة تنظيم المفردات في مجالات دلالية بحجة أن المعاني لا توجد منفردة في الذهن فقط بل تقوم أيضاً على فكرة بحث العلاقات الدلالية بين الكلمات، فلكي نفهم معنى كلمة فهماً صحيحاً لابد لنا من فهم مجموعة الكلمات المرتبطة بها دلالياً ، وذلك من خلال العلاقات الدلالية بين هذه الكلمات، ومن هذه العلاقات علاقة الترادف وتقارب المعنى، علاقة الاشتراك اللفظي وتعدد المعنى، علاقة التضاد، علاقة الأضداد، علاقة المجاز، علاقة العموم والخصوص.

وقد رصدت أظهر العلاقات الدلالية الخاصة بألفاظ الحياة الصوفية في (الإشارات الإلهية) ، فكانت كالتالي: -

#### [1] علاقة الترادف وتقارب المعنى، -

- نعمة - أياديه - النعماء - آلائه.

- علم - معرفة - معروف - معارف.

- الاختيار - المشيئة - الإرادة.

- قلب - فؤاد - فؤادي.

- عقل - لب - الباب.

- الإعلان - جهري.

- لسان النعمة - لسان آله.
- المناجاة - الدعاء.
- نضبت - جمدت.
- الإسرار - سري - السر.
- مهيبة - هيبة.
- اضطرار - تسليم.
- الشوق - التشويق - المشتاق.
- السكر - سكرة - سكره.
- الفقر - فقير - فقرك.
- الذكر - الذاكر - تذكره.
- الغافل - المتغافل - الغفلة.
- الواحد - الصمد.
- اليقين - الإيمان - يقيننا - نيقن.
- الصبر - صابر.
- الإحسان - المحاسن.
- اليسط - ييسطك - منيسطاً.
- الحسد - محسوداً.
- الغيب - غائباً.
- رجاءك - المرجو.
- التوكل - المتوكل عليه.



- الیقطة - المستیقظین - یقظتک.
- تزهد - زاهداً - الزاهد.
- الشاهد - الشهادة - شواهد - شهود - شهدنا - اشهد.
- ترغّب - راغباً - الراغب.
- القبض - انقبض - یقبضک - قبضک.
- الحقيقة - الحق - حقائق - حقیقتک.
- [3] علاقة التضاد أو التقابل: -  
وتظهر تلك العلاقة في الألفاظ التالية: -
- الدنيا x الآخرة.
- الإشارة x العبارة.
- سرّاً x جهراً.
- الیقطة x الغفلة.
- منامک x یقظتک.
- المستیقظین x الغافلین.
- الطمانینة x القلق.
- الرجاء x الیأس.
- رجاءنا x یأسنا.
- خوفنا x أمننا.
- تؤمن x تخوف.
- اطمع x اشک.

- البسط x القبض.
- مبتلي x مجتبي.
- الباطن x الظاهر.
- أخفي x أبدي.
- الخوافي x البوادي.
- الاختيار x الاضطرار.
- علم x جهل.
- ظناً x يقيناً.
- زاهداً x راغباً.
- اليقين x الظن.
- العاجلة x الأجلة.
- الزاهد x الراغب.
- ترغب x تزهد.
- القني x الإملاق.
- يبسطك x يقبضك.
- بسطك x قبضك.
- السكر x الصحي.
- سكره x صحوه.
- الإنس x الوحشة.
- السر x العلانية.

- سيئة x حسنة.

- رقة x قسوة.

- الإسرار x الإعلان.

- سري x جهري.

- علاقة المجاز.

يستخدم التوحيدي لفظ (صدر) بمعنى قلب باعتبار أن الصدر محل القلب فالعلاقة بينهما علاقة محلية ورد لفظ (السر) بمعنى القلب وذلك باعتبار إطلاق لفظ الحال على المحل.

- ورد لفظ (الفهم) بمعنى العقل باعتبار أن الفهم حال العقل.

- ورد لفظ (اللسان) يحمل دلالة الذكر والعلاقة بين اللسان والذكر هي (الآلية)

فاللسان آلة الذكر نحو (لسان الصدق) (لسان النعمة) (لسان التصوف) (لسان العدم) (لسان التذوق)

- ورد لفظ (اليد) بمعنى (النعمة) فاليد هي سبب النعمة فالعلاقة بين اليد والنعمة

هي علاقة سببية ورد لفظ الوجه والمقصود به كامل الإنسان فهو مجاز مرسل علاقته الجزئية.

- ومن العلاقات الدلالية أيضاً (المشترك اللفظي) مثل كلمة (عين) عضو الإبصار

و(العين الفؤارة) عين الماء.

من خلال البيان السابق للعلاقات الدلالية لألفاظ الحياة الصوفية في كتاب

(الإشارات الإلهية) نستطيع القول إن أكثر العلاقات الدلالية بين هذه المفردات هي علاقة

الطباق فقد عمد التوحيدي ، إلى استخدام الطباق لما له من أثر كبير في وضوح المعنى

وجمال الأسلوب ، وقد لاحظت أن التوحيدي لم يستخدم طباق السلب وإنما كان ديدنه طباق الإيجاب لما له من أهمية في إظهار ثراء اللغة وغناها.

وكانت علاقة الترادف وتقارب المعنى ثاني أكثر العلاقات الدلالية وضوحاً بين المفردات، وذلك يناسب عملية الشرح والتفسير التي كان يقوم بها التوحيدي في ثنايا الكتاب.

وقد تنوعت العلاقات الدلالية الأخرى كعلاقات المجاز المتنوعة بين المفردات ، وعلاقة الجزء بالكل.

إن الدراسة الدلالية ( لألفاظ الحياة الصوفية ) في ( الإشارات الإلهية ) تبرهن على خبرة التوحيدي بمصطلحات الصوفية، ودلالاتها عندهم، فقد جاءت استخداماته لهذه المصطلحات موافقة لدلالاتها عندهم وهي دلالات اختصوا وتميزوا بها على غيرهم وهذا ما يدل على تشرب التوحيدي لاتجاهات وتعاليم وأحوال ومقامات الصوفية وجعله من القامات العالية التي كتبت في التصوف.

## تحليل الرسالة الحادية والثلاثين

العنوان للكتاب كالاسم للشيء ، به يعرف ويفضله يتداول . يشار به إليه ، ويذل به عليه ؛ لذلك يعد عنوان الكتاب ضرورة كتابية ، ونحن في غنى عن تأكيد أن كاتب العمل أو مرسله قد أعطى كتابة عنوانه ما أعطاه للعمل من عناية واهتمام <sup>(١)</sup> . ويمثل العنوان أعلى اقتصاد لغوي ممكن .

وكتابنا الذي عنينا بدراسته يحمل عنوان « الإشارات الإلهية » وهو كتاب يمدنا بمفهوم واضح للتصوف حسبما كان يؤمن به التوحيدي ، « والإشارة إلى علم التصوف بالإشارات والعبارة كان أمراً متداولاً لدى الصوفية في عصر أبي حيان » <sup>(٢)</sup> .

وكذلك كان أمراً متداولاً في عصور سبقت عصر التوحيدي ، وعصور تلت عصره فليس التوحيدي متفريداً بهذه التسمية ، أو تلك العنونة ، ومن الكتب التي تحمل هذا العنوان كتاب : « لطائف الإشارات » للإمام القشيري ، وهو تفسير صوفي كامل للقرآن الكريم وكتاب : « لطائف الأعلام في إشارات أهل الإلهام » لعبد الرزاق القاشاني وهو من صوفية القرن الثامن الهجري .

ويعني التوحيدي بـ « الإشارات » : « محاولة المتصوف الذي ارتفع عن البشر واقترب من الوصول إلى الله أن يعبر عن الحقيقة الإلهية بصنوف مختلفة من العبارات التي يستعملها البشر جميعهم ، سواء أكان ذلك التعبير لتسبيح الله وحده ، أم لهداية البشر إلى الله » <sup>(٣)</sup> .

١- العنوان وسيموطيقا الاتصال الألبني ، د/ محمد فكري الجزار ، القاهرة ، الهيئة العامة للكتاب ، ٢٠٠٦ م ، ص ٧ .

٢- الإشارات الإلهية ، ص ٢٠ .

٣- المصدر السابق ، ص ٢٠ .

وفي هذا السياق تحليل ( نحوي دلالي ) للرسالة الحادية والثلاثين من كتاب «  
الإشارات الإلهية»؛ وذلك حتى لا توصف الدراسة بالنزعة الجزئية في تناول.  
وهذه الرسالة كسائر رسائل الكتاب تقوم على المناجاة ومخاطبة شخص ما ، وفيها  
حيرة ، وضيق ، وشكوى ، ورغبة صادقة في توجيه النصع والإرشاد .  
- دراسة المستوى الترشيحي في الرسالة :

إن هدف الرسالة الترغيب في الفضائل، والتوجه إلى الله وترك الدنيا ، ويتراوح  
حديث أبي حيان فيها بين الشدة واللين .  
والتراكيب اللغوية هي التي تحمل ما نجيش به النفس ، وتحس به الروح ، ويغور به  
القلب ، وهي تستمد قيمتها من شخصية صاحبها ، ولا شك أن أبا حيان يعد من  
الشخصيات الخصبة الثرية ؛ لذلك تميزت تراكيبه بالغنى والتنوع .  
- دراسة جمل النداء :

بلغ عدد جمل النداء في الرسالة ثلاث عشرة جملة ، استخدم أبو حيان التوحيدي  
أداة النداء "يا" ثلاث مرات ، واستخدم "أيها" في النداء ثلاث مرات ، واستخدم "اللهم" في  
النداء خمس مرات ، واستخدم النداء بـ "إلهنا" مرة واحدة وكذلك استخدم "إلهي" في النداء  
مرة واحدة ، وفيما يلي بيان لاستخدام أدوات النداء في الرسالة الحادية والثلاثين .

عدد	النداء بـ "يا"	النداء بـ "أيها"	النداء بـ "اللهم"	النداء بـ "إلهي"	النداء بـ "إلهنا"
١٣	٣	٣	٥	١	١

وباستقراء الإحصاء السابق نجد أن أكثر أشكال النداء استخداماً هو النداء ( باللهم )  
وهي مركبة من يا + الله ، ثم حذف حرف النداء وعوّض عنه بميم مشددة ، وكثيراً ما يأتي بعد

النداء بـ "اللهم" فعل أمر غرضه الدعاء ، والاعتراف بالتقصير ، والضعف والهوان أمام الخالق سبحانه وتعالى ، وهو ما يعزّز موقف المناجاة الذي يقفه أبو حيان التوحيدي ، وفي استخدام ( اللهم ) في النداء تلذذ بذكر المولى سبحانه وتعالى.

يلي استخدام "اللهم" في النداء استخدام ( يا ) ، و ( أيُّها ) ، أمّا ( يا ) فبعدها النحاة أمّ الباب ، وهي أكثر حروف النداء استعمالاً في العربية ويتبعها التوحيدي غالباً باسم الإشارة ( هذا ) وفي استخدام اسم الإشارة نوع من الإبهام ، فالخطاب عام للإنسان الخافل اللاهي . أمّا ( أيُّها ) فهي مكونة من ( أيّ ) حرف نداء والهاء للتنبيه ، وقد وردت في الرسالة ثلاث مرات ، و ( أيُّها ) أداة نداء أقوى في المعنى من ( يا ) ، وذلك لإضافة عنصر لغوي جديد هو الهاء لإثارة الانتباه ، ويتبع التوحيدي هذه الأداة في الرسالة بنعت فيه تودد وقرب مثل ( الأخ ) أو ( الصاحب ) وذلك لاستمالة السامع ، وإقناعه بالحب والرغبة الصادقة في النصّح .

- الصور الترحيبية لجمل النداء في الرسالة :

١- اللهم + فعل أمر + ضمير ( مفعول به ) + ( جار ومجرور + مضاف إليه ) + جار ومجرور + مضاف إليه .

« اللهم اغننا بتوبيّخك عن تنبيه خَلْقِكَ » (١) .

٢- اللهم + ف + فعل أمر + مفعول به + مضاف إليه + جار ومجرور + مفعول به

ثان .

نحو : « اللهم فاجعل قولنا لك مَسْمُوعًا » (٢) .

١- الإشارات الإلهية ، ص ٢١١ .  
٢- المصدر السابق ، ص ٢١٢ .

٣- اللهم + إن + ضمير + أداة شرط + فعل ماض + فاعل + مفعول به + ف + جار ومجرور + مضاف إليه .

نحو: « اللهم إنا إن تَكَرَّمْنَاكَ فَتُؤَيِّدُكَ » (١)

٤- اللهم + إن + ضمير + فعل مضارع + ل + اسم مجرور .

نحو: « اللهم إنا نرتاح لذكرك » (٢)

٥- اللهم + إن + ضمير + ربما + فعل ماض + ضمير + مفعول به + مضاف إليه .

نحو: « اللهم إنا ربَّما تَرَكْنَا دُعَاكَ » (٣)

٦- أيها + نعت + فعل أمر + ف + قد + فعل ماض + فاعل .

نحو: « أَيُّهَا الْإِنْسَانُ تَنَبَّهْ فَقَدْ طَالَتْ الرَّقْدَةُ » (٤)

٧- يا + اسم إشارة + حرف ناسخ + جملة اسمية .

نحو: « يَا هَذَا : إِنَّكَ لَمُرَاتٌ بِأَمْرِ عَظِيمٍ » (٥)

٨- إلهي + مبتدأ + اسم موصول + جملة صلة + ف + خير جملة اسمية .

نحو: « إلهي كل ما أقوله فأنث فوقه » (٦)

٩- إلهنا + جملة اسمية .

نحو: « إلهنا نحن عبيدك » (٧)

بعد رصد الصور التركيبية للنداء في الرسالة نتجحه لدلالة النداء في الرسالة ، وإذا

كانت دلالة النداء الحقيقية هي استدعاء المنادى فمن تعددت دلالات النداء في الرسالة

١- المصدر السابق ، ص ٢١٠ .

٢- المصدر السابق ، ص ٢٠٨ .

٣- المصدر السابق ، ص ٢١١ .

٤- المصدر السابق ، ص ٢١١ .

٥- الإشارات الإلهية ، ص ٢٠٧ .

٦- المصدر السابق ، ص ٢٠٩ .

٧- المصدر السابق ، ص ٢٠٨ .



حيث خرجت دلالة النداء من معناها الحقيقي إلى معانٍ جانبية تستفاد من السياق ومن هذه الدلالات .

١- الدعاء :

نحو قول التوحيدي : « اللَّهُمَّ اغْنِنَا بِتُوبَتِكَ عَنْ تُوبَتِكَ خَلِّكْ » . فالنداء خرج هنا من دلالته الحقيقية إلى غرض آخر هو الدعاء وذلك في سياق التوجه إلى الله سبحانه وتعالى وإظهار الخضوع والركون إليه .

٢- إظهار الخضوع والخضوع والانقياد :

نحو : « إلهنا نحن عبيدك متصرفون على إرادتك » . وذلك في سياق التضرع إلى الله سبحانه وتعالى وإظهار الانقياد والتسليم له .

٣- النصع والإرشاد :

نحو : « أيها الإنسان تنبّه فقد طالت الرقعة » .

وقد ورد ذلك في سياق توجيه النصع والإرشاد للإنسان الذي يرغب التوحيدي في نفعه ويتمنى له الخير والرشاد .

٤- إظهار اليأس والحيرة :

نحو : « أيها الصديق المحاور كيف أتكلّم والفؤاد هائم بكل وادٍ » (١) . وذلك في سياق استئثار المعاصي ، وإحساس الإنسان بالذنوب الكثيرة وإحساسه بالحيرة وعدم الهداية .

- دراسة جمل الاستفهام في الرسالة :

بلغ عدد جمل الاستفهام في الرسالة ست عشرة جملة وكان بيانها كالتالي :

١- الإشارات الإلهية ، ص ٢٠٥ .

عدد الجملة	الاستفهام بالهمزة	الاستفهام بأي	الاستفهام بكيف	الاستفهام عن	الاستفهام بما
١٦	٥	١	٧	١	٢

وباستقراء الجدول السابق نجد أن ( كيف ) أكثر أدوات الاستفهام استخدامًا وذلك لأنها تسأل عن الحال والكيفية ، وهي تناسب حيرة التوحيدي، كما تناسب رغبته في كشف وجلائها الأمور.

ويلي ( كيف ) في الاستعمال ( الهمزة ) وهي الأداة التي يسأل بها عن كل شيء وقد تنوعت الصور التركيبية للاستفهام في الرسالة نحو :

- ١- كيف + فعل مضارع + جار ومجرور + مضاف إليه .  
نحو : « كيف يقنط من رحمته؟ » (١) ، « كيف يخاف عليه؟ » (٢) .
- ٢- كيف + فعل مضارع + و + جملة اسمية .  
نحو : « كيف أتكلم والغواذ هائم؟ » (٣) ، « كيف أشكو والسُرُ ظاهر؟ » (٤) .
- ٣- ب أي + مضاف إليه + فعل مضارع .  
نحو : « بأي شيء أتخلل؟ » (٥) .
- ٤- على + من + مضارع .  
نحو : « على من أعتمد؟ » (٦) .

١- المصدر السابق، ص ٢٠٨ .  
٢- المصدر السابق، ص ٢٠٨ .  
٣- المصدر السابق، ص ٢٠٥ .  
٤- المصدر السابق، ص ٢٠٥ .  
٥- الإشارات الإلهية، ص ٢٠٥ .  
٦- المصدر السابق، ص ٢٠٥ .

٥- همزة + ما + جار ومجرور + في + اسم إشارة + بدل + نعت + مبتدأ مؤخر.

نحو: « أما لك في هذه الأحوال العجيبة فطائفة؟ » (١).

٦- همزة + ما + جار ومجرور + جار ومجرور + لا + مضارع.

نحو: « أما لك فيما لا تجد حجة؟ » (٢).

وكما تعددت دلالات النداء في الرسالة فقد تعددت دلالات الاستفهام حيث خرج الاستفهام من دلالاته الحقيقية وهو طلب حصول صورة الشيء في الذهن بأدوات مخصوصة إلى أغراض بلاغية أخرى متنوعة تستفاد من السياق، ومن هذه الدلالات:

- التعجب:

نحو: « أما لك بما ترى فيما لا ترى عبرة؟ ».

وذلك في سياق التعجب والدهشة من ذلك الإنسان الغافل اللاهي غير المعتين

- العبرة والعبرة:

نحو: « كيف أتكلم والغفلة هائم بكل واحد؟ ».

وذلك في سياق إظهار الحيرة والحسرة على حال الإنسان الذي صار إليه.

- الاستبعاد:

نحو: « كيف يَفْقَهُ من رَحْمَتِهِ؟ » . وذلك في سياق استبعاد القنوط من رحمة الله

سبحانه وتعالى التي وسعت كل شيء.

١- المصدر السابق، ص ٢٠٧.

٢- المصدر السابق، ص ٢٠٧.



٦- فعل أمر + نداء + مفعول به + مضاف إليه.

نحو: « غَلَبَ يا إلهنا رجاءنا » (١).

وقد تعددت دلالات الأمر في الرسالة فخرج الأمر من معناه الحقيقي إلى دلالات أخرى وذلك بمساعدة السياق ومن هذه الدلالات :

- الدعاء ،

وذلك إذا كان الأمر موجه إلى الله سبحانه وتعالى . نحو: « غَلَبَ يا إلهنا رجاءنا على ياسنا ، ويغيب خوفنا في أثناء آمِننا ، واهتف بنا إذا سهونا » (٢).

- النصح والتوجيه ،

وذلك إذا كان الأمر موجهًا للإنسان المرغوب في هدايته وإرشاده ، نحو « تثبَّه فقد طالت الرقدة ، انتعش فقد استمرت السقطة » (٣).

من العرض السابق يمكننا أن نقول إن البنى التركيبية في الرسالة قد تنوعت وتعددت دلالاتها حسب السياق الذي تسير فيه ، وهذه البنى التركيبية على الرغم من ثرائها وتنوعها ، وتعدد دلالاتها ، كان لا بد لها من الترابط والتماسك ؛ فهي جزء من النص الذي يتميز بأنه كون مترابط ملتحم؛ فهو بنية مركبة متماسكة وذلك يتم عن طريق الربط الإحالي بالضمير ، أو باسم الإشارة ، أو بالاسم الموصول ، أو الربط بأدوات الربط المتنوعة كحروف الجر ، وحروف العطف ، وأدوات الشرط .

فوظيفة الربط إحداث التماسك بين الكلمات والتراكيب ، وحصول الخفة والإيجاز وأمن اللبس ، وقد برع التوحيدي في استخدام الروابط من ذلك الربط الإحالي بالضمير نحو

١- الإشارات الإلهية، ص ٢٠٨.

٢- المصدر السابق، ص ٢٠٨.

٣- المصدر السابق ، ص ٢١١.

« أوليت من طردني عن بابي أهلي لعتابه ، أوليت من جزعني مرقاهه أخطر على بالي حلاوة لقائه » (١).

ومن أشكال الربط التي عمد إليها التوحيدي استخدام أدوات الشرط، التي تدخل على جملتين فتجعل إحداها مرتبطة بالأخرى ومتعلقة بها، وأساس علاقة الربط هذه قيامها على معنى الاستلزام ، نحو : « إذا تفرق في رخايف الملك جمعه ، إذا سأل روح ساعة في العمر منعه » (٢). ونحو قوله : « إن وصل حجر ، وإن سأل رجز ، وإن ادعى مؤليب ، وإن استرسل غوثب » (٣).

ومن أدوات الربط التي استخدمها التوحيدي حروف العطف ، نحو : « أم من زمان متفكر ، وصديق متغير ، وعدو متفكر ، وجار متدبر » (٤).

وقد أكثر التوحيدي من استخدام حرف العطف الواو، وهو حرف يعطف المقدرات كما يعطف الجمل، وقد استخدمه التوحيدي استخدامًا كبيرًا وهو ما يتفق مع مكانته بين حروف العطف .

ومن الروابط التي استخدمها التوحيدي حروف الجر التي فهم أسرارها وعرف دقائق معانيها فتلاعب بها وتفنن في استعمالها ، نحو قوله : « فاجعل قولنا لك مسموعًا ، وفكرنا فيك مرفوعًا ، ودعاءنا لك مجابًا ، وعلمنا بك صوابًا ، ورغبتنا فيك صادقة ، وشاهدنا بآلائك ناطقة » (٥).

وقد استخدم التوحيدي حروف الجر بكثافة عالية، ومطبق مفهوم إنابة هذه الحروف عن بعضها ، وقد أحدثت هذه الكثافة في النص تماسكًا وترايبًا كبيرًا .

١- المصدر السابق، ص ٢٠٥.  
٢- الإشارات الإلهية، ص ٢٠٦.  
٣- المصدر السابق ، ص ٢٠٦.  
٤- المصدر السابق، ص ٢٠٦.  
٥- المصدر السابق ، ص ٢١٢.

وإذا انتقلنا إلى الدراسة الدلالية لألفاظ الرسالة حيث إنها جزء من الدراسة الدلالية للكتاب نتضح لنا مهارة التوحيدي الفائقة في استخدام المفردات فقد خبر دلالاتها في المفهوم الصوفي، وجاءت استخداماته للمفردات وفق تلك الدلالات المتداولة بينهم ومن هذه الألفاظ التي وردت في الرسالة.

ألفاظ تخص المجال الدلالي الخاص بمقامات الصوفية نحو :

مقامات - الرضا - الأحوال - ياسنا - خوفنا - خوف - رجاءنا - أمننا .

ومن الألفاظ التي وردت وتخص المجال الدلالي الخاص باصطلاحات الصوفية :

خطرات - بحر البلوى - ساحل المنى - لطائف - الغيب - الشاهد - الشهادة -

الوحشة - الأنس - الغائب - إرادتك - إحسانك - نعمتك - الجهل - معرفتك - أيقظتك

- مناجاتك .

ومن الألفاظ التي وردت وتخص المجال الدلالي الخاص بقوى الصوفية :

فؤاد - سر - روح .

وقد تحدثت عن دلالات تلك الألفاظ فيما سبق وهي تمثل جزء من ألفاظ الحياة

الصوفية في ( الإشارات الإلهية ) التي تجمعها علاقات دلالية كالترادف، والتقابل، وعلاقة المشترك اللفظي، وبغيرها من العلاقات لتكون من النهاية مجالاً دلاليًا عامًا يمثل ألفاظ الحياة الصوفية في (الإشارات الإلهية).

وقد أسرف التوحيدي في « التشقيق وإيراد المزدوجات والمتقابلات والمتضادات ،

في نفس لا يكمل واندفاع لا يتوقف » (١) .

١- الإشارات الإلهية ، ص ١٤ .

## الرسالة الحادية والثلاثون من خطابه "الإشارات الإلهية"

أيها صاحب المحاور، والصديق المجاور: كيف أتكلّم، والفؤاد هائم بكل وادٍ والخطر خالٍ من كل حادٍ وهادٍ؟ أم كيف أشكو، والسرّ ظاهرٌ بادرٍ؟ أم بأيّ شيء، أتعلى وكل ما أجده مُردّد ومُعاد؟ أم على من اعتمدُ وكل أحد أراه فهو لي ضِدٌّ ومُعاد؟ أنفاسي مُتحرّقة بالحسرات، ودموعي متفرقة بين التّغرات<sup>(١)</sup> واليزقات، وكَيْدي مُشتعلة على المناظر والهيئات، ويقتضي جاريةً على الرسوم والعبادات، وأحلامي عاريةً من كل ما له حاصل وثبات، ونفسي رهينةً بالسيئات، مفتونة بالسّوانح<sup>(٢)</sup> والخطرات، مغبونة عن الحسنات والصالحات.

الجهات دوني مُتسدة، والوجوه أمامي مُسوّدة، إن قلت، قيل: هذا زورٌ وبُهتانٌ وإن أشرت، قيل: هذا بُورٌ وعُدوان، وإن سكّنت، قيل: هذا سهوٌ ونسيان، فليت من ابتلاني بما لا طاقة لي به، رحمني بما لا غنى لي عنه، أوليت من طردني عن بابي، أغلني لعبابه، أوليت من جرّعني مرّ فراقه، أخطر على بالي حلاوة لقائه، أوليت من غمّسني في بحر البُلوى، طرحتني إلى ساحل المُنَى، أوليت من حطّني عن درجات المَخْدُومين، رَقّاني إلى مقامات الخدم، أوليت من حرمني روح المخصوصين كفاني لواذع الندم والسّدم<sup>(٣)</sup> أوليت من نبذني وراء كل شيء من عليّ بشيء، أوليت من حظر عليّ التّيسط عنده، لم

١- لسان العرب، مادة (ن ع ر)، اللعرة: صوت في الفيشوم، ونثر الرجل يَنْثَرُ وينثر ولعازاً، صاح وصوت بغيثومه.

٢- المصدر السابق، مادة (س ن ح): السانح ما أتك عن يمينك من طلي أو طائر أو غير ذلك، والبارح ما أتك من ذلك عن يسارك.

٣- المصدر السابق، مادة (س د م): السّدم: الندم والخزن والسّدم: الهم، وقيل همّ مع ندم وقيل يخط مع حزن.



يحظر عليّ التبعيض<sup>(١)</sup> له ، أوليت من قطع عني عادتي منه ، لم يُملِكْ مقادتي غيره ، أو ليت من متعني بَرْد الرضى لم يشوني بجُمُر الغضا<sup>(٢)</sup> ، أوليت من تركني هكذا سُدَى لم يفضحني في مَجَالس العدى .

آه من أنفاس تتحقق بأسرار الحق في غزوات الغيب على بسط التَّمَثُّل ، حيث ليس للعبارة فيه نصيب ، ولا للإشارة فيه تقريب ، آه من قول مُردود ، وقائل مُحسود وقاصِد مطرود ، وبائل مجهود ، وسائل محدود ، آه من زمان مُتَنَكَّر ، وصديق مُتَغَيَّر ، وعدو مُتَنَمَّر ، وجار مُتَدَمَّر ، ومُعَايِل مُتَنَكَّر<sup>(٣)</sup> ، آه في الجملة من مكان ناب<sup>(٤)</sup> بالمستوطنين ومن مسئول آيب للسائلين المستعطفين .

إلى من يفرغ طريد المحبوبين ؟ وبماذا يحنُّ من رُجر عن محل الحاضرين ؟ وإلى ماذا يلجأ من عُمر بالظلام ، ويُنَح من الاستراحة إلى الأمان والأحلام ، وجعل آية بين الأنام ؟ إذا ظهر بصفاته التي أعيرها قَمَعوه ، وإذا تفرَّق في زخارف الملك جمعوه ، وإذا سأل رَوْح ساعة في العمر منعوه ، وإذا غاب بأشجانه وأحزانه سَبَّعوه ، وإذا حضر برفقه ولطفه شتموه وأسمعوه ، فكله من بعضه في بلاء ، وبعضه من كله في غناء ، وآخره مع هذا وبغيره إلى شقاء ، إن وصل حجر ، وإن سأل رُجر ، وإن ادَّعى طُولِب ، وإن استرسل عُوتِب وإن قال : لا أدري ، قيل هذا نحاس ، وإن قال : أدري قيل هذا تعزُّز ، وإن ولَّى استقبلوه وإن أقبل ولوَا عنه . عِنَادٌ ولكنه عُجِبٌ ، وكِنَادٌ<sup>(٥)</sup> ولكنه ذو طرب ، وعُتُوٌ ولكنها الذ من

١- يصبص الكلب : أي حرَّكه ذيله والمتصود هذا الإعجاب والاحتفال .  
٢- لسان العرب ، مادة ( ج ض ا ) : شجر ، وهو من نبات الرمل له قُذْب كهدب الأرضي واحته ضياء .  
٣- متنكر ، أي شديد التغير والتكفي .  
٤- لسان العرب ، مادة ( ن ب ا ) : نيا الشيء عنه ينو أي تجافى وتباعد ونيا بي فلان أي جفاني .  
٥- لسان العرب ، مادة ( ل د ن د ) : كند - يكد - كودا : أي كثر بالنعمة ورجل كند .

الصلح ، وغربة ولكنها أطيب من الوطن ، وغضب ولكنه أحلى من الرضا ، وحرمان ولكنه أروح من العطاء ، وجفاء ولكنه ألطف من البر ، ورد ولكنه أشرف من القبول .

يا هذا : إن الحق ما نتهك على هذه الغوامض إلا وقد قدّسك عن سائر العوالم ، وما هتك بونك هذه السواتر إلا وقد أطلعك على تلك السرائر ، ولا أوحشك من ريق العبودية إلا وقد هيأ لك جلعة الحرية ، ولا كدّرك بما يصح منه في هذا الشاهد إلا وهو يريد تصفيّتك في ذلك الغائب . أما لك في هذه الأحوال العجيبة قطانة ؟ أما لك من لُبِّك وتجريّتك ظهارة <sup>(١)</sup> أوبطانة ؟ أما لك مما ترى فيما لا ترى عبرة ؟ أما لك مما تشهد مما لا تشهد خبرة ؟ أما لك مما لا تجد حجة أو عثرة ؟

يا هذا : إنك لمرد بأمر عظيم ، ومُرشّح لسر مكتوم ، فالجدُّ الجدُّ فكأنك وقد بلغت الحد : إذا هي حياة ذات أنفاس ، وحالٌ دائرة بين طمانينة ووسواس ، فإن أغضيت عنها أنفًا منها ، ولم تحلم بها عائفاً لها ، ولم تكمد عليها مستغيثاً بما فوقها ، رفغوك إلى حظيرة القدس وتوجّوك بتاج الرّوح والأنس ، وردوك رداء المخصوصين ، وأنسوك جميع ما قاسيته بين العالمين ، وخاطبوك بلفظ التشريف ، وأعفوك من كل توقيف وتعذيف ، وقيل لك تحكم باقتراحك فلا حائل بينك وبين أمنيّتك ، وأبلغ غاية ما تجد بوهك فلا خيبة لك بعد ما سلف منك في أيامك ، وناغينا بأسرار صدرك ، فطالما تكسرت في حجب الكتمان عندك وكل ذلك كان بعيننا ، ونحن كنا أولك وأخرك فيها ، ولو شئنا لكفيناك ، ولكننا رقبيناك بما صفيتك ، لتكون عندنا على ما أردناك ، وإن أنت لم تُعْضِ عن هذه الزهرة الحائلة ، ووكالت بها طرفك ، وقصّرت عليها سعيك ، وجعلتها همك وبالك ، ووهبت لها سرّك وجهرك جعلوك خطب جهنم ، وحينئذ لا أبعد الله غيرك .

١- المصدر السابق ، مادة ( ظ ه ر ) : الظهارة بالكسر : نقیض البطانة ، وجمعها ظهائر فالظهارة ظاهر الشيء وما تراء منه ، وعكسها البطانة ، ويقال : ظهارة الثوب وبطانته .

اللهم : إنا نرتاح لذكرك على تَلَوْنِيَا في مخالفتك . ونرتاع من مكرك على علمنا بجودك وكرمك ، فَهَبْ اِرْتِبَاعَنَا من مكرك ، لارْتِبَاحِنَا لذكرك ، وِرْدَنَا من عندك ما هولاثِقٌ بمجرك – ولا إذن لنا في طلبه منك – فإن جودك أسبق إلينا بفنون العطاء ، من تضرعنا إليك بأصناف الدعاء ، مننت علينا في الأول فكان ذاك كرمًا منك ، وستمنُّ علينا في الآخر بمثله لأن آخرك شبيهه بالأول ، وأولك شبيهه بالآخر ، بل أولك آخر وآخرك أول . فمن كله واحد ، وهو على ذلك شاهد ، كيف يخاف عليه ، أم كيف يرتاب بما عليه ، أم كيف يُقنط من رحمته ؟ ( قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ ) [الحجر: ٥٦] .

إلهنا : نحن عبيدك ، متصرفون على إرادتك ، متقلبون بين مشيئتك وحكمك مترددون بين قدرتك وحكمتك ، آملون رِوَادِفَ عطفتك ورحمتك ، معترفون بسوايح إحسانك ونعمتك ، خائفون من عواقب سطوتك ونقمتك ، فغلب يا إلهنا رجاءنا على يأسنا ، وغيب خوفنا في أثناء أمننا ، واهتف بنا إذا سهونا ، وأيقظنا إذا رقدنا ، وادعنا إذا فترنا ، وارؤف بنا إذا ضعفنا ، وشرقنا إذا اتضعنا ، وأوردنا إذا ظلمنا ، وأوقدنا إذا طغنا ، وأملئنا إذا خئنا ، وتألغنا إذا شردنا ، وتكرّم علينا إذا لؤمنا ، وذكرنا إذا نسينا ، ولطفنا إذا كئفنا وفي الجملة ، قربنا منك إذا بعدنا عنك ، وصلنا بك إذا انقطعنا دونك ، فإنك مالك نواصينا في الشهادة والغيب ، ومدبر أداييننا وأقاصينا في الرّوح والكرب .

إلهي : كل ما أقوله فأنت فوقه ، وكل ما أضمره فأنت أعلى منه ، فالقول لا يأتي على حقه في نعتك ، والضمير لا يحيط بكنهك . وكيف نقدر على شيء من ذلك ، وقد ملكتنا في الأول حين خلقتنا ، وقدرت علينا في الثاني حين صرفتنا ؟ فالقول وإن كان فيك فهو منك ، والظاهر وإن كان من أجلك فهو لك ، من الجهل إن أصفك بغير ما وصفت به نفسك ومن سوء الأدب أن أعرفك بغير ما عرفتني به حقيقتك ، ومن الجرأة أن أعترض على

حكمتك وإن ساءني ، ومن الخذلان أن أظن أن تدييري لنفسي أصلح من تديريك . كيف يكون هذا الظن صواباً والعجز مني ظاهر والقدرة منك شائعة؟ هيهات : أسلمت لك وجهي سائلاً رفقك ، واضرعت لك خدي طالباً فضل ما عندك ، وهجرت كل من ثناني إلى غير وكذبت كل من آيسني من خيرك ، وعاديت فيك كل من أشار إلى سواك ، أنا أنسى ما جدت به علي في القدم ، حيث أنا ليس وفي العدم .

ثم ربيتني بين القسَم والتعم ، ثم البستني قميص معرفتك ، وفجرت<sup>(١)</sup> فمي بذكرك ثم أهلتني لمناجاتك ، ثم أذنت لي في الدعاء لك ، ثم أمرتني بالدعاء إليك ، ثم رشحتني لحفظ أسرارك ، وأطلعتني على نبودك وأغوارك ، بغرائب أخبارك وآثارك؟! إني إن تسببت هذه اللطائف وسهوت عن هذه الطرائف ، لمن لا خير له في حياته ، ولا زاد له بعد مماته . اللهم : إنا إن ذكرناك فيتوفيقك ، وإن وصفناك فيتابييدك ، وإن لهيئنا عن بعض ذلك فلنفوذ حكمك فينا وأمرك .

أيها الأخ الراغب في الخير ، والصاحب المجانب للشر : إن تكلفت لك وصفي ووصف زماني وزمانك ، وما قد دُفِعنا إليه في شاني وشانك ، كان ذلك شاعلاً للوقت عما هو أولى به وأعوذُ إلينا بالجدوى منه ، فتعال حتى لا نشتكى ولا نتألم ، ونهب أنفسنا لبلايا هذا العالم فعن قليل ننتقل إلى ما تعلم وأعلم . فليس من المروءة أن نشكو صديقاً إذا قصّر ، ولا من عزة النفس أن نجزع من عدو وإن بالغ ، وما فقر أيام ، ويؤس ساعات ، وتخير إخوان ثقات وغير ثقات ، حتى نضج هذا الضجيج ونغني زماننا يا أسي على الفائت ؟

ما أحوجنا – عافاك الله – إلى الإعراض عن هذه الأعراض والأمراض ، بالإقبال على ما فيه إعداد الزاد للمعاد ، فعن قليل تقف هذه المطية بالكالال فننزل عنها إما إلى الرشد

١- لسان العرب ، مادة ( ف غ ر ) : فغره فغره ، ويفغره فغراً وفغوراً أي : فتحه ، وفغره فغره نفسه وانفجر : الفتح .

والغبطة ، وإمّا إلى البلاء والوُرطة ، فهلّم أيها الإنسانُ حتى لا ننتطقَ إلا بما فيه فائدة ، ولا نعملَ إلا ما له ثمرة وعائدة ، وندع الدنيا حتى تجمع بآبائها وعشقاتها ، ونكون نحن من عُشقاتها وطلقائها .

أيها الإنسان : تنبّه فقد طالمت الرّقدة ، وانتعيش فقد استمررت في السّفطة واستأنس فقد أفرطت في الوَحشة ، وخذ حذرك فقد أحاطت بك الشّقوة ، واملك نفسك من نفسك ، تنج نفسك من نفسك لنفسك ، فما بعد الفضيحة التي أنت عليها فضيحة ، ولا بعد النصيحة التي تسمعها نصيحة .

اللهم : أعننا بتنبيهك عن تنبيه خَلْقك ، وعَيّننا في مشهود رضوانك عن عبادك ، وأشهّدنا في غيب ملكوتك كلّ ما غاب عنا باحتجابنا عنك ، واغضضْ أبصارنا إلا عن النظر إلى وجهك وإنمّ خواطرنّا إلا من السُّبوح في مراد إلهيتك ، واجعل أول قولنا عندك :

﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ (١)

اللهم : إنا ربّما تركنا دعاءك وقد علمنا أنّا إذا كنا في وصفك فقد استغرقنا ذاك وتجاوزنا ما هناك ، لأن وصفك بما أنت أهله فوق دعائنا بما نحن نطلبه ، وإنما دعائنا حظّ لنا منك ، ووصفنا لك نصيبك منا ، وإذا وافقناك فيما تستحقّه وأصفين ، قابلتنا عليه بما نامله وبما لا نامله غير داعين ، ونحن إذا وصفناك فإنما نستنشق نسائم ربوبيتك من أوطان معرفتك بوسائط هدايتك ، وإذا دعوناك فإنما نشكو إليك كُرينا الجاشة على قلوبنا من خوف فراقك ، ومع هذا وذاك فإننا نسالك اللهم ، أن تُقبّلنا على علّتنا ، وأن تسدّ منّا خلّاتنا ، وأن تُقبلنا عثراتنا ، وأن تسترّ علينا غوراتنا ، وأن تُبدّل سيئاتنا حسناتنا ، وأن تُغضي عن هفواتنا ، وأن تهب لنا رضاك منا في جميع حالاتنا ، فحاجتنا إليك فوق

(١) سورة فلطر : الآية ٣٤ .

حاجة محيل النيات إلى القَطَر، وفوق حاجة الموتى إلى الرُّوح، وفوق حاجة الطالب إلى الوجدان.

اللهم : فاجعل قولنا لك مسموعًا ، وفكرنا فيك مرفوعًا ، ودعاءنا لك مُجابًا ، وعلمنا بك صوابًا ، ورغبتنا فيك صادقة ، وشواهدنا بآلائك ناطقة ، وأثارك عندنا باقية ، وأياديك لدينا ضافية ، وألسنتنا بذكرك مأخوذة ، وبصائرنا باليقين مشحونة ، يا ذا الجلال والإكرام.

\_\_\_\_\_

## الخاتمة

لقد كان ديدن هذا البحث وشاغله منذ البدء التأمل في البناء اللغوي لأدب أبي حيان التوحيدي من خلال كتاب "الإشارات الإلهية"، والوقوف على البنى التركيبية والمناسجي الدلالية للألفاظ والتراكيب اللغوية، وكيفية انسجام هذه النسق التعبيرية وارتباطها في ذاتها ومع بعضها.

وقد بدأت المواجهة مع الكتاب بدراسة المستوى التركيبي، الذي تميّز بعدة ميزات في جانبي البنية، والدلالة يمكن إيجاز هذه الميزات فيما يلي:

- كان التعبير بالجملة الفعلية أكثر من الجملة الاسمية حيث كانت نسبة التعبير بالجملة الفعلية ٦٠٪ مقابل ٤٠٪ للجملة الاسمية، وهذا التفوق للجملة الفعلية يوافق بنية اللغة بشكل عام، ويرجع ذلك لموافقة الجملة الفعلية لمليعة نفس أبي حيان الحائرة الفلقة حيناً، والمتنقلة حيناً آخر.
- تميزت تراكيب النداء بالتنوع، والثراء، والخصوبة، كما تميزت البنى التركيبية للنداء بتعدد دلالاتها، وخروجها عن المعنى الأصلي للنداء وهذه الدلالات الجديدة تتضح من خلال السياق، وبمعونة القرائن اللفظية من هذه الدلالات الدعاء التعجب، الحث، التعجل، التأنيس، إظهار اليأس ... الخ.
- أكثر أدوات النداء استخداماً "يا" بنسبة ٤٨٪ وتلتها "أيها"، واستخدمت "أيها" حينما كان الموقف يتطلب جملاً من التوكيد، في النداء، ولم يستخدم التوحيدي "يا أيها" في النداء بنسبة كبيرة وهي الصيغة ذات العناصر المتكاثفة في النداء، وهو ما يخالف النسق القرآني في استخدام النداء، وربما كان توفّر التعبير القرآني على استخدام "يا أيها" في النداء راجع إلى جلال وعظمة التوجه القرآني



كثرة ورود الأمر بعد النداء ؛ ولعل السبب في ذلك كون النداء ينبه الذهن إلى ما بعده من حكم ، فإذا تبعه الأمر وجد النفس مهيأة ، والعقل يقظاً ، فيقع الأمر منه موقع الإصابة.

- من البنى التركيبية التي تلمس فيها بعض التفرد بنية الاستفهام حيث تعددت الأنماط التركيبية للاستفهام ، وتنوعت أدواته وكان أكثرها وروداً "الهمزة" ، ثم "أين" ، ثم "هل" ، كما تنوعت الدلالات المتولدة عن الدلالة الأصلية للاستفهام كالتقريع ، الأمر ، التعجب ، الاستبعاد ، التحصر ... الخ.
- تميّزت بنية الأمر بميزات تركيبية ودلالية ، حيث رصد البحث ستة وعشرين نسقاً تركيبياً للأمر ، كان أغلبها باستخدام صيغة فعل الأمر ، ولم يستخدم التوحيدي (لام الأمر + المضارع) أو اسم فعل الأمر إلا نادراً . وقد تنوعت دلالات الأمر ، وخرجت عن معناها الحقيقي لتفيد دلالات أخرى تستفاد من السياق والقرائن اللفظية ، وكان أبرزها الدعاء ، الحث ، التهكم ، الإنذار ، الالتماس الوجوب ، ... الخ .
- النص لوحة فنية متكاملة العناصر مترابطة الأجزاء ، تؤدي في النهاية المعنى المرغوب في إيصاله ، لذلك تقوم الروابط المختلفة بتحقيق التماسك والانسجام بين أجزاء النص ، وإحداث الخفة والإيجاز ، وأمن اللبس دون إخلال بالمعنى .
- تنقسم وسائل الربط في النص إلى نوعين ربط إحالي ، و ربط بالأداة ، الربط الإحالي يكون بإعادة الذكر ، وبالضمير ، وباسم الإشارة ، وقد حقق الربط الإحالي بإعادة الذكر بعض التفرد فأكثر الكلمات المستخدمة في هذا النوع من الربط لفظ الجلالة (الله) وذلك لأغراض متنوعة كالتهويل والترهيب ، أو التشريف

والترغيب... الخ ، وكذلك لفظ ( الغريب ) وهو ما يشعر بإحساس التوحيدي بالغربة والوحدة وقد ورد لفظ الغريب ومشتقاته في الرسالة الثانية عشرة وحدها تسعاً وخمسين مرة .

- نوع التوحيدي في أشكال الربط بالضمير فربط به ظاهراً ومستتراً ، وكذلك تنوعت البنى التركيبية التي ورد فيها اسم الإشارة رابطاً .
  - تميّز استخدام التوحيدي للربط بالأداة بكثافة الأدوات وتنوعها ، مع اتفائها في العمل ؛ فهي تلخص المعاني النحوية ، كالعطف ، والشرط... وغيرها بالإضافة لإحداثها التماسك والترابط بين أجزاء النص .
  - من أشكال الربط بالأداة الربط باستخدام حروف الجر ، وقد تميز استخدام التوحيدي لحروف الجر بصفة مهمة هي نيابة هذه الحروف بعضها من بعض .
  - ومن أشكال الربط بالأداة الربط بحروف العطف ، وقد كان حرف "الواو" أكثر هذه الحروف استخداماً عنده ، فالواو رأس باب العطف ، وقد أدرك التوحيدي الإمكانيات ، والطاقت الكامنة في هذا الحرف ، فهو يعطف المفردات ، والجمل ويعطف المتخالفات ، والمتوافقات .
  - ومن أشكال الربط بالأداة الربط بأدوات الشرط التي تؤدي عملاً نحوياً ، هو التعليق وعملاً وظيفياً هو التوليد .
- وقد تميّز أبو حيان بتوفّره على "إذا" باعتبارها أداة من أدوات الشرط ، ووسيلة من وسائل الربط فتتنوعت الأنماط التركيبية والأغراض الدلالة ، وتميّزت أنماط الشرط التركيبية التي أدواتها "إن" بظهور جملة الشرط الناقصة ، وتفرّد استخدام التوحيدي لأداة الشرط

"من" بعدم تكرار النمط التركيبي في التعبير وهو ما يخالف تقاليد التوحيدي في تكرار البنية التركيبية المستخدمة .

- بعد تناول المستوى التركيبي ووسائل الربط والتماسك بين أجزاء النص واجهنا المستوى الدلالي للكتاب الذي يعد من أهم مستويات الدرس اللغوي إن لم يكن أهمها على الإطلاق ؛ لأنه مسئول عن عملية الفهم التي هي هدف اللغة بوجه عام لذلك تعددت نظريات دراسة المعنى ومن هذه النظريات نظرية "الحقول الدلالية" وتحققاً لهذه النظرية حددت مجالاً دلاليًا عامًا خاصًا بالفاظ الحياة الصوفية وقسمته إلى ثلاثة مجالات دلالية فرعية خاصة بمقامات الصوفية ، ومصطلحاتهم وقوى الإنسان ، وقمت بدراسة العلاقات الدلالية التي تحكم هذه الألفاظ ، ومن خلال المجال الدلالي العام ومجالاته الثلاثة الفرعية ، والعلاقات الدلالية التي تتوفر بين هذه المفردات استطعنا فهم دلالة كل كلمة على حدة ، فوفقاً لنظرية الحقول الدلالية لكي نفهم دلالة أي كلمة لابد لنا من فهم مجموعة الكلمات المتصلة بها دلاليًا .
- والكتاب ثري بالفاظ الصوفية ومصطلحاتهم ، وعباراتهم وإشاراتهم . ومن خلال الدراسة الدلالية لألفاظ الحياة الصوفية أدركنا خبرة التوحيدي بالبيان الصوفي حيث جاء استخدامه للمفردات والعبارات والمصطلحات موافقاً لدلالاتها عندهم .
- بعد عرض جملة هذه النتائج توصي الدراسة بضرورة التّوفّر على دراسة النثر الأدبي ، والوقوف على الميزات التركيبية والدلالية فيه خاصة في فترات نضج الثقافة العربية، والموازنة بينها وبين السمات التركيبية ، والدلالية ، والنسقية التعبيرية في العصر الحديث ، ومحاولة الوصول إلى ما طرأ على اللغة من تطورات في تراكيبها ودلالاتها .

## ثبوت الآيات القرآنية

م	الآية	السورة ورقم الآية	الصفحة
١	{لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِرْ بِاللهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا أَنْفِصَامَ لَهَا وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ}	البقرة آية (٢٥٦)	٩٧
٢	{...وَلَا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ وَلَنْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ}	يوسف آية (٢٣)	١٥٥
٣	{... وَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمْرُ اللهِ الْوَحْدُ الْقَهَّارُ}	يوسف آية (٢٩)	٢٠٣
٤	{لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ...}	إبراهيم آية (٧)	١٩٧
٥	{كَذَلِكَ نَسْلُكُهُمْ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ}	الحجر آية (١٢)	٢٣١
٦	{قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِذْ انشَأَتِ}	الحجر آية (٥٦)	٢٥٦
٧	{أَتَى أَمْرُ اللهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ}	النحل آية (١)	٥٩
٨	{وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَتَّبِعَنَّهُمْ فِيهِ وَرَزَقْنَاكَ خَيْرًا وَأَبْقَى}	طه آية (١٣١)	١٠٢

تابع ثبت الأبيات القرآنية

م	الآية	السورة ورقم الآية	الصفحة
٩	{ إِنْ مِنْ أُنْىِٕ اَللّٰهُ بِقَلْبِ سَلِيْمٍ } (٨٩)	الشعراء (٨٩)	٢٣١
١٠	{ وَقَالُوا اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِىْ اُذْهَبَ عَنَّا اَلْحَزْنَ اِنْ رَّبَّنَا لَغَفُوْرٌ شَكُوْرٌ } (٢٤)	فاطراية (٢٤)	٢٥٨
١١	{ فِىْمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ } (٦٦)	الرحمن آية (٦٦)	١٧١

### ثبوت المصادر والمراجع

#### أولاً: المصادر:

- القرآن الكريم.
- أبو حيان التوحيدي، "علي بن محمد بن العباس (ت ٤١٤هـ)".
- \* "أخلاق الوزيرين"، مثالب الوزيرين صاحب ابن عباد وابن العميد، تحقيق: محمد بن تاووت المطنجي، بيروت، دار صادر، ١٩٩٢.
- \* "الإشارات الإلهية"، تحقيق: د/ عبد الرحمن بدوي، بيروت، دار صادر، ١٩٨١م.
- \* "الإشارات الإلهية"، تحقيق: د/ واداد القاضي، ط ٢، بيروت، دار الثقافة، ١٩٨٢م.
- \* "الإمتاع والمؤانسة"، تحقيق: أحمد أمين، أحمد الزين، بيروت، مكتبة الحياة، (د.ت).
- \* "البصائر والذخائر"، تحقيق: د/ واداد القاضي، بيروت، دار صادر، (د.ت).
- \* "المقابسات"، تحقيق: حسن السدوي، ط ٢، الكويت، دار سعاد الصباح، ١٩٩٢م.
- أبو الطيب المتنبي، "أحمد بن الحسين (ت ٣٥٤هـ)".
- \* "ديوانه"، تحقيق: د/ عبد المنعم خفاجي، سعيد جودة السحار، عبد العزيز شرف، القاهرة، مكتبة مصر، (د.ت).

ثانيًا: مراجع قديمة من التراث العربي:

- تاج الدين السبكي، تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب علي بن عبد الكافي السبكي،  
ت ٧٧١ هـ.

\* "طبقات الشافعية الكبرى"، تحقيق: د/ محمود محمد الطناحي، د/ عبد الفتاح  
محمد الحلو، القاهرة، مطبعة عيسى الحلبي وشركاه، (د.ت.).

- التهانوي "محمد علي الفاروقي التهانوي المتوفي في القرن الثاني عشر الهجري"  
\* "كشاف اصطلاحات الفنون" ت (د/ لطفي عبد البديع، د/ عبد المنعم محمد  
حسين) (القاهرة) (الهيئة المصرية العامة للكتاب) (١٩٧٢).

- جلال الدين السيوطي، "الحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي".  
\* "بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة"، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم،  
صيدا، المكتبة العصرية، (د.ت.).

- ابن جني، "أبو الفتح عثمان بن جني (٣٩٢ هـ)".  
\* "الخصائص"، تحقيق: محمد علي النجار، ط ٤، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب،  
١٩٩٩ م.

- ابن حجر العسقلاني، "الإمام الحافظ شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي  
ت (٨٥٢ هـ)".

\* "لسان الميزان"، ط ٣، بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ١٩٨٦.

- أبو الحسن الهجويري، "أبو الحسن علي بن عثمان بن أبي علي الجلابي الهجويري  
الغزنوي" توفي في الفترة (٤٥١ - ٤٥٢ هـ).

- \* "كشف المحجوب" ت/ إسعاد عبد الهادي قنديل، القاهرة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ١٩٧٤م.
- ابن خَلَّكان، "أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، ت(٢٨١هـ).".
- \* "وقيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان"، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط٢، القاهرة، مكتبة النهضة، ١٩٦٤م.
- أبو زكريا النووي، "أبو زكريا محي الدين بن شرف النووي، ت(٦٨١هـ).".
- \* "تهذيب الأسماء واللغات"، بيروت، دار الكتب العلمية، (د.ت.).
- شمس الدين الذهبي، "الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، ت(٧٤٨هـ).".
- \* "سير أعلام النبلاء"، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - محمد نعيم العرقسوس، ط١١، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٦م.
- أبو طالب المكي، "أبو طالب محمد بن علي بن عملية الحارثي المكي" ت(٣٨٦هـ).
- \* "قوت القلوب في معاملة المحبوب" (القاهرة) (مطبعة مصطفى البابي الحلبي) (١٩٦١م).
- عبد الرازق القاشاني، "كمال الدين عبد الرازق بن أبي الفضائل، ت(٧٣٦هـ).".
- \* "لطائف الأعلام في إشارات أهل الإلهام"، تحقيق: سعيد عبد الفتاح، القاهرة، الهيئة العامة للكتاب، ٢٠٠٤م.
- عبد الرحمن السلمي، "ت(٤١٢هـ).".
- \* "طبقات الصوفية"، تحقيق: تور الدين شريعة، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٦٩م.



- عبد القاهر الجرجاني، "أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني، ت (١٤٧٤هـ)".  
\* "دلائل الإعجاز"، تحقيق: محمود محمد شاكر، القاهرة، الهيئة العامة للكتاب، ٢٠٠٠م.
- عبد الكريم القشيري، "زين الإسلام عبد الكريم بن هوزان بن عبد الملك بن طلحة بن محمد القشيري، ت (١٤٦٥هـ)".  
\* "الرسالة القشيرية في علم التصوف"، تحقيق: معروف زريق، علي عبد الحميد بلطجي، ط٢، بيروت، دار الجبل، ١٩٩٠م.
- \* "لطائف الإشارات"، تحقيق: إبراهيم بسيوني، القاهرة، الهيئة العامة للكتاب، ٢٠٠٠م.
- ابن عربي، "محي الدين أبو عبد الله محمد بن علي الحاتمي الطائفي".  
\* "الفتوحات المكية"، بيروت، دار صادر، (د.ت).
- ابن عقيل، "بهاء الدين عبد الله بن عقيل، ت (٧٦٩هـ)".  
\* "شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك"، ط٢٠، تحقيق: محيي الدين عبد الحميد، القاهرة، دار التراث، ١٩٨٠م.
- علي بن محمد الجرجاني، "علي بن محمد بن علي أبو الحسن الحسيني الجرجاني الحنفي" (٧٤٠ - ٨١٦هـ).  
\* "التعريفات" (القاهرة) (مطبعة مصطفى البابي الحلبي) (١٩٣٨م).
- ابن فارس، "أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، ت (٢٩٥هـ)".  
\* "الصاحي"، تحقيق: السيد أحمد صقر، القاهرة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ٢٠٠٣م.

- ابن منظور، "جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم".  
\* "لسان العرب"، ط ١١، بيروت، دار صادر، ١٩٩٤ م.  
- أبو نصر الطوسي، "أبو نصر السراج الطوسي".  
\* "اللمع" ت: د/ عبد الحليم محمود، طه عبد الباقي سرور، القاهرة، دار الكتب الحديثة، ١٩٦٠ م.  
- ابن هشام الأنصاري، "أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف، ت (٧٦١هـ)".  
\* "شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب"، تحقيق: محيي الدين عبد الحميد، القاهرة، دار الطلائع، ٢٠٠٤ م.  
\* "قطر الندى وبلّ الصدى"، شرح وتعليق: د/ محمد عبد المنعم خفاجي، المنصورة، مكتبة الإيمان، (د.ت).  
\* "مغني اللبيب عن كتب الأعاريب"، تحقيق: محيي الدين عبد الحميد، صيدا، المكتبة العصرية، ١٩٩٢ م.  
- ياقوت الحموي، "أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي، ت (٦٢٦هـ)".  
\* "معجم الأدياء"، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٣ م.  
- ابن يعيش، "موفق الدين بن يعيش" ت ٦٤٣ هـ.  
\* "شرح المفصل"، القاهرة، مكتبة المتنبي، (د.ت).

ثالثًا: مراجع حديثة بالعربية:

- د/ إبراهيم أنيس.  
\* "أسرار العربية"، ط٧، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٨٥ م.
- \* "دلالة الألفاظ"، ط٦، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٩١ م.
- د/ إبراهيم صلاح الهدهد.  
\* "الجملة العربية بناؤها وإيجازها"، القاهرة، الاتحاد التعاوني للطباعة والنشر، ١٩٩٦ م.
- د/ إبراهيم الكيلاني.  
\* "أبوحيان التوحيدي"، ط٤، القاهرة، دار المعارف، (د.ت).
- أ/ أحمد أمين.  
\* "ظهر الإسلام"، القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٥٢ م.
- د/ أحمد الحوفي.  
\* "أبوحيان التوحيدي"، القاهرة، نهضة مصر، (د.ت).
- د/ أحمد مختار عم.  
\* "علم الدلالة"، ط٤، القاهرة، عالم الكتب، ١٩٩٣ م.
- الأزهري الزناد.  
\* "نسيج النص"، بيروت، المركز الثقافي، ١٩٩٣ م.
- د/ تمام حسان.  
\* "البيان في روائع القرآن"، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٢ م.
- \* "اللغة العربية معناها ومبناها"، ط٣، القاهرة، عالم الكتب، ١٩٩٨ م.
- \* "اللغة بين المعيارية والوصفية"، ط٤، القاهرة، عالم الكتب، ٢٠٠٠ م.

- جمال الغيطاني.  
\* "خلاصة التوحدي"، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، ١٩٩٥م.
- د/ حسن مغازي.  
\* "تراكيب الجملة الفعلية"، القاهرة، دار سلس للطباعة والنشر، (د.ت.).
- د/ حلمي خليل.  
\* "الكلمة دراسة لغوية ومعجمية"، ط٢، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٦م.
- د/ نكي مبارك.  
\* "النثر الغني في القرن الرابع الهجري"، بيروت، دار الجيل، (د.ت.).
- د/ زكريا إبراهيم.  
\* "أبو حيان التوحدي أديب الفلاسفة وفيلسوف الأدباء"، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، ١٩٩٥م.
- د/ أبوزيد محمد شومان.  
\* "دلالة الجملة الفعلية والاسمية بين الإقرار والإنكار"، أسبوط، مطبعة الصفا والمروة، ٢٠٠١م.
- د/ سعد مصلوح.  
\* "الأسلوب دراسة لغوية إحصائية"، القاهرة، دار الفكر العربي، (د.ت.).
- د/ سعيد حسن بحيري.  
\* "دراسة لغوية وتطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة"، القاهرة، مكتبة الأناب ٢٠٠٥م.
- \* "علم لغة النص"، القاهرة، لونجمان، ١٩٩٧م.

- د/ شوقي ضيف.  
\* "عصر الدول والإمارات"، ط٣، القاهرة، دار المعارف، ج ٥، (د.ت).  
- د/ صلاح فضل.  
\* "علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته"، القاهرة، مؤسسة مختار للنشر، ١٩٩٦.  
\* "مناهج النقد المعاصر"، الدار البيضاء، أفريقيا للنشر، ٢٠٠٢م.  
- د/ عاطف جوده نص.  
\* "الخيال مفاهيماته ووظائفه"، القاهرة، لونجمان، ١٩٩٧م.  
\* "شعر عمر بن القارص"، دراسة في فن الشعر الصوفي، بيروت، دار الأندلس ١٩٨٢م.  
\* "الرمز الشعري عند الصوفية"، بيروت، دار الأندلس، ١٩٧٨م.  
- د/ عامر النجّار.  
\* "التصوف النفسي"، القاهرة، الهيئة العامة للكتاب، ٢٠٠٢م.  
- د/ عبد الرازق محيي الدين.  
\* "أبو حيان التوحيدي"، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٤٩م.  
- د/ عبد السلام هارون.  
\* "الأساليب الإنشائية في النحو العربي"، ط٢، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٧٩م.  
- د/ عبد العزيز عبد السلام.  
\* "بلاغة الأساليب الإنشائية في القرآن الكريم"، أسبوط، دار الهلال، ١٩٩٩م.  
- د/ عبد المنعم الحفني.  
\* "الموسوعة الصوفية"، القاهرة، مكتبة مدبولي، ٢٠٠٣م.

- د/ عبد الواحد حسن الشيخ.  
\* "أبو حيّان التوحّيدي وجهوده الأدبية والفنية"، القاهرة، الهيئة العامة للكتاب، ١٩٨٠م.
- د/ علي عبد الواحد وإفي.  
\* "علم اللغة"، ط٩، القاهرة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، ١٩٨٤م.
- فاطمة الجامعي الحيايي.  
\* "لغة أبي العلاء المعريّ في رسالة الغفران"، القاهرة، دار المعارف، (د.ت).
- د/ فريد عوض حيدر.  
\* "علم الدلالة دراسة نظرية وتطبيقية"، القاهرة، مكتبة الآداب، ٢٠٠٥م.
- د/ كريم زكي حسام الدين.  
\* "التحليل الدلالي إجراءاته ومناهجه"، القاهرة، دار غريب، ٢٠٠٠م.
- د/ مازن الوعر.  
\* "جملة الشرط عند النحاة والأصوليين العرب في ضوء نظرية النحو العالمي لتشموسكي"، القاهرة، لونجمان، ١٩٩٩م.
- د/ محمد إبراهيم عبادة.  
\* "الجملة العربية دراسة لغوية نحوية"، الإسكندرية، منشأة المعارف، ١٩٨٣م.
- د/ محمد أمين الخضري.  
\* "من أسرار حروف الجر، القاهرة"، مكتبة وهبة، ١٩٨٩م.
- د/ محمد حماسة عبد اللطيف.  
\* "الجملة في الشعر العربي"، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٩٠م.

- \* "النحو والدلالة"، القاهرة، دار الشروق، ٢٠٠٠م.
- د/ محمد عبد المطلب.
- \* "بين البلاغة والأسلوبية"، القاهرة، الهيئة العامة للكتاب، ١٩٨٤م.
- د/ محمد عمارة.
- \* "أبو حيان التوحيدي بين الزندقة والإبداع"، القاهرة، دار نهضة مصر، ١٩٩٧م.
- د/ محمد فكري الجرجان.
- \* "العنوان وسيموطيقا الاتصال الأدبي"، القاهرة، الهيئة العامة للكتاب، ٢٠٠٦م.
- د/ محمد محمد أبو موسى.
- \* "خصائص التراكيب"، ط٧، القاهرة، مكتبة وهبة، ٢٠٠٦م.
- \* "دلالات التراكيب دراسة بلاغية"، ط٣، القاهرة، مكتبة وهبة، ٢٠٠٤م.
- د/ محمود أحمد نخلة.
- \* "مدخل إلى دراسة الجملة العربية"، بيروت، دار النهضة، ١٩٨٨م.
- د/ محمود السعران.
- \* "علم اللغة مقدمة للقارئ العربي"، ط٢، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٩٢م.
- د/ محمود سليمان ياقوت.
- \* "منهج البحث اللغوي"، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٠م.
- د/ محمود عكاشة.
- \* "التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة"، القاهرة، مكتبة النهضة، ٢٠٠٢م.
- د/ مصطفى حميدة.
- \* "نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية"، القاهرة، لونيجمان، ١٩٩٧م.

- د/ مصطفى الشكعة.  
\* "معالم الحضارة الإسلامية"، ط ٥، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٨٧م.
- د/ مصطفى ناصف.  
\* "محاوالت مع النثر العربي"، الكويت، عالم المعرفة، ١٩٩٧م.
- د/ المنصف عاشور.  
\* "بنية الجملة العربية بين التحليل والنظرية"، تونس، منشورات كلية الآداب، بمنوبة، ١٩٩١م.
- ثالثًا، الرسائل الجامعية،  
- إيمان حسين السيد.  
\* "قرينة الربط في القرآن الكريم"، رسالة ماجستير، مخطوطة، كلية الآداب  
جامعة القاهرة، ٢٠٠٠م.
- جمال محمد عبد العزيز مصطفى. \* "ظاهرة الربط عند أبي حيان الأندلسي"، رسالة  
دكتوراه، مخطوطة، كلية دارالعلوم، فرع الفيوم، جامعة القاهرة، ٢٠٠٢م.
- خالد السيد عبد العال.  
\* "أساليب الطلب في القرآن الكريم"، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة  
الزقازيق فرع بنها، ١٩٩٥م.
- رفعت إسماعيل السوباني.  
\* "الجملة الشرطية الواقعة في خواتيم الآيات القرآنية"، رسالة دكتوراه، كلية اللغة  
العربية بإيتاي البارود، جامعة الأزهر، ١٩٩٥م.



← عبقرية النثر العربي →

- محمد ناصح حميد

\* تحليل سيبويه للجملة العربية في ضوء علم اللغة الحديث \* رسالة دكتوراه، كلية  
الاداب، جامعة الإسكندرية، ٢٠٠٢م.

رابعًا: المقالات والحدوديات:

- جعفر الكنسوسي.  
\* "تعليقات على كتاب الإشارات الإلهية"، مجلة فصول، المجلد الخامس عشر  
العدد الأول، ربيع ١٩٩٦م
- د/ عاملف العراقي.  
\* "مفهوم الإنسان عند أبي حيان"، مجلة فصول، المجلد الخامس عشر، العدد الأول،  
ربيع سنة ١٩٨٤م.
- د/ عبد الله حوله.  
\* "الأسلوبية الذاتية أو النشئية"، مجلة فصول، المجلد الخامس، العدد الأول،  
أكتوبر، ١٩٨٤م.
- د/ مصطفى ناصف.  
\* "النص والشعر: قراءة في دلائل الإعجاز"، مجلة فصول، العدد الثالث، إبريل  
١٩٨١م.
- د/ وباد القاضي.  
\* "أبو حيان التوحيدي: اللغة والعجز عن التعبير"، مجلة فصول، المجلد الرابع عشر  
شتاء ١٩٩٦م.
- د/ يوسف زيدان.  
\* "التوحيدي والصوفية"، مجلة الهلال، ١٩٩٥م. \* "هل كان التوحيدي صوفيًا أم  
فيلسوفًا"، مجلة فصول، المجلد الخامس عشر، العدد الأول، ربيع ١٩٩٦م.

